فهـــرس العـــدد

■ **نعتذر للقراء الكرام عن هذا التأخر الاضطرارى فى صدور المجلة ، بسبب تعطل المطبعة فى فترة الصيف**

المسجد جامع وجامعة (1)

مولود قاسم نايت بلقاسم
الوزير لدى رئاسة الجمهورية
المكلف بالشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على خاتم النبيئين والمرسلين ،



اخواننا ، يسرنا بهذه المناسبة ، مناسبة المولد النبوى الشريف ، فى هذا اللقاء فى مدينة وهران ، ان نجتمع بكم ونذكركم ببعض المبادىء التى كررناها واعدناها فى منشورات ، وفى مجلة الأصالة ، وفى اجتماعات ، بالنسبة لمن حضر منكم فى مدرسة مفتاح بمناسبة تدشينها ، حول اهمية المسجد ، حول دور المسجد ، وبالتالى حول اهمية الامام ، ومساعديه ، من مؤذن ، وقيم ، فى الامة ٠

اظن أنه من البديهيات ان نكرر ، ولكن لا باس بتكرار بعض البديهيات عندما لا تكون منغرسة فى الاذهان ، عندما لا تدرك من الكل مع الاسف ، كررنا لكم مرارا ، ولكن لا نزال نلاحظ تقصيرا ، وهذا ليس موجها لائمة ولاية وهران فقط ، ولكن

(1) كلمة ارتجلها السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، فى المركز الثقافى الاسلامى بوهران فى الائمة ليلة ذكرى المولد النبوى الشريف (11 ربيع الثانى 1397 هـ — 01 مارس 1977 م) ٠

لمجموع الائمة على مستوى الوطن · كررنا مرارا أن دور المسجد يتمثل فى القيام بعدة مهام ، بعدة مسؤوليات ، وليست ، كما يظن الكثير منكم ومن غيركم فى أنحاء الوطن ، اكتفاء بالقيام بالصلوات الخمس ، وربما بصلاة الجمعة فقط ، ثم الذهاب الى الولائم ، ثم الى البيت ، أو الجلوس فى المتاجر ، أو التسكع فى الشوارع ·

قلنا لكم أكثر من مرة ان المسجد كان فى الاساس مدرسة ، كان معهدا فيه تخرج الصحابة فى صدر الاسلام ، وفيه تخرج غيرهم فى عهود متتالية · واذا ما نسيتم وجب علينا أن نذكركم بأن الجامع كان جامعة أيضا ، وانما أجدادنا كانوا يفضلون صفة المذكر فيقولون الجامع ، يعنى الجامعة كما يقال اليوم فى العصر الحديث ، عصر التانيث !
فقد كان الجامع يقوم بدور الجامعة اليوم ، هكذا كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومساجد أخرى كالجامع الاموى بدمشق ، والجامع الاعظم ببغداد ، وجامع الازهر بمصر ، وجامع الزيتونة بتونس ، وجامع القرويين بالمغرب ، والجوامع العديدة الكبيرة عندنا فى تيهرت ، وفى بجاية ، وتلمسان ، وفى بسكرة ، وفى طبنة ، والعاصمة، ومازونة ، وقسنطينة ، وآخرها الجامع الاخضر مثلا !

كان المسجد دار علم · هكذا كان جامع قرطبة بالاندلس ، كان المسجد جامعا وجامعة ، كان جامعا يجمع الامة لا للصلاة فقط ، ولكن للعلم أيضا ·

ولهذا كررنا لكم مرارا ، فى أكثر من منشور ، أن عليكم أن تقوموا أيضا بالتعليم فى المساجد · والتعليم يتمثل فى ثلاث مراحل : الدروس المسجدية التى أوصلت البعض حتى الى مستوى الاهلية ، بل وحتى الى مستوى البكالوريا ، وتحفيظ القرآن للصغار ، ومكافحة الامية لدى الكبار ·

وينبغى أن تكون الدروس المسجدية التقليدية التى تنصب على مختلف المواد حسب مستوى الامام وحسب رغبة المصلين المامومين ، كالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والتوحيد ، الخ · وهناك مكافحة الامية التى يهملها الكثير منكم ، ويحتقرونها ، ولا يعبأون بها ، ويظنون أنها مسألة ثانوية ، ومسألة بذخ وترف ، كما يقول البعض منكم · لا ، أبدا ، بل هى فى الصميم ·

هذه بعض أدوار المسجد ، وقلنا لكم انكم اذا كنتم فى دوركم مقتصرين على الصلاة فقط ، فان صلاتكم باطلة ، وصلاة المامومين وراءكم باطلة ، لانكم تأخذون عنها أجرا ، تأخذون عنها راتبا من ميزانية الدولة ، هذه خسارة ، وهذا حرام ، وصلاتكم ضائعة باطلة ، وصلاة المامومين وراءكم باطلة ، اذا لم تقوموا بجهود أخرى · لان الامام فى صدر الاسلام ما كان يأخذ راتبا عن الصلاة بالناس ، اذ وظيفة الامام بهذه الصفة الموجودة اليوم لم تكن موجودة فى صدر الاسلام أبدا · كان أى انسان يقوم بهذا الدور ، أفقههم ، أو أنظفهم ، وأكثرهم تنظيما فى نفسه وانضباطا ، وبالتالى أصلحهم لشؤون غيره أيضا · كان هذا دور المسجد · الامام لم يكن بهذا الراتب ، بهذه الصفة الرسمية كموظف ، يتلقى الراتب ليصلى بالناس فقط ويذهب ليتفسح فى الشوارع ، ويمشى فى الاسواق · أبدا · لم يكن هذا الوظيف ، ولكن لما أنشىء وأعطى له هذا الطابع الرسمى أصبحت له مهام جديدة ، مهام ملتصقة بمهام المسجد ·

والمسجد ، كما قلنا ، كان دار علم بالدرجة الاولى ، والعلم والعمل كالصلاة · فهما فى الاسلام عبادة · فاذا كان المعبد فى الديانات الاخرى معبدا فقط ، أو أكثر مما هو شىء آخر ، فهو عندنا معبد ودار علم أيضا · والعلم عبادة ، كما يقول الحديث الشريف ، نعم : العلم عبادة ، حديث شريف صحيح · والى ذلك كان المسجد ثكنة ومجلس حرب · واذا كان اليوم التنظيم الحديث يقتضى أن تكون هناك وزارة للدفاع ، واختصاصات موزعة ، وتوزيع عقلانى للعمل فى اطار الدولة ، وزال عن المسجد دوره هذا كرباط عسكرى ، وكثكنة ، وكمجلس حرب ، فان دوره العلمى ، كمجلس علم ، وكحلقة درس ، لم يزل ، ولن يزول أبدا ، ولا يزال قائما ، رغم وجود وزارات عديدة للتعليم ، أو وزارة واحدة ، أيا كان التنظيم فى هذا البلد أو ذاك ، فان مهمة المسجد لا تزال الى اليوم كدار علم ·

اذن ينبغى على المسجد وعلى الامام أن يقوما بالتعليم أيضا ، على مختلف المستويات التى ذكرناها ، حسب رغبة المصلين وحسب مستوى الامام · والمسجد كان دار قضاء ، كان محكمة أيضا · واذا كان النظام الحديث الآن يقتضى وجود وزارة العدل ووجود

محاكم مختصة ، فان دور العلم ، دور التربية ، دور التهذيب ، لا يزال قائما ولن يزال قائما ، ولن يزول الى الابد من بين مهام الجامع !

هناك أدوار كثيرة جدا ومتنوعة للمسجد تتصل بحياة الامة فى مختلف تشعباتها العديدة ، من التى ذكرناها وأخرى لم نذكرها ، ومنها كونه مجلس حكم ، ومجلس الشورى ، واذا كانت هذه المهام كلها بأغلبها أصبحت موزعة الآن على سلطات متعددة ، حسب الاختصاص ، فان مهمة التعليم ، مهمة التربية ، مهمة التهذيب ، لا تزال قائمة اليوم ، والى يوم الدين ، لان اليوم الذى يصبح فيه الامام يأخذ راتبا عن الصلاة فقط ، على أن يؤم الناس فقط ، فان ذلك اليوم ينبغى أن تغلق المساجد • لان صلاتكم باطلة ، وصلاتكم بالناس باطلة ، وصلاة المأمومين وراءكم باطلة ، اذا كنتم لا تقومون بهذا الدور ، دور التعليم • ولهذا قلنا مرارا ، وأكدناه خاصة فى منشورات عديدة ، وأكدناه بصفة أخص عند افتتاح مدرسة مفتاح لتكوين الائمة ، التى حضر الكثير منكم افتتاحها ، وبالنسبة لمن لم يحضر منكم فقد نشرنا تلك الكلمة فى مجلة الأصالة ، وقلنا فيها : عليكم ، أيها الائمة ، أن تكونوا الرعاة الوعاة والدعاة السعاة !

ان يكون كل منكم راعيا واعيا ، وداعيا ساعيا ، ان يخدم ، وان يتصل ، وان يهتم بشؤون المجتمع كله ، بشؤون الامة كلها ، بجميع شؤون الامة ، وأن لا تقتصروا فقط على العبادات ، ولا على التعليم والتهذيب فقط ، بل ينبغى أن تتبعوا شؤون الامة وبناءها فى مختلف المجالات ، وفى سائر القطاعات ، على المستوى العام للبلاد كلها ، ينبغى أن تتبعوا كل هذا ، وألا تنزووا فى ركنة من المسجد وتكتفوا بحلقات الذكر ، وتظنوا ان هذا هو الاسلام • تذكرون كلكم ما فعله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عمر الفاروق ، الفاروق صيغة المبالغة من العدل ، عمر الفاروق الذى يمثل العدالة بحق • فقد وجدهم ذات مرة خارج وقت الصلاة فى حلقة يذكرون ، فضرب أحدهم ، أو كثيرا منهم ، فى المسجد بدرته ، بعصاه التى كانت لا تفارقه ، وقال لهم:« اخرجوا» عندما وجدهم بعد الصلاة بصدد الذكر ، قال لهم : « اخرجوا ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » ، قد أديتم العبادة الواجبة ، صلاة الجماعة ، والآن اخرجوا الى العمل ، واستمروا فى ذكركم أثناء عملكم بالمزرعة ، أو فى المصنع ، أو فى المتجر أو فى

غيرها • هذا هو المفروض عليكم ، ان تكونوا الرعاة الوعـاة والدعـاة السعـــاة ، أن تكونوا رعاة ! أن يكون كل منكم راعيا • ما معنى الراعى ؟ الحديث الشريف يقول : « كلكم راع ، وكل راع مسؤول عن رعيته » • الراعى هو الراعى باللغة العامية متاعنا ، الراعى يرعى الغنم ، أو يرعى الماعز ، أو يرعى بنى آدم • وهذا موجود حتى فى بعض الديانات الاخرى • فعند البروتستانتيين فى أوروبا لا يقولون له قسيسا ، بل يسمونه الراعى Schaefer, Pastor • والراعى يرعى الناس ، يرعى بنى آدم ، يرعى الامة •

هذا هو المعنى • ولا تظنوا أن دوركم يقتصر فقط على الصلاة على الميت ، أو البقاء منزويين فى المسجد للذكر ، ولبعض الحلقات ، والتجمع فى بعض المتاجر والسلام • لا ، ليس هذا أبدا • ولهذا فسنستعمل الصرامة وغاية الشدة فى المستقبل ، بأكثر مما فعلناه فى الماضى ، بعد أن نبهناكم مرارا ، بعد أن أنذرناكم شفـويا وكتـابيا ، ولكن بعضكم لا يرعوى ، وقد أعذر من أنذر ، وأنذرناكم مرارا ، اذن اعذرناكم • ما معنى اعذرناكم ؟ أزلنا عنكم العذر ، لم يعد لكم عذر • تدركون هذا كله • وسنستعمل معكم غاية الصرامة ، وغاية الشدة ، فى المستقبل ، ابتداء من اليوم • سنستعمل غاية الصرامة وغاية الشدة على مستوى الوطن ، وليس فقط ، طبعا ، فى ولاية وهران ، أو للغرب الجزائرى •

ينبغى اذن أن تدركوا عمق هذه المسؤولية ، تدركوا مدى أهمية الواجب الملقى عليكم ، وأن لا تبقوا هكذا سلبيين ، مرتخين ، مفككى الاجزاء ، منحلى الاوصال • وقد قلت مرة كلاما حارا للائمة فى ولاية الجزائر العاصمة ، عندما جمعتهم ، وعاتبنى بعض الاخوان المساعدين فى الوزارة بعد ذلك قائلا اننى تشددت معهم كثيرا ، واستعملت معهم غاية الصرامة فى الحديث • هذا فى الحديث فقط ، ولم نصـــل الى الخصم مـن الراتب ، والى التوبيخ ، والى اعلام الوظيف العمومى • لم نصل بعد الى هذا ، ولـكن سنبدأ فيه قريبا ان شاء الله • ماذا قلت لهم ؟ قلت لهم ان تلك « الاخوات » ، اللاتى يسمين « الاخوات » باللغة المسيحية Les Sœurs ، « السورات » ، يركبن على الدراجة ويقفزن ، ويطرن ، وأنتم نائمـون ؟ وأنتم واقفـون ؟ ولا تطردون حتى الذباب عن أعينكم ! تسيرون هكذا مهلهلين ، مخلخلين ، مزعزعين ، مهزوزين ؟ لا ! بـل ينبغى

ان تقفزوا قليلا ، ينبغي أن تطيروا ، أن تتحركوا ، أن تستيقظوا . ان مجنونا يطير في السماء أفضل من النائم المرتخي ! انى أفضل أن أرى كلا منكم بثيابه في الهواء على ان أراه مرتخي الاوصال ، مفكك الاجزاء ، لا يطرد الذباب عن عينيه ، في المسجد أو غير المسجد . ينبغي أن تنتعشوا قليلا ! ان تكونوا طبق ذلك المثل الذى قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاحد الشباب ، كما روته عائشة ، عندما التقى بأحد الشبان . قال له عمر بن الخطاب ، وما أدراك من هو عمر بن الخطاب ؟ عندما مر به في أحد شوارع المدينة ، والشاب مرتخي الاوصال ، مفكك الاجزاء ، مثل الكثير منكم ، فضربه عمر بعصاه على أم راسه ، بدرته المشهورة ، وقال له : « مالك مرتخ هكذا ، مالك تتماوت في مشيتك ! فقد أمتم علينا ديننا اماتكم الله ! » وأعطاه بالعصا على أم راسه .

هذا ما ينبغي ان نستعمله معكم ، ما دمتم هكذا أمواتا ، مفككي الاجزاء ، مرتخي الاوصال ، محلولين ، مهلهلين ، مخلخلين . ينبغي أن تحيوا قليلا ، وأن تضربوا المثل ، أن تعطوا القدوة ، أن تكونوا في حزم الامام على ، الامام على ! خذوا اسمكم من الامام على ! خذوا اسمكم من الامام الاول ! خذوا الصفات منه ! خذوا الصفات التى تتمشى ، التى توافق ، التى تاتى من هذا الامام ! خذوا من الاسم مسماه عنه ، بل مسمياته العديدة ! خذوا تلك الصفات ، صفة الامام الحازم ، الجازم ، القافز ، النشيط ، الحى ، الذى يحيى الآخرين ، الذى يحرك ، الذى يهز ، الذى ينغز ، الذى ينعش ، وعند الضرورة ، الذى يصدم الغير ، ليبعث فيهم الرعب ! ليبعث فيهم الحياة !

هذا ما نطلبه منكم . هكذا ينبغي أن تكونوا ، جسما حيا في الامة . ولهذا قلنا لكم كونوا الرعاة الوعاة ، لا الغافلين ، النائمين ، الراقدين ، مع الزردة ، والوعدة ، والقعدة ، والرقدة ! تحركوا قليلا ، كونوا الرعاة الوعاة ، والدعاة السعاة ! وغدا ان شاء الله ، وفي المرة المقبلة ، عندما نتلاقى ، نرجو أن نتكلم في أشياء أخرى ، وألا نكرر هذه البديهيات ، هذه المسائل التى تكاد تكون لغوا من الكلام ، لانه ما كان ينبغي أبدا أن نكرر ونعيد الكلام في مثل هذه الامور ، الواضحة ، بل البديهية !

وقد ذكرني الاستاذ الشيخ الزبير الآن بنقطة هامة ، وهى أنه فتح لكم على مستوى الولاية فرعا لمدرسة مفتاح ، مدرسة تكوين الائمة .

ولعلم الاخوان الآخرين من جهاز الدولة الحاضرين هنا نقول ان مدرسة مفتاح هذه ، المنشاة فى الجزائر العاصمة ، والتى افتتحت منذ سنتين ، تحاول ان تعطى الائمة الموجودين حاليا فى الجهاز مستوى معينا من التعليم ، من الثقافة ، فى الميادين المختلفة ، من فقه ، ونحو ، وصرف ، وحديث ، وكذلك تاريخ الجزائر ، والنظام الادارى فى الجزائر ، والنظام الاقتصادى ، والنظام الاجتماعى ، وكذلك اللغات الاجنبية ، بقدر الامكان ، وكذلك التيارات الاقتصادية والسياسية المعاصرة ، والايديولوجيات المختلفة ، وتاريخ الاديان المقارن ·

هذا كله وضع مؤقت ، ريثما تقوم كليتا الشريعة فى قسنطينة وأصول الدين فى وهران ·

وقد أنشأ لكم الشيخ الزبير هنا فرعا على مستوى ولاية وهران ، ينبغى أن تحرصوا كل الحرص على تتبع هذه الدروس · وقد تلقى تعليمات صارمة ليطبق هذه الصرامة عليكم ، وكل من يرتخى منكم ، ويتهاون ، ويتكاسل ، وينعس ، ويتغيب عن هذه الدروس ، سيعاقب العقاب الشديد ، الصارم ، بالخصم من الراتب أولا ، والتوبيخ ، ثم بالعزل مباشرة · ولا سبيل هناك الى التدخل ، ولا الى كتابة رسائل ، وشكاو ، ودعاو ، أبدا ! فعندما يصدر الامر انتهى ، وانقضى ، وخلاص ، كما يقول اخواننا المصريون ، وخلاص !

اذن ينبغى أن تعملوا بهذا كل العمل · الدولة قد اعطتكم الآن حقوقكم · أنتم الآن موظفون فى جهاز الدولة ، كأى موظف آخر ، فى الداخلية ، أو الخارجية ، أو الدفاع ، أو الرئاسة ، أو غيرها من الوزارات والمؤسسات والاجهزة للبلاد ، فى الحزب أو فى الدولة · لديكم كل الحقوق ، لديكم التقاعد ، لديكم الضمان الاجتماعى ، لديكم العطلة ، لديكم العلاج ، لديكم كل شىء ، لديكم نفس الحقوق كغيركم الآن وستتلقون قريبا ان شاء الله تلك النسب التى تعطى لكم بالنسبة للعلاوة أو الزيادة فى الراتب ، حسب المقاييس ، ابتداء من انطلاق الميزانية الجديدة فى شهر مارس ان شاء الله ·

والذين بلغوا السن سيحالون الى التقاعد ، وتحفظ لهم كرامتهم وكرامة عائلاتهم ، التى لا تزال الى حد الآن معرضة مع الاسف ، لان هذا لم يدخل بعد فى حيز الفعل ،

ولكن الآن قد صدر المرسوم فى الجريدة الرسمية الذى يعطيكم جميع هذه الحقوق ، ويسويكم بجميع الموظفين الآخرين فى أجهزة الدولة ·

وكلمة الموظف ليست تحقيرا أبدا · فكلنا موظفون ، من الرئيس الى أدنى موظف فى جهاز الدولة ، فى أى سلم فى الدولة ، من العساس ، والجباس ، والكناس ، الى الرئيس · كل منا موظف ، أى فى خدمة الامة · والعبرة فقط بتوزيع الاعمال على أدوار ، وعلى مستويات مختلفة متفاوتة ، حسب مستوى التعليم ، وحسب الكفاءة ، وحسب الصحة ، وحسب الخبرة فقط ، أما الوظيفة فهى الوظيفة ، من الرئاسة الى آخر رتبة فى السلم فى البلاد ·

اذن فأنتم الآن لديكم نفس الحقوق التى لغيركم من الموظفين ، فى جميع أجهزة الدولة ، ولكم أن تقوموا بدوركم ، فعليكم واجبات الى جانب هذه الحقوق ·

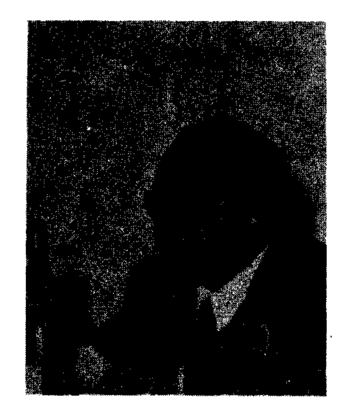
ينبغى أن تعوا هذه الحقوق ، ينبغى أن تعمقوا وعيكم وروح مسؤوليتكم بأداء هذه الواجبات ، بالمسؤولية الملقاة على عاتقكم ، ينبغى أن تعوها كل الوعى ، واذا لم تعوا ، ولم ترعووا ، فلن تلوموا الا أنفسكم ، ونرجو من الله ألا نتكلم فى المستقبل الا فى الايجابيات ·

والسلام عليكم ·



الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والاندلس من خلال الاباضية

د . سلفادور غومث نوغاليس
رئيس قسم الفلسفة الاسلامية
بالمعهد الاسبانى العربى للثقافة
مدريد (اسبانيا)



اقترح لمساهمتى فى هذا المؤتمر نقطتين جذبتا اهتمامى لعلاقتهما بالنقطة الاساسية التى طرحها منظمو المؤتمر ، اقصد الرستميين .

النقطة الاولى ، هى علاقتهم باسبانيا . بدا لى من قراءاتى المستطلعة الاولى ان ذلك كان موضوعا جديرا بان يكون قد درس وبحث ، وما يتعلق به جدير بان يلفت اهتمام اعضاء المؤتمر .

النقطة الثانية ، تتصل بما اراني مدفوعا الى التعامل بصورة متكررة ، فى محاضرتى ودروسي عن الفلسفة العربية ، او فى بياناتى وايضاحاتى للغربيين عن العالم الاسلامى ، اقصد الافتراض الجبرى عند المسلمين . هل الاسلام ينفى الاختيار « الحرية » ؟ . ما هو مذهب الرستميين فى هذا خاصة ؟ . سوف أشرح لكم حالا لماذا ساعالج هذا الموضوع بالذات عند بنى رستم .

بالنسبة للموضوع الاول ، حتى وان كنت ساقول أكثر من كلمة . بكل تاكيد كانت هناك علاقات بين* الرستميين والاندلس ، هناك بعض المؤرخين يصلون الى القول بان بنى أمية قد لجاوا الى ورجلة واختفوا بها قبل عبورهم الى الاندلس . ان ذلك يبدو لى شيئا بعيد الاحتمال لسبب تاريخى . ان النصوص المتحدثة عن العلاقات بين بنى رستم

(*) ننشر هذه المحاضرات طبقا لمبدا نشر كل محاضرات الملتقى الذى اعلنا عنه فى العدد الاول من الاصالة تعميما للفائدة ، ولطلب الكثير ممن تصلهم المجلة ولا تصلهم كتب الملتقيات .

والامويين الاسبان تنقسم الى من يتحدث فى صالح تأكيد هذه العلاقة والآخر على العكس يستنكرها على حسب ما ينتمى اليه من المدارس الاسلامية · فى مواجهة هذه الصعوبات ذات الطابع التاريخى عدلت عن التحدث فى هذا الموضوع بنفسى لسببين :

أولا : لان التاريخ ليس صنعتى كما هو الحال فى تصورى للافكار وانتقالها عبر مختلف العصور ·

والسبب الثانى : لان التعامل مع موضوع تاريخى اسبانى يستحق ان يتناوله واحد من المؤرخين الاسبان متخصص فى الموضوعات الاندلسية · وفى حالتنا هذه نترك الامر للدكتورة ماريا خيسوس فيغيرا ولذكائها وفطنتها أترك لها بحث هذه النقطة · ومع ذلك فهنالك ما اود ان ابرزه فى تلك اللحظة التى اترك فيها التاريخ ، وألتجىء الى العقيدة يهمنى ان اضع خطا هنا · لقد كانت العقيدة الاباضية هى الشائعة بين الرستميين هل يمكن ان أؤكد شيئا عن العلاقات بين الاباضية والاندلس ؟

ومن المعروف ان البؤرة الاساسية للاباضية كانت المغرب ، وبتحديد أكثر ، فى لحظة محددة من تاريخه، كان اقليم ورجلة · اذن الافكار الاباضية استطاعت الانتقال الى الاندلس عن طريقين :

أولا : من خلال الخلفية العامة الموجودة بين الافكار الدينية والفلسفية للاباضية وباقى المدارس التى عبرت معها الى الاندلس ·

والثانى : عبور الافكار الخاصة بالاباضية الى الاندلس ·

وللاجابة على المسألة الاولى علينا ان نحدد أولا امكانية تصادف أو اتفاق مدارس أخرى مع الاباضية · سيكون لذلك تأثيره غير المباشر ، شيئا من ذلك ستقوله دراسة للمصادر الاباضية، أو سيكون صعبا جدا اثبات ان هذه الفرق المختلفة من الاباضية قد دخلت خلالها · الشىء البديهى المؤكد هو انه خلال فترة مبكرة كانت الاباضية معروفة فى الاندلس ، من حيث عبرت قادمة من المغرب وليس مباشرة من المشرق · ومن غير المعروف تماما حتى الآن تلك المؤثرات الداخلية مباشرة من المشرق · من بين الاعضاء الستة المكونين لمجلس الشورى الذى كان عليه اختيار الامام الاباضى فى عام 168 هجرية ، بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم ، كان هناك شخصيتان من أصل اسبانى ، مسعد الاندلسى ، وعثمان بن مروان الاندلسى ·

الموضوع الثانى ، يأتى فى اشارات ابن حزم فى القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى ، بانه وجد فى الاندلس بعض البقايا من الاباضية (الفِصَلْ ج 4 ص : 179 الى 191) ٠

اننى متأكد من ان بعض المتخصصين فى هذه المادة والموجودين هنا يمكنهم ان يعالجوا بكفاءة اكثر مما استطيع ، العلاقات بين الرستميين والاباضية ، كذلك الامر بالنسبة لاصول هذا المذهب ٠ اننى فقط سوف اركز على تلك الملامح التاريخية أو العقائدية ، والتى يمكن ان يوضحها لنا موضوع محاضرتى ٠

ان أصول هذه العقيدة تمنحنا واحدة من المميزات الظاهرة جدا فى الاباضية ، فى فجر التاريخ وقبل ميلاد هذه العقيدة ، أى فى القرن الاول من الهجرة ، السابع الميلادى ٠ قد ظهر فى مواجهة المذهب الخارجى مذهب آخر ذو ملامح متشابهة ٠ تكون حول شخصية اعتاد الاباضيون ان يذكروها بكل توقير وتكريم كواحد من أوائل الائمة فى هذا المذهب ، ذلك يتعلق بابن بلال مرداس بن عدية التميمى ٠ اسم هذا المذهب هو الصفرية ، والتى تمثل أيضا صيغة معتدلة بين الخوارج ٠

ولكن بناء على المتواترات الاباضية التى اثبتها ابو مخنف منذ منتصف القرن الثانى من الهجرة ، الثامن الميلادى ، فان بداية هذا المذهب قد حدثت فى عام خمسة وستين من الهجرة ، ستمائة وأربعة وثمانون من الميلاد عندما انفصل عبد الله ابن اباض المرى التميمى عن موقف الخوارج المتطرفين متجها الى باقى أهل التوحيد ، مما اعطى اسمه الى المذهب الاباضى أو الى المدرسة الاباضية ٠يبدو لى ان اباض كان الرئيس « امام أهل التحقيق ، امام المسلمين أو امام القوم »لنوع من الحكومة الدينية الاباضية السرية « جماعة المسلمين » ، أى انه ألف مجلسا مكونا من كثير من المشايخ مشابها للمجلس الذى كونه AZZABA عزابة الاباضية فى شمال افريقيا بعد سقوط أئمة بنى رستم ٠ لقد كان هو كاتب المناظرات فى مواجهة الخوارج المتطرفين ، ومن المحتمل ان قعوده كان يتجه بامل ما فى الوصول الى اتفاق أو تفاهم مع الخليفة الجديد عبد الملك بن مروان (65 ـ 86) ٠

تلك السياسة التى بدأها ابن اباض فى اتجاه الامويين سوف يتبعها خليفته أبو الشعث جابر بن زيد الازدى المؤسس الحقيقى للمذهب ، والمحدث البارز الشهير ، العمانى النشأة ، ولقد كان واحدا من انفع تلامذة واصدقاء عبد الله بن عباس وحفظ عنه الكثير من الاحاديث ، ولقد روى لتلاميذه الكثير جدا من الاحاديث السنية ، مجادلا بعنف وبكثرة فى مواجهة الخوارج المتطرفين ، ومؤسسا بصورة نهائية المذهب الاباضى، ولهذا فان المراجع الاباضية تعده عمدة الاباضية أو أصل المذهب .

ليس من الممكن ان يحكى بالتفصيل تاريخ الاباضية . ولكن اذا كان من الملائم ان نذكر شيئا عن تلميذ جابر الاكثر نجابة ، وصاحب التأثير السياسى الايجابى ، اقصد وريثه كرئيس للجماعة الاباضية فى البصرة أبو عبيدة مسلم بن ابى كريمة التميمى ، عندما كان جابر منفيا الى عمان بسبب تمرده ضد حاكم العراق،كان أبو عبيدة مسجونا، زاول تأثيرا كبيرا على المتأخرين من بنى امية . لكن بالنسبة لخطه السياسى المعتدل ، لم يكن يرغب فى التمرد بصراحة ضد بغداد ربما بسبب اشفاقه من شقاق فى المجتمع الاباضى ربما قد يحدث . ولكنه اعترض على خروج الاباضية من البصرة .

لهذا لم يهرب مثلما فعل باقى الخوارج ، وانما استوعب خطة ذات تأثير كبير ضمن موقفه المعتدل ، مستغلا غنى الجماعة الاباضية ومتخذا لها كاساس لمشروع دعائى اباضى فى كل انحاء العالم . الخطة كانت اقامة امامة اباضية مع بقايا الخلافة الاموية .

لقد حافظ على نظام الدعاة الذين ارسلهم فى كل الاتجاهات ، ومن هنا خرج الدعاة الذين وصلوا الى المغرب لكى يقيموا هناك الجماعة الاباضية ، استقروا أولا فى اقليم طرابلس مؤسسين مدينة طرابلس لتكون مقرا للدولة الجديدة ، وفى سنة مائة وواحد وأربعين هجرية ، سبعمائة وثمانية وخمسين ميلادية ، وصلوا الى الاستيلاء على القيروان ، العاصمة العربية لافريقيا فى ذلك الوقت ، هذه الدولة الاباضية الجديدة قد تحكمت فى كل الاقليم الطرابلسى فيما بعد الحدود الغربية لبرقة ، تونس وشرق الجزائر الحالية ، ومتضمنا موطن كتامة فى شمال قسنطينة .

عند تحطيم هذه الدولة بواسطة قوات العباسيين فى عام مائة واربعة وأربعين هجرية ، انسحبت بقايا هذه الدولة الى داخل الاقليم الطرابلسى والى المغرب الاوسط ·

هكذا بدأت مراكز المقاومة الجديدة للعباسيين · وهكذا فان عبد الرحمن بن رستم، الحاكم الاباضى القديم للقيروان وواحد من حملة العلم فى البصرة قد ذهب الى المغرب من بلاد الجريد حيث التقى بالكثير من العلماء الاباضيين ، الفارين من اقليم طرابلس ، فى هذا الاقليم الغربى من الجزائر الحالية اعادوا تأسيس مدينة تيهرت ، والتى ظلت لمدة من الزمن البؤرة الرئيسية للاباضية فى افريقيا ، أعلن ابن رستم اماما فى عام مائة وستين أو فى عام مائة واثنين وستين هجربة · الامامة الرستمية ضمت جنوب واحات وادى برج وورجلة ولقد شهدت فترات من الازدهار العظيم معترفا به من البصرة ، وان كانت فيما بعد قد سقطت على يد بنى الاغلب · الباقى من دولة تيهرت استمر حتى 909/296 مائتين وست وتسعون هجرية ، تسعمائة وتسع ميلادية ، فى هذا العام سقط على يد ابو عبد الله الشيعى ، والذى أسس الدولة الفاطمية على انقاض الاغالبة ، الرستميين ، أهل سجلماسة · وعند سقوط تيهرت فان آخر الائمة الرستميين ابو يعقوب قد هرب مع العائلة ومؤيديه الى « سدراته » فى واحة ورجلة الى الجنوب من دولة تيهرت · ولقد تعرض الفاطميون أيضا لورجلة فى محاولة للقضاء على أية فكرة لاتخاذها مركزا للاباضية · يمكن القول بان الملك الرستمى قد مات الى الابد ولكن ليس الامر كذلك فى المدرسة الاباضية ، والتى واصلت واستمرت حتى يومنا هذا · لقد قام المؤرخون على مدى العصور بابراز قيمة واهمية هذا الاقليم الذى يقام فيه هذا المؤتمر اليوم · وبفضل الرستميين قد احتفظ لنا بالاعداد الوحيدة الباقية من الخوارج ، والتى لم تبق فى أى جزء آخر من العالم · ولربما يرجع هذا وبدون شك على الاطلاق الى صبغتهم المعتدلة ، وانهم حافظوا باستمرار على الاقتراب الشديد من أهل السنة سواء فى السياسة أو فى المذهب العقائدى ·

وبهذه الطريقة يتبين لنا الاطار التاريخى لتصرف الاباضية · وعلى هذا يمكننا القول بان السمات الرئيسية كانت التوازن والاعتدال بين من يحيط بها من المتطرفين ،

وذلك يشرح لنا انه عندما تحاول التدقيق فى مصادر ذلك المذهب فان الواقع انك سوف تجدها قريبة جدا عن عدد ليس بالقليل من المدارس الاسلامية ٠

بدا لنا منذ البداية ان لهم علاقات مع الرواة من أهل السنة ، ولكن بشيء محدث دائــــما ٠

قبل الدخول مباشرة فى الموضوع الرئيسى للمحاضرة ، أود التوقف عند نقطة ندين بتوضيحها هى بالذات الى واحد من أهل ورجلة ، انه شيء يبدو لى اساسيا فى بناء علاقات الاباضية مع أهل السنة ، وبخاصة مع المذهب المالكى ٠ ذلك التوضيح يعطينا اياه أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى ٠ ان ذلك يتعلق بالتحقق عن ما هى مصادر الفقه بالنسبة للاباضية؛ أو بمعنى آخر ما هى الاجتهادات الاساسية للاباضيين. بناء على ما يقوله واحد من أهم المؤرخين لهذا المذهب « السالمى » فى مناظرته يؤكـد بان ثلاثة ؛ هم جذور الفقه عند الاباضية : القرآن ، السنة ، والاجماع ٠ فى الموسوعة الاسلامية يقال : بان الاباضية تعترف بان أصول الفقه فقط هى : القرآن ، السنة ، الرأى ٠ وكذلك ينتسب شكيب ارسلان للاباضية بانها ترفض الاجماع والقياس ، منيبة عن كلا الاثنين مبدا الرأى ٠

تحدث السالمى بصفة عامة قائلا بان أصول الفقه هى : القرآن ، السنة ، الاجماع٠ ويكمل ذلك القياس المدعم بادلة ليست من المذهب الاباضى ، ويضيف بعد ذلك شيئا يثير الفضول ٠

ان الخصوم فقط ، أى من ليسوا اباضيين ، هم الذين يرفضون الاجماع ٠ لعلـه يفترض ان هؤلاء الخصوم هم الفرق من المعتزلة ، وبعض مذاهب الخوارج والشيعة ٠ اما عن الاجماع فلقد قدم دفاعا مجيدا ٠

SACHAU المتخصص العظيم فى الاباضية يتعرف على : الكتاب والسنة ، والاجماع كمصادر لذلك الفقه ، ولكن فى وقت متاخر، MOTYLINSKI فى حديثه عن عقيــدة أهل الشمال الافريقى يعود الى التاكيد بانه ليس من الممكن القول باكثر من ثـلاثة مصادر للتشريع : الوحى ، السنة ، والرأى ٠

الايضاح لكل هذه المعميات يمكن ان نجده فى كتاب الدليل لاهل العقل للورجلانى. يقول لنا ذلك المؤلف : ان البرهان يمكن ان يصدر من : الكتاب ، السنة ، الاجماع ، ومن العقل . هذا المعنى الاخير ليس من شك على الاطلاق فى انه يعادل القياس . ويضيف : وليس من الممكن ان ترى مصدرا خامسا الا التقليد . انه يميز الاجماع كالآتى : «**اجماع أهل العلم من الافراق مع الامة**» .

ان الخطأ يتضح بسهولة حينما يسمى الاجماع بعد ذلك « برأى المسلمين » ومثل ذلك بعد عدة سطور من ذلك التمييز الذى نقلناه الآن يقول لنا : الوجوه الاربعة : الكتاب والسنة ورأى المسلمين ، والعقل . فى مثل هذه الحال فان الرأى ، والعقل مترادفان . ومن هنا يمكن ان نقول ، فى النقاط الجوهرية ان الاباضية تتفق مع السنة وذلك ما يشرح استمرار حياتها حتى ايامنا هذه .

من الواجب أيضا البحث عن علاقات القرب بين الاباضية والصوفية.سمة الكتمان التى استمرت خلال الفترة التى لم تستطع فيها الاباضية الالتقاء مع الظروف التى تسمح لها بالعيش فى الظهور . تذكر قليلا ، الطرق الباطنية للصوفيين . ولكن بدون الذهاب بعيدا ، فان الورجلانى نفسه قد نسخ فقرات بنصها عن الغزالى . وبخاصة فى درجات التطهر فى ذلك المذهب ، وان كان لا يذهب بنا ذلك الى اعطاء صفة الصوفية الى الاباضية .

القراءة التفصيلية للاباضية يمكن ان نستنتج منها نقاطا ليست بالقليلة تتصل بالاشعرية ، والمعتزلة . ان التعايش بين هذه الفرق الثلاث يمكن ان يشرح التوافقات غير القليلة .

لن ننسى ـ على سبيل المثال ـ ان واصل بن عطاء ـ واضع اساس الاعتزال كان يطور نشاطه فى البصرة فى نفس فترة ابو عبيدة .

وبالتأكيد ، وفى تلك النقطة التى سنشرحها فى تلك اللحظات يمكننا ان نلاحظ بان العقيدة الاباضية ستحتل مكانا وسطا بين الاشعريين والمعتزلة ، وذلك بالتأكيد لانها وضعت فى تفكيرها مسار المدرستين .

انتقل الآن الى الجزء الثاني مما اعددته ، والذى سبق القول عنه بانه ليس أكثر من مجرد تحضير ، بكل تأكيد منه يمكن ان نتفهم افضل · انه شيء قد شغل تفكيرى دائما واهمنى فى دراستى اللاهوتية ، اقصد بذلك : العلاقات بين الحرية الانسانية والتدبير الالهى ، اذا كان الله يفعل كل شيء اذن فأين هى حريتنا ؟ واذا كان الانسان حرا بما في ذلك اعتراضه على الارادة الالهية فأين هى السلطة المطلقة للاله ؟ ، الحلول تمضى مغلفة بالاسرار وبدون ان يكون هناك جواب واحد صريح ، يمكن ان يزيل كل تلك الشكوك ، فنحن لم نعرف الله بطريقة شاملة مستوعبة ، ولا لغز الانسان قد وصل الى فك طلسمه تماما لكى يوضح لنا متى نكون احرارا تماما ·

لقد خدمتنى هذه المقدمة مرات كثيرة حين جعلتنى أرى فى محيطى وعالمى غير الاسلامى بأن مشكلة الارادة الانسانية ليست قاصرة على الاسلام وانما هى من الاشياء الواقعة تحت جميع الاديان ، ولكل من يرغب فى عمل دراسة متعمقة لاسرار الانسان ·

لكن فى تقديرات الاسلام بالنسبة للكثيرين من الغربيين ان المسلمين انما هم جبريون · ومن هذا الجبر ـ بناء على ما يقولون ـ ينبع الجمود وفقدان قوة الارادة عند المسلمين · ان ذلك ينتشر فى كثير من الدراسات النفسيةوعند تعداد الخصوم للحرية الانسانية يسجل المسلمون فى المجال الاول ، ويكون استغرابهم كبيرا عندما يتاح لهم ان يروا فى التاريخ الذى بين ايديهم ان الاغلبية الاسلامية دافعت عن الحرية الانسانية وان الشيء الوحيد الذى اجمعوا على معارضته هو ان الله بأى شكل من الاشكال يمكن ان يتعرض لتحكم الانسان ·

يصلح كل ذلك كمقدمة لكى نرى أهمية الموضوع · وان كنت اليوم أريد ان اقول لكم بأن دراسة الاباضية ، قد اكتشفت مذهبا اصيلا ، شيئا مختلفا عن كل ما تعودت الالتقاء به حتى الآن فى الفلسفة الاسلامية ·

علينا ان نترك المبادىء الاساسية للاسلام موضحة تماما : أولية الاله وبخاصة قدرته على الخلق ، التسليم بقدرته المطلقة ، الله القادر على كل شيء ، ليس من احد يستطيع الاعتراض على قصده ، ولا على تدبيره ·

هذه المقدرة الآلهية المطلقة تشرحها الاباضية فى صيغة عامة الى حد كبير مع غير القليل من المدارس الاسلامية ، الله خالق كل افعال الانسان ، ظهر ذلك كله جليا فى مدونات أبو زكريا الورجلانى ، حين ينقل الينا محادثة حاول فيها الشيخ أبو نوح نقض افكار ابن حموا . لقد حاول فيها ان يستفزه وبالتاكيد استطاع ان يحصل على التصريح « كل ما هو جديد مخلوق » . فى مكان آخر يحكى ابو زكريا : بانه ذهب لزيارة ابى نوح عندما كان مريضا ، فقال له ابو نوح : ان الشيطان يلقى الى بالشك نحو معلمى ، ويجعلنى اهاب الموت ، عند ذلك اجابه أبو زكريا « اتعرف ... يا شيخ ... بان كل ما ياتى الى روحك يشكل جانبا من تصوراتك ، أو يزعزع من ثبات قلبك وذلك الذى تصل اليه بذكائك ، كل ذلك يشكل جانبا من خلق الله » .

لكن هذا المبدأ الذى يبدو واضحا جدا لعقلية مسلمة مؤمنة ، انما يزرع سلسلة من المشاكل عندما يراد عمل جمع بينه وبين الحرية الانسانية . توجد ثلاثة حلول تقليدية توضع عادة فى جميع المحاولات اللاهوتية الاسلامية تقريبا . اثنان متطرفان والثالثة فى الوسط . الذين يؤمنون بالقدر يميلون الى الدفاع عن الحرية بوجه عام انها العقيدة التى يدافع عنها من يسمون بالفلاسفة الاسلاميين . النص المعارض هو الذى يمثله أهل الجبر ، ان الله سبحانه وتعالى قد قدر على الانسان كل افعاله ، وكل ما يفعله الانسان انما هو من خلق الله فيه ، فى نظرية كهذه من الصعب جدا ان ترى الحرية الانسانية .

الموقف الوسط كان يمثله الاشعرية ، ما بين نشاط ايجابى للانسان يكون مستقلا عن ما لله ونشاط ايجابى لله يتحكم فى كل التحركات الانسانية ، من الممكن السماح بنشاط سلبى للانسان ، ذلك هو استقبال افعال الله . بين القدر والجبر يكمن الكسب أو الاكتساب . هذه القدرة على تقبل افعال الله انما هى حرة فى الانسان، ولكن فى مواجهة سؤال اخير ، هل هذا الاكتساب واحد من افعال الانسان ، أم هو واحد من افعال الله فى الانسان ؟

يجيب الاشعرية : بناء على المبادىء العامة ، كل الافعال انما هى من عند اللـه ، ويترك دائما الشك فيما اذا ما كانت الحرية الانسانية عند الاشاعرة انما هى حرية اسمية بحتة ٠

اعتقد ان افضل من عالج موضوع الكسب هذا فى الاباضية ، انما هو اباضى من عمان اقصد أبو محمد عبد الله بن حميـــد السالمى ، فى كتاب له منشور بالقاهرة تحت عنوان « بهجة الانوار » شرح انوار العقول فى توحيد ٠٠٠٠٠ وان كان من غير تاريخ الا انه لاحق على العام 1317 هجرية ٠ مذهب الاكتساب يوجد فى الجزء الاول ، ما بين الصفحات : 139 ــ 146 ٠

قبل كل شىء على ان اذكر بان صيغة الاباضية انما هى بصورة أوضح ضمن خط الاكتساب الاشعرى ٠ دون أن يكون هنا نص على الاطلاق يمكن ان يثبت القول بان الاباضية قد اخذت مذهبها من الاشعرية ٠ ثبت ان الاباضيين لم يكونوا قدريين ولا جبريين ، ومن المؤكد انهم كانوا يعرفون عقيدة الاشاعرة ، وفى التطبيق فى الواقــع يفسرون باصطلاحات اشعرية ٠ وعلى هذا المثال واحد من معاصرى الاشعرية ، يسمى الكعبى ، وتوفى فى عام 931 تسعمائة وواحد وثلاثين، يقول لنا معتمدا على الشهرستانى (ج 1 ص 181) بان الاباضيين يظنون : « ان افعال الانسان قد خلقها الله الاعلى فى قدرته على الابداع والتاليف ، ومكتسبة بواسطة الانسان ، بذلك المعنى الخاص ، وليس المجــــازى » ٠

ان الاصطلاحات اشعرية ، ولكن ليس من الحتمى القول بانها نقلت عن الاشعرية ، وذلك لان الكسب والاكتساب يمكن الالتقاء معها كثيرا ضمن القرآن الـــكريم والذى استخدم فقط للدلالة على الافعال الانسانية ، اما الفعل من جهة أخرى فانه يستخدم للتعبير عن الافعال الآلهية مثلما استخدم للافعال البشرية ٠

ومن المعتاد الاحتفاظ بكلمة الخلق لله وحده ٠ وان كان فى بعض الاحيان يمكن ان تنطبق أيضا على الانسان ٠

ولعله مما يثير الفضول حقا ان المعتزلة فد تعودوا على البرهنة بآيات الاكتساب لكى يدافعوا عن الحريــة المطلقــة للمخلوق ٠

أهل الجبر الذين ينكرون الحرية الانسانية يحولون الكسب والفعل عند الانسان الى مجرد انفعال أو تأثر غير لائق بالوصف ، انه فقط مجرد مظهر . بالنسبة للمعتدلين فان الاصطلاح يعنى الناحية البشرية من وقائع موضوعة فى الوجود بواسطة الآله . عند أهل الاثبات المعاصرين للاشعرية ، فانهم يجادلون حول العلاقة التى كانت بين المكتسب والفاعل (ج 2 ص 540) ، محمد بن عيسى ناقش فى مسألة العلاقة بين القدرة الآلهية وبين الكسب ، عديدا من الكتاب قد سبق استعمالهم الاكتساب فى صيغهم ، مما نستطيع معه ان نعتبر انه كان قبل الاشعرية بكل وضوح . من المؤكد ان الخوارج كانوا خصوما للقدرية ومن ذلك ما يضعه الشهرستانى على لسان مؤسس المذهب من كلمات : الله قد خلق الافعال للعبيد يختارونها بقوة وارادة . وهو مسؤول عنها فى الخير والشر ، ويحاسب عليها بالجزاء أو العقاب » .

بناء على ذلك فان الاباضيين يمكن لهم التوصل بطرقهم الخاصة وبدون مؤثرات خارجية الى ان الافعال الانسانية مثبتة فى القرآن على انها مخلوقة بواسطة الاله، ومكتسبة عن طريق الانسان فى آن واحد . وفى الواقع فان الصيغة الاباضية تحتوى على الكثير من مضمون الحرية اكثر من الاشعرية حتى وان كانت افعال الانسان قد خلقها الله لكن الانسان يوجد له الاكتساب والذى يجعلنا مسؤولين بالجزاء والعقاب فى الحياة الآخرة . ان الجبر جرد من القيمة أوامر ونواهى الله سبحانه وتعالى ، انما ينطبق ذلك فقط على ارسال النبى وعلى التكليف، وعلى هذا فلم يكن على الاباضيين السير بحذر واحتياط الاشعرية والذى يشرح الحرية على انها علاقة القوة مع تأثيرها داخل القوة، ومن غير أية مؤثرات لها.

ان الاكثر حداثة عند الاباضية فى رأيى هو الادخال على مبدأ الكسب عنصرا جديدا من الاختيار ، انها صيغة ملقحة بزيادة ما « الله يخلق افعال الانسان ، عند ما يختارها ويتحول تجاهها للحصول عليها » (ص 141) . هذا الاختيار ليس موجها نحو معنى واحد وضعه الله ، ولكنه انما هو القدرة على العمل أو عدم العمل فى ذات الوقت ، وهكذا يظهر الاكتساب فى تفسير السالمى وكانه موازن للاختيار . هذا يشرح لحظة المداولة ، ذلك انه فى الواقع ان السالمى ليس مضطرا للسير مراوغا لكى يرى اذا كان الفعل الانسانى يصدر عن معنى خاص ، أو عن معنى مجازى . ان الصيغة لا يمكن ان

تكون أكثر وضوحا « القدر حسنا كان أم سيئا انما هو من عند الله » • الذى خلق الخير والشر ، هو الذى يأمر به وهو الذى ينفذه ، والذى يجعله يحدث فى وقته المختار• ولكن فى نفس الوقت الفعل يأتى من الانسان ، والانسان هو الذى يفعل ، له ارادة وله اختيار ، وهو الذى يقدمه ، وفيه يتحرك ويتوقف ليس مضطرا ولا مجبرا ، ان القضاء والقدر لا يجب اخذهما على انهما قدر مسبق وكذلك فى وقوعه ، وانما هما لحظتان من الخلق (136 _ 137) ان لله سبحانه معرفة الغيب ، وكذلك الارادة السابقة، الاولى ليست الا بندا من العلم الآلهى ، والثانية انما هى قدرة لما سوف يكون الاختيار الحر للمخلوقات • ان اللهلايمكن ان يكون جاهلا بما سيحدث ولا يمكن ان يكون مضطرا لتحمل ذلك من أجل من لم يعطه رضاه وقبوله • (انظر المصعبى ص 155) •

من أجل ذلك يضيف النص القرآنى : « **فلو شاء لهداكم أجمعين** » ان التفسير الذى يعطيه النص كالآتى : اذا كان الله قد رغب فى هدى الناس الى الصراط المستقيم، كان فى امكانه عمل ذلك وليس من الممكن القول بعجزه ، ولكن حكمته اقتضت اعطاء التخيير بين الصراط المستقيم وبين الضلال ، ولهذا اعطى الناس القدرة على اختيار أى الطريقين يرغبون.لا يوجد _ بكل تأكيد _ أى اجبار ولا اكراه •

بطريقة مشابهة يفسر لنا آيات أخرى متشابهة ، ويختم السالمى: نعتقد بانه سبحانه هو خالق افعالنا ، ويعرفها ويريدها ، ومع كل ذلك فلقد منحنا الاختيار بين ما نرتكب وما نترك • أى انه لم يجبرنا على واحدة من الاثنين ، الذى يرغب ما يعتقد ، والذى يرغب أيضا وان كان بغير اعتقاد (ص 146) • بهذا _ كما تستطيع ان ترى _ ليس من حاجة الى تلك التقييدات الاشعرية التى تحمله على الاعتراف بان الانسان حر ظاهريا ومقيد فى الواقع • ان الذى لم يرغب فى قوله ان هذا المذهب يحرم التسليم بان القضاء والقدر انما هم من الاسرار الخفية ، ليس من المفيد محاولات جس النبض ، لان الله قد احتفظ بعلمه لنفسه •

اعتقد ان هذه هى النظرية الشائعة فى الاباضية ، نظرة المشرقيين يجب ان تكون متشابهة جدا ، لان عبد القاهر بن طاهر الجرجانى (الفرق ص 184 انظر الشهرستانى ص 101) • يثبت على الاباضيين المشرقيين « الحراتية » بانهم يمارسون حرية المشيئة •

قالوا فى باب القدر باثبات قول المعتزلة · من الواجب القيام بدراسة مستوعبة للنصوص المشرقية ، ولكن ما يستحق فعلا التصحيح هو ان تلك العقيدة كانت عامة عند جميع الاباضيين الغربيين كما أكد Sachau ·

هكذا المصعبى بعد ان اثبت بصراحة « جوهرة اللقانى » وبعد ان كان قد حدد الكسب كوسيلة اتصال قوتنا العرضية مع الفعل بدون تعثير (ص 153) · ومع نشاط تبادلى بين القوة والفعل ، انتقل لشرح مذهب أهل « جبال نفوسة » والذى يحرم تماما حرية الاختيار عند الانسان · من بياناته يمكن ان نرى بوضوح بان موقفا ما من هذه المسألة بين أهل جبل نفوسة ، واباضية المغرب الاقصى ان النص هنا ايجابى جدا حين ينقل لنا : ان هؤلاء مفطورون مجبولون ، مطبوعون على عمل ما ارادهم الله لعمله قبل خلقهم · على ما قال ابن عباس « رضى الله عنه وعن ابيه » « ان المخلوقات تنجذب لعمل ما اقتضاه الله عليها ويمضون فى الاتجاه المحدد فى الكتاب المعلوم · لا يرغبون فى شىء آخر أكثر مما اراده الله لهم وليس لهم اختيار فى الافعال التى عنهم تتأتى ، ومن ضمنها يتضمن الكسب السابق ، ومع ذلك فليسوا مكرهين عليها ، ان معنى التعبير « انهم مجبولون عليها » هو بانهم خلقوا ليعملوا ما قدره الله لعملهم قبل خلقهم وليس الى الحد الذى يصوره أهل الجبر ، بانهم مجبورون عليها ، وليس لهم أى تدخل حتى فى صيغة الاكتساب · الدليل على انهم مجبولون هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام هذه القلوب جبلت على حب الخير ، وكراهية الشر أو كما قال : (ذلك الى جانب قول الحق سبحانه : ومن أراد الله) ·

بعض زملائنا من اصحاب الاعتقاد الاباضي يقولون بان العبد له الاختيار فى افعاله، ولكن الرأى الافضل هو الاول ، وهو رأى شيخ الجبل بينما الثانى « الخاص بالاختيار » فهو رأى شيخ العرب ·

والمسلمون لا يسمحون بان اللـه يكره العبـد على أفعاله لانـه كتب فى اللوح ما افترضه من ناحيته قبل بداية الخلق ·

يضيف زملاؤنا بان أفعال العبيد لا توجد الا عندما تتوافر خمسة أشياء :

مشيئة الله ، ارادة واكتساب العبد ، المساعدة التى يمنحها الله لهذا العبد عندما يكون العمل عمل طاعة والتخلى عنه فى حالة عمل معصية والخلق من جانب الله للعمل نفسه من أجل العبد فى نفس لحظة العمل لا قبل ، ولا بعد • وان العبيد انما هم مقرونين ومصاغين على ذلك الذى قد عرفه الرب الحميد قبل خلقهم وقبل ان يأتى بهم الى الوجود ، وليسوا مجبورين ولا مختارين (160 ـ 161) • وتلخص كل هذه العقيدة تفسير هذه العبارات الثلاث : العبد ليس مجبرا على أى فعل ، على ما يقول أهل الجبر وليس « مختارا » كما يقول بعض من ائمتنا ولكنه يكون مصورا ومطبوعا من أجل أعماله (ص 162 ـ 163) •

هذا كل ما يقوله لنا المصعبى بالنسبة لاباضية « جبل نفوسة » وان كان رايه الشخصى مختلفا عنها ، لانه لم يكن موافقا لا على « الجبل » ولا على « الجبر » مدافعا عن الكسب والاختيار (ص 169) •

الورجلانى لم يتكلم عن المسألة فى « قناطير الخيرات » كتاب لمؤلف من القرن الثامن : أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالى • وان كان يفسر رأيه الشخصى ، الا انه تقريبا لم يقم بأكثر من نسخ فقرة « الاحياء » التى تصور الكسب الحلال لا اختيار صرف ولا جبر بحت ، (ج 1 ص 233) نفس المصدر ج 1 الكتاب الثانى الفصل الثالث ، الركن الثالث •

اختتم ، قائلا : بانه فى ذلك الاقليم قد اقترن بنظرية حول الحرية الانسانية من كل جوانبها أصيلة ومختلفة عن الاشعرية • هناك نشاط متبادل فى أفعال الانسان • من هنا القول بان الافعال البشرية هى النتاج الحتمى لسبب مزدوج من الله ، ومن الانسان • لم يعد هناك أكثر من خطوة واحدة ، فى الكسب أو فى قبول الانسان للنشاط الالهى ، علاوة على تلك التى يكون الانسان غير قادر على عمل شىء هناك قدرة على الانتخاب او الاختيار تترك تماما المجال للحرية الانسانية انما مدرسة اخرى من المدارس الاسلامية حيث لا يعطى مجالا كثيرا للجبر كآخرين نتيجة خطأ يبنون اعتقادهم فى جوهر الاسلام •

أريد أن أنتهى من هذه المحاضرة ـ مسلطا الضوء على واحدة من معتقدات القبائل البربرية الاباضية ، والتى نقلها المؤرخون والجغرافيون من أهل الشمال الافريقى منذ القرن الحادى عشر الى القرن السادس عشر · فى نهاية الحياة كل الاباضيين سوف يجتمعون فى مكان ما لكى يتفرقوا من هناك الى « الجوجراف » تقريبا هو مكان سرى لانقاذ من عاش حتى ذلك الوقت محافظا على ايمانه · يقصد بذلك مكان ما فى الصحراء مزود تزويدا طيبا بكل الاحتياجات وبالماء · هذا الموطن فى نظر الكثيرين سيكون « ورجلة » ، ويوصف هذا الموضوع بالطريقة الآتية :

سكان المحلات فى « دارجين » منطقة « قنطرار » فى بلاد الجريد سينتقلون الى « سوف » · ومن فى « سوف » الى « اريجا » واهل « اريجا » الى « ورجلة » حيث يفترقالجميع معا الى « ججراف ».هذه المدونات الاخيرة هى آخر ما قرأته قبل اقلاعى الى هذا الاقليم الذى اطلق عليه الورجلانى اسم « موطن الرحيل » لا أعرف لماذا يخيل الى بان « ورجلة » بالنسبة لنا ، كل من يعتقد باننا قد تجمعنا هنا « ججراف » حقيقى ، نقطة لقاء ،منها سنخرج معا الى الله الذى ليس ببعيد ، طريق الى يوم الحساب ·

بالنسبة لنا ـ الذين يومنون ـ ليس يوما للاحزان ـ لكنه البداية لسعادتنا الحقيقية فى مواجهة اله سوف يجازينا على الخير الذى صنعناه بارادتنا ·

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله ·

المـــــرأة فى صــدر الاســـــلام (*)

د · سيغـريد هونـكه
كاتبة فى تاريخ الاديان المقارن والحضارات
ـ بون ـ جمهورية المانيا الاتحادية

الطرق التى تؤدى الى اتحاد الجنسين والى حيـاة كاملة ينعم فيها الاثنان عديدة · وليس لاى سبيل من هذه السبل قيمة عالمية ، ولا الواحدة منها بالتى ترجح أو تفوق الاخرى · وكل واحدة منها ـ اذا كانت تؤدى الى تحقيق الـ «أنت» والـ «نحن» ـ تتعلق بارادة الله ، وصالحة لمن يبلغ بها كمال ذاته · فالعلاقات بين الرجل والمرأة جوهرها الكيان الخاص بكل طراز بشرى ، وهى وثيقة الارتباط بما لهذا الطراز البشرى أو ذاك مـن تجربة أو خبرة عن العالم ، والطبيعة ، والمصير ، والاله ·



ان فهم مختلف الانواع البشرية ، وشتى المجموعات العرقية ، وعلاقاتها الاساسية بالله هو وحده الكفيل بتفسير طبيعة العلاقات بين الجنسين (الذكر والانثى) فى كل منها ، ووضعية المرأة فى مجتمعاتها · فليس القانون الاساسى الذى ترتكز عليه هذه العلاقات واحدا لدى البشر كلهم : اذ لا يساعد هذا القانون على بلوغ النظام وتحقيق الهناء والسعادة الا أولئك الذين شرعوه وسنوه ، ولو فرض هذا القانون على الجميع

(*) نص محاضرة القتها الدكتورة فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى فى ورجـلان (ورقلـــة)

لكان فى ذلك انتهاك لحرية الذين قد لا يرتضونه ، لان كل ضرب من ضروب الحكم المطلق انما هو ضرب من جنون الاستعلاء الذى يقود الى المجمر او الى غرفة الغاز ·

ولقد بسطت هذه الافكار الاساسية عن الرجل والمرأة فى كتابى الذى عنوانه : « فى البدء كان الرجل والمرأة » وهو الكتاب الذى اهديته الى مواطنى الالمان ، عساهم يستطيعون ـ بعد ان تاسوا لمدة الف عام بالنموذج الاسرائيلى المسيحى عن المرأة ـ حواء الخاطئة ـ أن يكتشفوا فى نهاية الامر طبيعتهم الحقيقية ، وان يكفوا عن الانقياد الاعمى الى النماذج الاجنبية الواردة من الشرق أو من الغرب ، من الشمال أو من الجنوب · وكذلك فليس فى نيتى أن أقدم لكم ـ أصدقائى العرب ـ مبدأ أوروبيا عن وضعية المرأة العربية الاسلامية فى مجتمعها ، ذلك لانه لا يمكن فى الواقع لرجال أى شعب أو نسائه أن يكونوا سعداء الا اذا عاشوا على مقتضى القانون الخاص بطبيعتهم.

حقا ان هناك نقطة مشتركة بين نساء العالم الاسلامى وبيننا نحن الاوروبيات اللاتى عانينا لمدة ألف عام النموذج الاجنبى المفروض من العهد القديم الاسرائلى ، وهو النموذج الذى تحررنا منه اليوم من اجل ان نتأسى بمثلنا القديمة · وفعلا فان النساء فى الاسلام قد رضخن كذلك مدة تسعمئة سنة الى نموذج أجنبى لا يتفق أبدا مع أقوال الرسول محمد فى القرآن ، ولا مع تصوراته عن وضعية المرأة العربية فى عهده · واسمحوا لى ان أذكركم هنا ببعض أقوال الرسول فى الرجل والمرأة من جهة ، وفى وضعية المرأة فى عهد ما قبل الاسلام وفى فجر الاسلام من جهة أخرى ·

ان كل ما ورد من أقوال الرسول فى القرآن والحديث ليلح على مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، سواء أكان ذلك فى المجال الروحى والدينى أم فى المجال الانسانى والاجتماعى المحض · وقد ألحت السورة الرابعة من سور القرآن على تساو فى الطبيعة بين الرجل والمرأة اللذين خلقا كلاهما « من نفس واحدة » ، ونجد الترابط الاخوى أمرا مطلوبا بين « المؤمنين والمؤمنات » فى السورة التاسعة · وأوصى الرسول فى خطبة الوداع بحسن معاملة النساء ، وتتحدث السورة الثلاثون عن « المودة والرحمة » وعن الامن الذى يجده الرجال لدى النساء · وفى السورة الثالثة تقرير للمساواة بين

الرجل والمرأة فى أجر العمل · وهناك عدة سور تلح على المساواة بين الرجل والمرأة فى مسؤولياتهما المتبادلة · بل وثمة شهادات أخرى تثبت المساواة بين الجنسين مما نادى به الرسول ، وجرى عليه العمل فى صدر الاسلام ·

من ذلك ان شخصية النساء قد لعبت فى عهد الرسول دورا هاما وقائما بذاته · بدءا بالتى كانت زوجته الوحيدة لمدة أربع وعشرين سنة ، وأعنى بها خديجة أرملة التاجر الغنية التى مارست تجارة مستقلة وكانت أول من آمن برسالة محمد ، وشجعته على القيام بها والاضطلاع بأعبائها ، كما كانت له عونا على مغالبة ما كان يراود نفسه من شكوك ·

لكن حصل تغير فى وضعية المرأة تحت تأثير اجنبى عقب الحدثين الآتيين : ففى القرنين التاسع والعاشر ، ساعد التزوج بالنساء الفارسيات فى قصر الخليفة ببغداد على التسرب المتزايد لنفوذ الفرس عن طريق الحجاب المفروض على المرأة · ووجود الحريم والخصيان على غرار بيزنطة المسيحية · وما كان فى البداية مقصورا على المكانة السامية لزوجات الخليفة وسيدات القصر سرعان ما اصبح « موضة » فى الاندية الانيقة ، واخيرا فى المدن والحواضر الاسلامية بينما ظلت النسوة فى البادية يعشن عيشة حرة ومحترمة · ولقد كان الخليفة القادر بالله المعروف بتزمته الشديد والذى يرجع حكمه الى حوالى سنة ألف هو المشرع لقوانين غاية فى الصرامة بشأن ارتداء المرأة ما يستر وجهها ، وبشأن حجبها فى الحريم · وبعد سنوات من ذلك ، منع خليفة مصر الحاكم منعا باتا كل النساء مهما كانت مكانتهن من مغادرة الحريم أو بيوتهن الا اذا كن مصحوبات أو محتجبات حتى العينين ·

تلك كانت نتيجة الارثوذوكسية المزيفة الورع التى سادت فى ذلك العهد ، والتى كانت تحدوها روح معادية للمرأة لا علاقة لها بالعرب اطلاقا ، روح سبق أن سرت الى المسيحية قبل ذلك العهد بألف سنة عن طريق التوراة · انما انتشر هذا التمييز للمرأة تحت سيطرة الاتراك والمغول · ذلك التمييز الذى كان ولا يزال يفسر ــ خطأ ــ كما لو كان من تقاليد العرب القديمة المحترمة · وذلك كان ــ حسب ما أراده الرسول ــ النموذج العربى الخالص للمرأة ومكانتها فى الاسلام الى أن ذاعت الافكار الاجنبية

الواردة من الفرس وبيزنطة المسيحية ، والتى كان من نتائجها التفسير الضيق للقرآن واسمحوا لى أن أورد عليكم بهذا الصدد أمثلة مختلفة مأخوذة من التاريخ العربى ·

لقد كنا ما نزال نستمع فى البلاط الاموى الى أقاصيص قديمة مثل القصة التالية : قصد الحارث بن عوف شيخ قبيلة بنى مرة القوى الشكيمة بلد أوس بن حارثة الشريف والعزيز فى قومه ليخطب احدى بناته الثلاث وقد رفضت البنتان الكبريـان ـ وهما دميمتان ـ التزوج من هذا الرجل ، لكن باحثة صغراهن أجابت قائلة : « أنا ذات حسن وجمال ، وقد واعتدال ، وذات حسب ونسب ، ولى يد صناع ، فويل له اذا تجرأ على رفضى ! » فقال لها أبوها ، بارك الله فيك يا بنيتى !

وأمر باقامة العرس ، وبنصب خيمة كبيرة ، ولمـا تـم له ذلك ، أمر بحمل العروس الى زوجها · ولما هم الحارث بالاقتراب من باحثة أشارت اليه بأن لا يتحرك · ماذا ! أأحتفل بعرسى هنا عند ابى ؟ ·· أبدا لن يحدث ذلك · عندئذ أمر الحارث برفع الخيام وحملها على الجمال وكان الرحيل · ولما كان المساء أمر الحارث بحط الرحال ونصب الخيام ، لكنه لما هم بالاقتراب من زوجته الشابة أشارت اليه بأن لا يفعل. ماذا ! أتريد أن تعاملنى كجارية تشترى ، أو كأسيرة حرب تؤخذ غصبا ؟ والله لن تضمنى بين ذراعيك قبل أن يحتفل بعرسنا وسط القبيلة ، وقبل اقامة وليمة يدعى اليها أعضاء القبائل العربية كلها ·

استأنفوا الرحيل حتى وصلوا الى قبيلة الحارث · فدعا هذا الاخير عددا كبيرا من الضيوف ، وأمر بابل وأغنام فنحرت أو ذبحت لاقامة الوليمة ، وأقيمت الاعراس وفق رغبة باحثة ·· وهم الحارث بالاقتراب من عروسه ، فأشارت اليه مرة اخرى بـأن لا يفعل · ماذا ! أتجد من الوقت ما يكفيك لمداعبة امرأة،وخارج البيت قبيلتان تتناحران ، وذبيان وعبس (قبيلة أمى) فى حرب طاحنة ؟ اذهب وعجل بالصلح بين القبيلتين المتنازعتين ، ثم عد الى زوجتك لتجدها فى انتظارك بقلب ملؤه الحب ! أسرع الحارث الى القبيلتين المتحاربتين منذ أربعين عاما · وتوصل بعد جهد جهيد الى احلال السـلام بينهما · وبعد احصاء القتلى من الجانبين تعهد بتعويض القبيلة التى منيت بأكبر الخسائر وذلك بأن يهب لها ثلاثة آلاف ناقة فى ظرف ثلاثة أعوام · ولما استتب السلام بفضل

كرم الحارث وسخائه ، عاد الى بيته وعليه هالة من المجد والفخار ، واستقبلته زوجته بصدر رحب ، وأنجبت له عددا كبيرا من البنين والبنات ٠

ويصمت القاص ، وتصدر من المستمعين آهات عميقة ، وعبارات « ما شاء الله » لتدل على ان القصة أصابت منهم الوتر الحساس ٠ فالفتاة باحثة امـرأة عـلى وفــاق ما يتمنون ٠ وفعلا فان المرأة فى القرون الاولى للهجرة لعبت دورا كبيرا فى ميــادين القتال ، وفى الحياة العمومية ٠ وكانت خديجة وهى أرملة تاجر غنى ، والزوجة الاولى للرسول التى أنجبت له ستة أطفال امرأة تتمتع باستقلالها الذاتى كذلك ، وتخوض غمار الحياة العمومية ٠ وكان لزوجة الرسول الثانية عائشة اثر كبير فى الحفاظ عـلى السنة والحديث ٠

وما تزال المرأة الكريمة المحتد ، الواعية بقيمتها ومكانتها الذكية والجهادية تجسد نموذج الارستقراطية العربية ٠ فعليها ـ كما يريد لها الرسول ـ ان تطلب العلم مثلها فى ذلك مثل الرجل ٠ وقد رغب كثير من كبار رجال القضاء والتشريع فى أن تمارس النساء مهام القضاء ٠ وهكذا شهدنا نساء ضليعات فى الفقه والقضاء يعقدن ندوات عامة فى المساجد ، ويشرحن القوانين ، ومن هؤلاء النسوة « أستاذة النساء القانونيات أو الفقيهات » أستاذة القانون العــام الشهيرة ٠ ذلك لان العالمة « حوحدة » الملقبــة بمفخرة النساء ، قد أطبقت شهرتها العالم ٠ فبعد أن درست على مختلف العلمـــاء الفطاحل ، حصلت على اجازة بالتدريس وبرفع راية المعرفة عالية ، ولا جدال فى أن النساء الشواعر ما يزلن تماما كالعهد السابق ، ينافسن الشعراء من الرجال ٠

ويحفظ لنا التاريخ أسماء لنسوة عارفات بأصول الدين وبعلم الكلام والتصوف مثل رابعة البصرة والصوفيات ، فمثل هؤلاء النسوة العربيــات لم يضطهــدن ولم يستعبدن ابدا ، ولن يتعرضن للاضطهاد والاستعباد ما دامت الارستقراطية العربيــة قائمـــة ٠

فلقد كانت زوجات الامويين فى دمشق بل وحتى زوجات أوائل العباسيين فى بغداد ، و الخيزران أم هارون الرشيد الشهيرة ، وزوجته الذائعة الصيت زبيدة نساء نشيطات مستقلات فى الرأى ، وذوات تأثير ونفوذ ٠ وكن ـ وهن محل تقدير

واعجاب ـ يتمتعن بالاحترام والتبجيل مما لم يشهد له الشرق نظيرا من الوجهة الرسمية ... لكن اسبانيا العربية ستذهب الى أبعد من ذلك بكثير .

فنساء الاندلس العربيات بالخصوص ، سواء أكن سيدات الطبقة الراقية ، أم مجرد فتيات بل وحتى الجوارى يذهلننا من حيث ما يتمتعن به من استقلال فى الرأى وثقة فى النفس ، وعلو الهمة ازاء الرجال . فهن يقمن بنشاط كبير فى الحياة الفكرية ، يؤلفن كتبا علمية ، ويتغنين بحبهن فى الاشعار ، وكل ذلك بما لا يقل ثقة وفطرة عن الرجال أنفسهم .

واذا كانت النساء فى عهد ما قبل الاسلام ، ونحن نعرف أسماء ستين منهن ، ونتوفر على ديوان كامل لاحداهن يضاهين الرجال ، وينافسنهم قصب السبق ، فان للاندلس كذلك نصيبها من الشواعر الشهيرات وشاهدنا على ذلك هند الحسناء البارعة فى نظم الشعر ، وفى العزف على العود ، أو حفصة العبقرية التى ذاع صيتها عبر الاندلس بشعرها وبفصة غرامها المؤثرة للشاعر أبى جعفر ، أو الاميرة المتحمسة عمر القران أو تلك المغنية المتواضعة التى باحت فى احدى قصائدها دونما أى خجل فى حضرة عاشقها ـ وما هو الا المنصور ملك الاندلس ـ بهواها للوزير فلم تنج من غضب الملك المنافس الغيور والذى شعر باهانة الا بفضل سرعة بديهة وارتجال .

ومن بين العديد من النجوم السواطع الصغيرة منها والكبيرة الاميرة ولادة التى قال فيها أحد العرب : « لقد كانت ولادة سيدة عصرها الاولى ، فهيئتها التى تنم عن ثقة بالنفس ، ورفضها الحجاب يشهدان بحدة طبعها . وكان ذلك أفضل وسيلة لاظهار محاسنها اللطيفة بما فيه جمال المحيا وحسن الطبع . وكانت دارها فى قرطبة منتدى لكبار رجالات العاصمة ، وبهوها حلبة يتناظر فيها فطاحل الشعر والنثر . وكانت النساء العالمات يلتفتن الى هذا البدر اللامع كنبراس فى ظلمة الليل . وكان كبار الشعراء والكتاب ينشدون التقرب منها ، وهى أمنية ليست عسيرة المنال . وهى تجمع الى ذلك طيشا،وتهورا عنيفين ، وروحا متوثبة جامحة ، وسخاء موروثا عن الآباء

والاجداد . وكانت اخلاقها نقية فاضلة رغم انطلاقها ـ سامحها الله ـ في مغامرة جريئة للغـــاية » .

وعلى ضوء الكثير من النجوم اللوامع ازدهر شعر الغزل العربي في الاندلس ، وما لبث أن اجتاز حدود الاندلس ليثير في الغرب تأججا حقيقيا للافكار .

ان هذا التقدير الكبير للمراة العربية هو وحده الكفيل بتفسير الشكل العربي الذي تتميز به قصائد واغاني الحب للشعراء الجوالين (تروبادور) الذين تـركوا في الغرب عميق الاثر ، وغيروا العلاقات القائمة بين الرجل والمراة في أوروبا .

وكما سبق ان ذكرت في مستهل عرضي ، فان علاقات كل كائن بشري بالاله ذات ارتباط وثيق بتصوراته الخاصة عن العلاقات بين الرجل والمراة.فكما ان المسلـم الذي يلهمه الاسلام الى التقى وعبادة الله يخضع لهذا الاله ، ويسلم نفسه لارادته في طاعة وانقياد ، كذلك يسجد العاشق أمام محبوبته المقدسة ذات « السيادة » عليه ، وينصاع لرغباتها وطباعها ، وينقاد لاوامرها ابتغاء الفوز بمحبتها ، ورجاء الحظوة لديها . فهذا الشكل الغنائي للحب العربي قد ازدهر بصورة رائعة منذ العهود الاولى للاسلام ، ولكنه ازدهر أيضا أثناء خلافتي دمشق وبغداد . وقد وضعت احدى الطرائف النفيسة والرقيقة جدا لهذا الشعر الغنائي في الازمنة القديمة « الحب العـذري » الذي يستمد اسمه من قبيلة بني عذرة حيث يقضي المرء نحبه حين يحب ـ على صعيد واحد مع الحب الافلاطوني لدى الاغريق . ان هذا الشكل من الحب الروحاني العربي الخالص ليعبر عن نفسه في الحب الخاشع والخاضع الذي يحمله في نفسه مشاعر البادية جميل لبثينة الجميلة . فحب جميل من القوة بحيث يهدم الزمان والمكان . ومع ذلك فأي كتمان وأي خشوع في عبادة الكائن المتعذر الوصول اليه مع اليقين كذلك بانه ما من حاجز أرضي حتى ولو كان الموت ذاته بقادر على تقويض هذا الاتحاد .

وعكس ذلك نجد الجو الذي يغمر الحب الذي يحمله ذلك الرجل صاحب الحـول والكبرياء شيخ قبيلة بني مرة الحارث بن عوف لباحثة المزهوة بنفسها . فهذا الرجل نجده يخضع رغم صلابته لارادة المرأة التي يحب ، ولا تنفك هذه الاخيرة ، بدافع من

العجب والخيلاء ، تعرضه لامتحانات جديدة بقصد التأكد من استسلامه الكامل قبل أن تكاشفه أخيرا بحبها ٠

ومن البادية ينتقل هذا الحب الى عاصمة الخلافة :

« انى لك خادم وعبد وفى رضاك عنى كفاية ، لا مزيد عليه » ، بمثل هذه العبارات باح عباس بن الاحنف شاعر بلاط هارون الرشيد عام 800 بحبه لمعشوقته التى لا تحتل مثله الا منصبا ثانويا ٠

« واذا جاز لمخلوق أن يعبد لجماله ، فان ملكتى يجب أن تكون فى مستوى اله» ٠ ولتكن هذه المعشوقة جارية حقيرة ، فانه سيعبدها رغم ذلك ويخلص لها العبادة مهما كانت الحال سواء أوجد لديها القبول والرضى ، أم الاعراض والصدود ٠

وكما يخلص المؤمن العبادة لله يخلص العبادة والطاعة لمحبوبته أيضا ٠

« لقد جعل الحب منى عبدا لك ، ولن تكون لعبوديتى نهاية » فسلطة محبوبته عليه ن القوة بحيث لا يجد غير عبادته لها سبيلا ـ لتشريفه ورفع شأنه ٠

وقد ازدهرت ألوان الحب المنزه عن المادة والحسن فى الاندلس الى درجة أنها تشكل وحة متعددة الالوان ٠ « ان فكرة الخلق الالهى لتجمعنا معا » ٠ ومثل هذه الوحدة نكفينى ٠ فانا لا أطلب عنها مزيدا ٠ ذلك ما جاء فى أحد اشعار ابن حزم (من حيث معناه) ثم ان الورع فى الحب تشريف للذى يخضع ٠ وكما يسجد المؤمن مثل العبد أمام الله فى خضوع تام ، كذلك يتحايل العاشق العربى لبلوغ الحظوة لدى محبوبته بالاستسلام والطاعة التامين لها ٠

ومن اقوال ابن باجة فى هذا المعنى قوله :

« لئن كنت تجهلين أنى متفان فى عبادتك ،
مرينى بما تشتهين ، فستجدينى من المطيعين » ٠

ان عبادة المرأة العربية فى الاندلس قد أنتجت أجمل الازهار ، وأنفس الاشعار الغنائية العربية ٠ واستمر ذلك مدة طويلة ، بعد أن نكل الاتراك والمغول فى الشرق بالنخبة المثقفة ٠ ومن الاندلس ، استقرت هذه السنة العربية المحضة فى القصيدة

الغزلية وتقديس المرأة بأوروبا وخاصة فى فرنسا وألمانيا . وقد اتخذت هذه الافكار من الحب الذى يجعل من الرجل خادما مطيعا لنيل الحظوة لدى سيدته المقدسة قيمة تحريرية فى وقت كانت الكنيسة المسيحية تهين فيه المرأة البنت الخاطئة لحواء والتى أخضعها كزاهفى لسيطرة مولاها وسيدها .

وهكذا فقد ترك الشعر الغنائى العربى أعمق الاثر فى الفن لدى المجتمع الاوروبى، وفى العلاقات بين الرجل والمرأة فى الغرب بصورة أعم .

وما تزال هذه الآثار ماثلة اليوم كما وصفت ذلك طويلا فى كتابين لى هما : « شمس الله تسطع على الغرب » ، و « جمال على المعطف الامبراطورى » . فعسى أن تثبت لكم ـ أصدقائى العرب ـ هذه البصمات العميقة للحضارة العربية فى الغرب قوة ماضيكم المجيد ، وتشجعكم على اعادة النظر فيه اليوم حيث يتعين عليكم ايجاد السبيل الذى تسيرون عليه لتحديد مكانة المرأة العربية فى المجتمع بصورة خاصة .

فلا تستلهموا مسعاكم من النماذج الاجنبية ، ولا من المعايير السائدة فى امريكا وفى روسيا . واستوحوه من طبيعتكم الخاصة ومن تاريخكم ودينكم .

ولقد لاحظت باهتمام بالغ فى كل مكان أثناء تجوالى بالبلاد العربية مدى الجهود المبذولة لتحسين وضعية المرأة على أساس عربى صميم . وهنا فى الجزائر بالذات طالب « الميثاق الوطنى » « بتحرير المرأة وبمساهمتها الكاملة فى حياة الامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية » وبضرورة « تحرير المرأة من بقايا ورواسب هى من طبيعة اقطاعية ، وبضمان حقوقها ... » .

وما تزال لدى بعض كلمات : « ان تحرير المرأة لا يمكن فى الجزئيات الخارجية ، فى طول الفستان او عمق مقورته (كشف الرقبة والكتفين وجزء من الصدر) ولن يكتسب كذلك عن طريق ما يسمى « بحرب الجنسين » كما تدعونا اليه بعض مناصرات النزعة الداعية الى تحسين وضعية المرأة اللائى لن يكون من نتائج عملهن هذا الا زيادة تعميق الهوة التى حفرها نظام الابوة السائد فى القرون الماضية . وبعكس ذلك ، فان الذى يجب هو أن يكون الرجال والنساء واعين بطابعهم المميز ، وان تتضافر جهودهم للعمل سويا . بيد أنى أود أن أذكر أصدقائى العرب الذكور بأن عليهم الا ينسوا أبدا ان فتيات ونساء اليوم سيكن أمهات الامة العربية الكبرى غدا .

المـرأة التركيـة الوارثـة للتقـاليد الوطنيـة والاسـلامية (*)

د٠ آمـال ايـزين
عضوة معهد البحوث الثقافية
التركية ـ أسطنبول



1 ـ المراة التركية قبل الاسلام :

ان « حواء » التركية وريثة تقاليد وطنية ذات طابع ملحمى نشا فى المناخ الشمالى لآسيا العليا ٠ وتكشف مدافن الاتراك القدامى (1) بسيبريا (2) فى الالف الاول قبل المسيح عن قبور للنساء توجد فيها أسلحة ٠ ولم تكن حيـاة النساء فى النجود العليـا وغابات منطقـة « اورازية » الشمالية لتتميز او تختلف عن حياة الرجل، فالمراة التركية لذلك العهد ، اذ تتعاطى الصيد وتمارس الحرب والقتال ، ترتدى من الملابس ما يرتديه قرينها الرجل ٠ وربما تميزت قبـور النساء عن رموس الرجال بنوع من الايثار البين لحل من الذهب أو البرونز ، ومرصعات من جواهر وتحف فنية من تلك التحف الفنية المعروف بها السكان الرحل بآسيـة العليا وقد تكون هذه الحل والاكاليل فى بعض الاحيان جزءا من الملابس المزركشة التى ترتديها كاهنات ديانات احيائية (3) ٠ وربما كانت زرابى واغطية الخيام ، والملابس المتخذة من لبدات متعددة الالوان أو المنسوجة والمطرزة من صنع النساء ٠ وهى تحمل رسوما من نمط ميثولوجى ورمزى ٠

(*) محاضرة القيت فى الملتقى 11 للفكر الاسلامى بمدينة ورجلان (ورقلة)

ومع تسخير الحصان أصبحت المرأة التركية فارسة تمارس ركوب الخيل . وقد كان لخاتون (ملكة) الاتراك الاوغوريين حاشية من سبع نساء يحملن أقواسا ويمتطين الخيل (4) . وعلى شاطىء نهر الاورال قبر يضم امرأة دفينة وهى على صهوة جوادها ، وينسب هذا القبر الذى يرجع عهده الى ما بين القرنين السادس والثامن الى الاتراك « الاوغوز » الذين ينحدر منهم سكان تركيا . وربما كان ذلك من ضروب التكريم لامرأة محاربة (5) . وقد أورد « ذيد كوركت » (6) أن بطلة تدعى « تشيتشيك » (الزهرة) كانت تنصب خيمتها الحمراء القانية فى احدى المروج التى كانت تعتبرها بمثابة مزرعة صيد خاصة بها محظورة على الدخلاء . ولم تكن تمنح ثقتها أو وفاءها الا لمن يستطيع الانتصار عليها فى المصارعة . وكانت ثقة المرأة التركية ثقة كاملة ، لانها امرأة طاهرة الذيل الى حد بعيد جدا كما شهد بذلك الرحالة العربى ابن فضلان (7) (309/922 م) . ولم يكن الزنـا عند الاتراك معروفا على وجه التقريب ، لان الرجل الذى تثبت عليه تهمة الزنـا يعاقب بتمزيق جسده . والمرأة التركية كانت ، اذا مـــا ترملت ، تحولت الى رئيسة البيت ، أو الى « تركن » (8) (وصية) فى صورة ما اذا كان ولدها أميرا من الامراء ، وكانت الرغبة الاكيدة للمرأة التركية تتمثل فى تربية ابنها تربية الابطال (9) كما هو الحال بالنسبة الى « شامانية » تركية من مقاطعة « الجيهول » (الشامانية ديانة يعبد أتباعها الطبيعة) .

وبتأسيس « كاغاناط قوق التورك » المتبوع بدولة الويغوريين ابتداء من القــرن السادس ، برز الى الوجود تركستان (بلد الاتراك) المتحضرين فى آسيا الوسطى (10) ونمت المدن حول « أوردو » (11) (قصور الامراء) . وفى هذه الاوساط الحضرية كذلك تقرر اقامة ايالة الخاتون (الملكة) . وهذه الخاتون متوجة (12) ومعتبرة ذات سلطات الهية (13) تماما كالامير . وفى سنوات 49/624 أسند أحد ملوك اليوغور ، الذى كان غالبا ما يخوض الحروب ، ادارة الدولة الى أمه (14) . وكانت الخاتون قـد اشتهرت بالعدل الا انها كانت صارمة . وكانت صور الملكات أو الوصيات تضرب أحيانا على النقود التركية (15) .

وفى مظهر السلطنة هذه ، عرف العرب تركيا للمرة الاولى فى شخص « قاباتش خاتون » الوصية على مقاطعة بخارى فى القرن الثامن الميلادى (16) . وقد جاء فيما نقله « النرشخى » مؤرخ بخارى أن الخاتون تظهر بمظهر البطولة والشجاعة ، وبمظهر مرونة الفكر ، كما تبدو جذابة فى اغلب الاحيان . وقد عرفت كيف تكسب صداقة قتيبة بن مسلم الذى غدا المدافع عن ابن الخاتون الاصغر ضد ادعاءات الامراء المنافسين.

2 ـ المرأة المسلمة فى فجر الاسلام :

لقد أقام الاسلام أول عقد اجتماعى تحددت فيه حقوق المرأة . وكانت المرأة فى الحضارات المتوسطية مثل اليونان وروما تابعة لرئيس الاسرة (أو لرب العائلة) . وكانت المرأة فى بلاد العرب جزءا من ميراث الرجل الذى يتصرف فيها كما يشاء ، ويتركها مع بقية أملاكه للورثة والخلفاء بعده (17) . وقلة الاهتمام بالمرأة نجده معبرا عنه أحسن تعبير فى الآية القرآنية التالية :

« **واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟** » . (القرآن ـ السورة 16 الآيتان 58 ـ 59) .

ولاول مرة فى عالم البحر الابيض المتوسط ، وربما فى العالم اجمع ايضا ، يحدد الاسلام للمرأة حقوقا نحددها ملخصة فى الآية القرآنية الآتية : « **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** » . (القرآن ، السورة 2 ، الآية 228) .

والرجل الذى تجب عليه اعالة المرأة طيلة زواجه منها ، وفى حالة تطليقه لها (18) انما يتمتع بدرجة واحدة فقط من التفوق (19) .

« **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم** » (القرآن ، السورة 4 الآية 34) .

بيد أن المرأة التى تعمل والتى تترتب عليها لذلك واجبات ، لها الحق فيما تكسبه تماما كالرجل :

« للرجـال نصيب ممـا اكتسبـوا ، وللنساء نصـيب مما اكتسبن » • (القرآن ، السورة 4 ، الآية 32) •

وهناك ثورة أخرى فى المجتمعات المتوسطية تتمثل فى ان الاسلام منح المرأة حق التصرف فى نفسها (20) وفى مالها (21) •

وكانت المسلمات الاول يساهمن بنشاط فى الحياة الاجتماعية • فلقد كن فى زمن الحرب يدخلن ساحة القتال لمعالجة الجرحى وسقيهم (22) بل وكان منهن من يشاركن فى القتال مثل « نصيبة بنت عمرو » التى أصيبت فى غزوة أحد بثمانية عشر جرحا حين كانت تدافع مع زوجها وأبنائها عن الرسول (صلعم) الذى هاجمته قريش المنتصرة (23).

ولم يكن الحجاب بالنسبة الى هؤلاء النسوة الا رمزا وحصنا لشرف المرأة المسلمة فقد كانت المرأة المسلمة التى كانت تعرف وسط حرية الاخلاق التى كانت سائدة فى بلاد العرب الوثنية ـ بردائها الذى كان يسترها وبالخمار الذى كانت تحتجب به ـ تتمتع بحماية اخوتها فى الدين من كل ما يزعجها (24) او يؤذيها •

3 ـ المرأة التركية المسلمة :

تدل دراسة تاريخ الثقافة التركية على أن المرأة التركية ظلت فى الـواقع تتمتع بالحقوق التى كانت تتمتع بها من قبل • لكن ضمن اطار الاحتشام الذى أوصى بـه الاسلام فى ممارسة الحقوق الممنوحة للمرأة • وما كانت أعراف الاحتشام هذه أو الرصانة ، ومنها الخمار ، سوى أعراف شكلية لا تمنع المرأة من المشاركة فى الحيـاة النشيطة ولا من تنمية مواهبها • بل ان النساء الموهوبات كن ـ على العكس ـ يشجعن فى المجتمعات الاسلامية على تلقى العلم والمعرفة من أفواه مشاهير العلماء فى الوسط الذى يعشن فيه • واذا ما فحصنا بعض المعطيات الممتدة على ما يزيد عن ألف عام من تاريخ الاسلام التركى ، اكتشفنا بعض أنماط من نساء مسلمات هن من أصل تركى •

أ) ـ ان النساء التركيات اللائى وهبن أنفسهن لدراسة القرآن والحديث والفقه الاسلامى واللائى برزن فى هذه الميادين عددهن قليل • غير ان قاموس التراجم الذى

ألفه محمد زهنى التركى الذى كتب مؤلفا عن شهيرات النساء فى الاسلام (25) قد ذكر بعضهن :

فتذكار باى خاتون المتوفاة فى (714 هـ/1349 م) وابنة السلطان المملوكى التركى « بيبرس » (76 ـ 77/1252/658) المتضلعة فى العلوم الاسلامية قد أسست بمصر رباطا لتعليم النساء المسلمات · وآى مليك خاتون البعلبكية التى يدل اسمها آى القمر على أصلها التركى كانت محدثة عالمة بالسنة النبوية · وقد توفيت فى 815 هـ/1412 م ، وصدقى أمة الله القاضى ابنة أحد قضاة اسطنبول قد ألفت كتبا فى اصول الدين · وقد توفيت فى 1089/1678 م ، وآنى فاطمة الخاتون التى انحدرت من المؤرخ سعد الدين أفندى والتى كانت تعتبر عضوا فى مجمع أو هيئة العلماء · وكانت تعمل قاضية ومدرسة حتى وافتها المنية فى 1123 هـ/1711 م · وفى القرن ذاته عاشت فى اسطنبول زبيدة القسطنطينية الشهيرة المعروفة بكتبها فى الشريعة الاسلامية وبنبوغها فى الشعر · ومع أن مثل هذه الشخصيات قليلة الوجود فان النساء الحافظات قد ظللن يحفظن القرآن فى تركيا وفى مدارس خاصة تتبع أساليب التلقين والتدريس التقليدية قراءة واستظهارا ·

ب) ـ يسجل التاريخ أن عددا من النساء توصلن اما بفضل انتسابهن الى أسرة مالكة أو بالنظر الى نبوغهن الشخصى ، الى القيام بنشاطات سياسية وكانت «الخاتونات» (المليكات) فى فجر الاسلام ما يزلن يمارسن مهام الامارة · ومن وجوه هؤلاء الخواتن أو المليكات البارزات المعروفات بلطفهن زوجة داود بن عباس بانيجور (ولعله باى تشور) (58 ـ 233 هـ/71 ـ 847 م) التى تنتمى الى أسرة مالكة تركية كانت تحكم موطنها الخوطال وطوخاريستان باسم الخلفاء العباسيين (26) · وكانت زوجة باى تشور تحكم ضمنيا مقاطعات زوجها لان هذا الاخير قد انجر الى بناء قصر منيف (27) · ولكى تخفف الخاتون من وطأة الرسوم المترتبة على الفقراء للخلفاء العباسيين بعثت بعباءتها المرصعة بالجواهر الى الخليفة ، الا أن هذا الاخير اعترافا منه واعجابا بهذا السخاء ـ أعاد العباءة الى الخاتون التى باعتها من أجل أن تشيد بثمنها مسجد وقنوات بلـخ (28) ·

واستمرت الخواتن اللائى كن يحكمن بلدانا لغير الاتراك بالشرق الادنى فى المحافظة على امتيازاتهن (29) • بل ولقد كان بعض هؤلاء الاميرات عمـــلا بالتقاليد التركية ، ذوات اقطاعات ودواوين وحتى جيوش كن يستعملنها على العموم لصالح ازواجهن • وكذلك فعلت « آلتوراجان خاتـون » زوجة « طوغريل بـك » (55 ـ 429 هـ/63 ـ 1037 م) مؤسس الدولة السلجوقية في الشرق الادنى • وبعض هؤلاء الاميرات شعرن بامتعاض ربما كان السبب فيه يعود الى نوع من التعارض بين وضعيتهن التقليديـة كخاتون وبين عادات البلاد الاجنبية التى كن يعشن فيها • وكانت التقـاليد الايرانية ـ كما لاحظ ذلك نظام الملك (30) الوزير الايرانى للملك التركى السلجوقى ملك شاه (85 ـ 665 هـ/92 ـ 1072 م) تقصى النساء عن السلطة ، بينما كان الملوك الاتراك يصغون الى آراء الخواتن • وكانت زوجة ملك شاه (31) أميرة كاراخانية ربما انحدرت من كاغانيى قوق تورك • ولاعتزاز هذه الخاتون باصلها ، واعتبارها مكانتها كوصية عربونا على حقوقها قد أحنقتها معارضة نظام الملك الذى يبدو وكانها الآمرة باغتياله • بل وتتهم بالتآمر مع صهرها الخليفة المقتدى بالله على تسميم الملك شاه • وقــد خاضت حملة ضد صهرها « برقياروق » سعيا منها الى تتويج ابنها البالغ من العمر خمس سنوات ، وتولى حفيدها الخلافة ، الا انها هزمت •

ان قائمة الملكات الوصيات او الملكات الامهات من التركيات ذوات التاثير والنفوذ قائمة طويلة نكتفى منها بهذه الامثلة وباسماء أخرى قد أثبتنها فى التعليق (32) •

ج) وكان هناك مجموعة أخرى من النساء ذوات النفوذ السياسى فى أوساط بلاطات الامراء الاتراك • ومن بينهن بيبى المنجمة (33) النيسابورية الاصل التى انتقلت من خدمة آخر الملوك الخوارزميين الاتراك جـــلال الدين منجوبـــردى (617·28 هـ 30 ـ 1220 م) الى خدمة ملك تركيا السلجوقى علاء الـدين قيقباد الاول (34 ـ612هـ 36 ـ 1215 م) • وما لبث ابن المنجمة الذى سمى باسم « ابن بيبى » أن اصبح مؤرخ سلاجقة تركيا •

ويعدد زيهنى (34) بعض النساء المستشارات اللائى نصح بهن أمهات السلاطين العثمانيين أبناءهن لمساعدتهم على ادارة شؤون الدولـــة • وأشهر هؤلاء النســـوة

المستشارات هى جنفدة الخاتون التى كانت أحد الوزراء الاربعة الذين يجتمعون في مجلس مراد الثالث (982 ـ 1004هـ/1574 ـ 95 م) ولم تكن جنفدة تتسامح عن التجاوزات ، وقد سجنت ثم أعدمت أخاها دالي ابراهيم باشا لاخلاله بواجباته • ويورد زينهى كذلك راضية الخاتون مستشارة محمد الثالث (12 ـ 1005 هـ/1605 ـ 1594 م) وهناك مستشارتان أخريان للسلاطين العثمانيين : شاكر بار خاتون» التى كانت في خدمة « محمد الرابع » قد اتهمتا بالفساد والرشوة في تعيينات الموظفين الى مناصب الامبراطورية ، وقد نفيت احداهما وصودرت أملاكها ، بنما شنقت الثالثة وكان ذلك على التوالى فى (1058 هـ/1648 م) وفى (1066 هـ 1655 م) .

د) لقد أنجبت الحضارة العثمانية عددا من النساء الشواعر (35) . وقد شهدن النور ، على الغالب فى أوساط العلم ، ومنهن من كن بنات لشيخ الاسلام . بيد أن هؤلاء السيدات كن منساقات فى بعض الاحيان الى الاباحية التى يسوغها الشعر •

وكان للقديمات منهن شرف ورود أسمائهن فى منتخبات الشعراء «تذكرة الشعراء» لعاشق شلبى (76 ـ 924/68 ـ 1518 م) : وهما شاعرتا القرن الخامس عشر : مهرى و زينب وقد ولدت الاخيرة فى أماسيا أو فى قسطمونى ، وفى القرن السادس عشر، نجد الشاعرة توتى القاضى (وتوتى معناه الببغاء) وكان زوجها الشاعر الشهير باقى يشبهها بالغراب ، ربما لحسد منه . وقد ردت عليه الشاعرة بأبيات من الشعر الهجائى كانت فيها دمامة باقى موضع سخرية . وفى هذا القرن ذاته كانت مطارحة الشاعرة اللامعة حبى خاتون طلبة سلطانين متواليين : سليم الثانى (82 ـ 974 هـ/74 ـ 1566 م) و مراد الثالث (1004 ـ 9082/95 ـ 1574 م) وكانت الشاعرة فتنة هانم ابرز شاعرة باسطنبول فيما بين القرنين الثانى عشر والثامن عشر • ومن بين عدد كبير من الشواعر النابغات برزت شاعرتان تحمل كل منهما اسم «ليلى » وذلك فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر •

ولنذكر كذلك امرأتين خطاطتين (36) هما : عصمت ابريت من اسطنبول و فتنة طرابزن وقد عاشتا فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر .

بيد أن الغالبية العظمى من النساء التركيات المسلمات اللواتى ليست لهن موهبة خارقة قد ظللن يعشن عيشة الجد والاخلاص كربات اسرة تنشد « **الجنة تحت اقدامهن** » كما جاء فى حديث نبوى ، فلقد كانت الفلاحة التركية ـ ولا تزال ـ تعمل الى يومنا هذا فى الحقول الى جانب زوجها الذى تخلفه فى جميع الميادين حين يدعو هذا الاخير واجب التجنيد . وقد ظلت تنسج الزرابى والمفروشات ذات الرموز التقليدية ، وتطرز الاشكال البندالية (ذات الالف غصن) . ولم تكن التقاليد الحربية للمرأة التركية نسيا منسيا بعد الاسلام .

ففى القرن 15 كان فى خدمة مملكة ذى القـــادرى التركيـــة (885 ـ 780 هـ 1470 ـ 1378 م) فيلق من الخيالة فى « مرعش » يتألف من ثلاثين الف امــرأة (38)٠ وهناك تركيات أخريات لا يتدخلن فى النزاعات المسلحة الا فى حالة الاستعجال . فمشاعر الاخلاص فى الدفاع عن الوطن كانت بحيث تدفع الام التركية حين تأخـــذ رضيعها بين ذراعيها الى أن تقول : « بسم الله ، يا غازى ، يا شهيد » ٠

لقد كانت حاسة الشرف لدى المــرأة التركيه بحيث تؤثر المــــوت على حياة الاسر وما يتبعها من اهانات واذلال ٠ فحين نشوب معركة « يليفن » فى عام 1878 ، وبينما كان الجيش التركى المحاصر منذ سبعة شهور يحاول اقتحام صفوف الاعداء ، كـــان النساء والاطفال يلحون على اتباع الجيش فى هذه المحاولة اليائسة ، مما أدى الى سقوط عدد منهم بقنابل مدفعية العدو (39) ٠ وكانت جدتى « زينتى هانم » مع زوجها من بين المحاصرين فى يليفن ولما كان زوجها قد سقط فى ساحة المعركة ، أخذت «زينتى هانم» أطفالها الصغار ، واستطاعت ان تنجو بهم عبر خطوط العدو دون أن يتفطن اليها أحـــــد ٠

واضطرت الى أن تقطع المسافة راجلة وهى تحمل أولادها حتى مدينة اسطنبول حيث لفظت أنفاسها من شدة التعب ليلة وصولها بالذات ٠ وأثناء توالى الحــــروب الدفاعية التى وضعت حدا فى القرن التاسع عشر ثم فى حرب 1914/1918 وحرب 1920/1923 للامبراطورية العثمانية وتمخضت عن ميلاد الجمهورية التركية كانت المرأة

تحل تدريجيا حتى فى اطارات خدمة الدولة محل الرجال المجندين • والمرأة التركية تشارك تماما كمثيلاتها « نين هاتون ايرزوروم » ورفيقاتها اللائى ساعدن الجيش التركى فى عام 1878 على صد العدو (40) فى الدفاع عن حوزة الوطن ، وقد سقط عدد كبير من النساء فى ساحة المعركة أثناء الدفاع عن ايرزوروم • وفى حرب 1420/1923 قدمت النساء يد المساعدة فى نقل السلاح الى جبهات القتال • ويذكر شاهد عيان أنه رأى امرأة كانت تنقل السلاح فى يوم مطير فنزعت الغطاء عن طفل لها كان بين ذراعيها لتغطى به ولتصون القنابل من البلل (41) • وهكذا تكون المرأة - كما قال مصطفى كمال أتاتورك - جديرة بالمساواة فى الحقوق التى منحتها اياها قوانين الجمهورية التركيـــة •

تعليقـــــات

I - لقد كانت القبائل التى يدعوها الصينيون والكيرغيزيون تنغ لنغ و تياه لى من بين أعرق القبائل الناطقة باللغة التركية : ج• كلوزون ، تورك منغول تانغوس آسياماجور ، ن• س• I/8 لندن I960 •

2 - القبور السيبيرية التى يرجع عهدها الى الالف الاول قبل المسيح المنسوبة الى تنغ لنغ وكيزغيز : س• ب• كيسليف دريفنيايا ايستوريا يوجنوبى سيبـــيرى ، ماتيريال واسليدوفانيا بو اركيولوجى الاتحـاد السوفياتى ، رقم 9 (موسكـو I949) II2/27 - I67 •

3 - ن• ب• محمدوف اسكوستفو كازاخستان (موسكو I970) ، I4 • (قبر كرغليك المنسوب الى شامانية هنية) •

4 - ك• ماكيراس ذو ايغور أومبير (كامبيرا I968 ، I2I) •

5 - مدفن خودا برجين رقم I : ب • سميرنوف ، كول تورا دريفنيسك بليمن بريارال يا و زاياد نوى سيبيرى ماتيريال وايسليدوفانيا بو أركيولوجى الاتحاد السوفياتى ، رقم 585 موسكو I957 - 45 دفن مقاتل لدى الاتراك فيما بين القرنين السادس والثامن

عشر : ليو ماو تساى ، دى سينيزيسشن ناشريستن زور جيشيت دير أوست تـوركن (ويسبادى 1958) ، 42 ·

6 ـ م· اميرجن ، ديد كوركت كتابى (أنقرة 1958) I ، 121 ـ 23 ·

7 ـ ز · ف · طوقان ، ابن فضلان رايسبريشت ، (ليبزيق 1939) ، 21 ·

8 ـ توركن : أ· توران · « توركن انفانى » تورك هوكـــوك تاريخى درجيزى I (أنقرة 1944) · يراجـــع أيضا : ج ، ديرفـــر توركيتش ومنغوليش ، ايلمانتى فى نويرسيتشن ، المجلد 2 · (ويسبادى 1965 المادة 889 ·

9 ـ I· ج· بوليبلانك ، ذو باكغروند أوف دو ريبليون أوف أن لوشان · (أوكسفورد 1966) 7 ـ 8 ·

10 ـ لفظة تركستان المستعملة منذ القرن السابع : و · بارتولد « تركستان الموسوعة الاسلامية (ليدن 1934) · مراكز الحضارة فى تركستان أ · ايزين · « اسلاميتن ايفيل أورتا آسيا تورك ريسم ساناتى » تورك كورك كولتورو الكتاب ، ونشر فى الانكليزية كذلك (سانترال آزيان توركيش بانتينغ بيفور اسلام هاندبوك أوف توركيش كولتور) 1/2 فى (اسطنبول 1972) تعليقات 100 ـ 123 ·

11 ـ آ· ايزين « أوردوغ » أنقرة اينفير سيتيزى ديل تاريخ كوغرافيا فاكولتيزى تاريخارا ستيرمالارى ديرجيزى ، 10/6 ـ 11 (أنقرة 1972) ·

12 ـ ماكيراس ، 117 ·

13 ـ بيلج كاغان ملك قوق تورك ، الذى توفى فى 734 ، وقد قال : « ان اله السماء قد رفع أبى ايلتيريش كاغان ، وأمى ايلبيلج هاتون ، وذلك باخذهما من أم رأسهما » : ن· أوركوم تورك يازيتلارى (اسطنبول 1936 ـ 41) I ـ 34 ـ 11 ـ د ـ 10 ـ 11 ·

14 ـ أ· شافانس ، وثائق حول الاتراك الغربيين · (سانت بيترسبورغ 1903) 90 ·

15 ـ أنظر ايزين فى التعليق 10 المصادر المذكورة فى تعاليق 12 و 106 ·

16 ـ الطبرى · تاريخ الرسل والملوك (ليدن · 1879 ـ 1881) 2 · 169 النرشخى تاريخ بخارى (باريس 1892) 7 ـ 10 ـ 36 · 47 ·

17 ـ انظر : القرآن الكريم (السورة الرابعة ، الآية 22)التى تحـرم الـــزواج من النساء اللائى يتركهن الاب ميراثا ، القرآن (السورة الرابعة ، الآية 19 حول تحريم اجبار النساء على التزوج من ورثة أزواجهن) ·

18 ـ الآيات التى تتعلق بالمهر المدفوع الى المرأة . القرآن (السورة 2 الآية 229) و (السورة الرابعة ، الآية الرابعة بشأن تمتيع المطلقات) . « وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » . القرآن (السورة الثانية ، الاية 241) .

19 ـ القرآن (السورة الثانية ، الآية 228) .

20 ـ الحديث : « لا تنكح الايم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن » . البخارى : تجريد الصريح طبعة ز . أ. زبيدى و . د. ميراس ديانة اسليرى نيسرياتى . رقم 9 . المجلد II (اسطنبول 1947) الحديث 1806 .

21 ـ المرأة ترث . القرآن : (السورة الرابعة ، الآية السابعة) . وتتصرف فى مالها كما تشاء . القرآن : (السورة الثانية ،الآية 229) .

22 ـ الواقدى ـ كتاب المغازى ـ (لندن 1966) 268 ـ 72 ، 685 ـ 687 .

23 ـ الواقدى ، 268 ـ 72 .

24 ـ ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ـ المجلد الثامن (بيروت 1377 هـ) . 7 ـ 76 حول الظروف التى أمرت فيها المسلمات بالحجاب . القرآن : (السورة 23 ، الآية 59) . وبعدم التزوج وكشف زينتهن الا ما ظهر منها . القرآن (السورة 23 ، الآية 59) و (السورة 24 ، الآية 31) .

25 ـ محمد زهنى ـ مشاهير النساء ـ اسطنبول 1394/95 هـ . 1 ـ 126 ـ 2 ـ 392 193 ؛ 1 ـ 35 ؛ 1 ـ 15، 2 ـ 264 .

26 ـ أنظر : و. بارتولد ، تركستان دوون تو ذو مونغول انغازيون (لندن 1928) 73 205 و ج . ماركات ، ايرانساهر (برلين 1901) ، 299 ـ 303 .

27 ـ أبو بكر عبد الله البلخى ـ فضائل بلخ ـ (طهران 1350 هـ)20 ، 21 ، 39 ، 40.

28 ـ نفس المصدر .

29 ـ أ. توران ـ تورك سيهان حاكيميتى ـ (اسطنبول 1969) 126 ـ 129 ، هـذا المؤلف الذى كتب أيضا المقالة المذكورة فى التعليق 8 . حيث كان أول من حدد لفظة « توركن » ، وخصص فصلا فى الكتاب المذكور هنا للتراكنة .

30 ـ أورده توران ـ تورك سيهان حاكيميتى ـ 126 ـ 27 .

31 ـ أ· توران ـ سلجوك لولار ـ تاريخ فى تورك ـ اسلام ميدينيتى ـ (أنقرة 1965) ، 106 ـ 107 ـ 156 ـ 60 ، 163 ـ 64 ، 192 ـ 376 (توركن خاتون بنت قاراخانيد ابراهيم تامغاتش خان كانت قد تزوجت من السلجوقى ملك شاه فى 458 هـ/1065 م · وتزوجت ابنتها « ماه ملك » فى 480 هـ/1087 م · الخليفة المقتدر بالله · وقد هزم جيش التركن فى الرى فى سنة 488 هـ/1095 م · على يد جيش صهره « بيركياروجى » بن ملك شاه من زوجة له سابقة) ·

32 ـ من بين التركمانيات الاخريات تركيات آسيا الوسطى للعهد الاسلامى · أنظر : بارتولد ـ تركستان دوون طو ذو مونغول انغازيون ـ الفهرس · ومن بينهن توركن أم التركى الخوارزمى ، علاء الدين محمد ب· توكيش (596 ـ 617 هـ/1199 ـ 1220 م) ، ويذكر محمد زيهنى أيضا (2 ـ 211 ، 1 ، 233 ؛ 330 ، 126 ـ 27 ؛ 2 ، 71 ، 202 ، بنات وزوجات وأمهات للامراء الاتراك ، أو أميرات تركيات متزوجات للملوك غير أتراك كن يحكمن باسمهن أو بالنيابة عن أزواجهن وأبنائهن وهن : مرد خاتون زوجة الاتابغ تورك الدمشقى ، و « بورى » بنت «توغتيجن » (522 ـ 520 هـ) و «راضيـة» بنت المملوك التركى من دلهى « ايلتوتيش » التى كانت ملكة دلهـى فى 630 ـ 633 هـ ، و « ساجار أود در » الزوجة التركية للايوبى الصالح نجم الدين أيوب التى كانت ملكة مصر فى 647 هـ ، و « أكويولو أوزون حسن » (857 ـ 883 هـ) التى كـانت تضـع عـلى رأسها قلنسوة ملكية حمراء مزينة باثنتى عشرة زهرة · والتى شجعت التراكمة المدعوين كيزيلباش وهم يحملون على رؤوسهم نفس القـلانس الحمـر على العثمـانيين السنيين « وماه بيكر قوسم سلطان » والدة السلطان العثمانى « مراد الرابع » (1032 ـ 1049 هـ) · أنظر كذلك دويرفر المذكور فى التعليق الثامن الذى يذكر تراكنات أخريات ·

33 ـ أ· ايرزى « ابن بيبى » ـ الموسوعة الاسلامية ـ (اسطنبول 1968) ·

34 ـ محمد زيهنى ، 1 ـ 132 ؛ 234 ، 337 ؛ 2 ـ 224 ·

35 ـ محمد زيهنى ، 2 ـ 140 ، 1 ـ 285 ، 370 ، 2 ، 15 ـ 6 ، 2 ـ 165 ، 198 ، وغـيرهـا ·

36 ـ محمد زيهنى : 2 ـ 142 ، 396 ·

37 ـ م· عارف ـ بنبير الحديث الشريف الصحيح ـ (كاهير ، 1319 هـ) الحديث 377 ·

38 ـ توران ـ تورك سيهان حاكيمييتى ـ 126 ـ 27 ·

39 ـ ابراهيم الذيم ـ سبات فى تمايريت قيامث آن بيرعلامت ـ (اسطنبول 1279) 46 ـ 50 ·

40 ـ ا· هـ· كنيالى ـ ايرزوروم التاريخى ـ (اسطنبول 1960) 539 ·

41 ـ هى شهادة أمها « مفيدة فريد تاق » ·



الاسـلام و العـالم المعـاصـر (*)

د . سالفـاتورى بـونـو
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بجامعة بيروجيا،(روما)

مبعوثنـا الخـاص .



هناك ، الى جانب المكانة المتنامية التى تحتلها البلدان العربية ـ ولا سيما البلدان المنتجة للنفط منها ـ فى الساحة الدولية ، وعى حاد يزداد عمقا على مر الايام لدى العالم العربى بتقاليده الدينية والثقافة الخاصة ، وبضرورة اسهام هذه الثقافة فى ايجاد الحلول المناسبة لمشاكل المجتمع المعاصر.وضمن هذه المهمة المتمثلة فى تبادل الآراء والتباحث ، لا على الصعيد الداخلى للثقافة الاسلامية فحسب ، بل كذلك مع ممثلى ديانات وثقافات أخرى ، تندرج ملتقيات الفكر الاسلامى التى تنظمها ، سنويا ، منذ سنة 1967 ، الوزارة الجزائرية للتعليم الاصلى والشؤون الدينية ، برئاسة وتحت اشراف النشيط الذى لا يعرف الكلل ولا الملل ، السيد الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم .

(*) مقال نشرته صحيفة «الاوسرفاتورى رومانو» الناطقة باسم الفاتيكان فى 7 ـ 8 ـ مارس 1977 .

وفى الملتقى الحادى عشر الذى عقد خلال النصف الاول من شهر فبراير بمدينة ورقلة ، شارك ، كالعادة ، ممثلون عن البلاد والجاليات الاسلامية فى العالم اجمع ، لا فى البلاد العربية فقط ، فقد كان من بين المشاركين فى الملتقى هذه السنة ممثلون عن مالى ، واليابان ، والاتحاد السوفيانى ، وجزيرة موريس · فهذه المشاركة المتنوعة، تعد ، من جهة ، شهادة عينية ملموسة على توسع ، وقوة الاسلام ، ذلك الدين الذى يعبر عن نفسه فى اشكال ثقافية أخرى غير الاشكال العربية ، ومن جهة ثانية ، تتواجه داخل هذه الثقافة العربية ذاتها ، لا تقاليد مختلف التيارات التفسيرية فحسب، بل وكذلك التطورات التاريخية والاجتماعية المختلفة من بلد الى آخر · والسمة المميزة لهذه الملتقيات هى وجود نحو ألف طالب جزائرى (من طلاب الجامعة والسنوات النهائية للتعليم الثانوى قدموا من كل انحاء البلاد) ، ممن يسمح لهم بتوجيه الاسئلة الى المحاضرين · ان هذا الانفتاح على الشباب الذين يواظبون على متابعة أشغال الملتقى وعلى مشاركة خليقة بكل ثناء ، لامر ليس من قبيل الامور الثانوية ، بل مما يزيد فى جدارة المبادرة ·

ان النقطة الاولى فى جدول اعمال كل ملتقى من هذه الملتقيات والمختارة مسبقا تخص موضوعات ذات طابع تاريخى ، وهى تهم بصفة عامة المدينة أو الناحية التى ينعقد فيها الملتقى · وقد جرى الحديث فى هذه السنة عن الدولة الرستمية ذات الاصل الايرانى والمعتقد الخارجى ، تلك الدولة التى استقرت بالجزائر كأول كيان مستقل فى الاسلام المغربى ، فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى ، وذلك فى تيهرت (تيارت) أولا ثم فى ورجلة ، وبالذات فى مدينة سدراتة الاثرية حاليا · وقد سلطت المحاضرات فى مجموعها ، ولا سيما فيما يتعلق بالحجج النوعية ، ضوءا جديدا على دولة ومجتمع الرستميين الذين أغفلهم المؤرخون المسلمون بسبب طابعهم الخارجى عن مذهب أهل السنة ·

« والاسلام فى افريقيا اليوم » كان الموضوع الثانى الذى ما من شك فى انه موضوع أوسع وأكثر اهمية · وقد ألقى المحاضرون ، وبخاصة منهم المحاضر المصرى محمد عبد الله عنان ، نظرة على وضع الاسلام فى القارة الافريقية ، سواء من ناحية

العدد (نسبة السكان المسلمين ، الخ ...) أم من ناحية الظروف التى تحيط بالدين الاسلامى فى كل بلد افريقى . ومع ان الموضوع قد ركز على الوضعية الراهنة الا ان الاعتبارات التاريخية لم تكن غائبة ، وخاصة مع الاتهام الموجه الى الاستعمار الاوروبى (وهذا قابل للنقاش فى كثير من الحالات) بتشجيع التمسيح أو التنصير على حساب الدعوة الاسلامية . ومن المحاضرين ، وبخاصة منهم السعودى عبد الحليم عويس ، من أبرز بقوة ، العلاقة بين الاسلام والمسيحية ، منظورا اليها ، بوجه خاص ، من ناحية المناقشة ، وبذلك لم يخصص مكان أوسع (وقريب من هذا كانت وجهة نظر الانكليزى مونتغومرى وات) لبحث الامكانية الذاتية وقدرة الاسلام ، التى لا يستهان بها تماما ، على التوسع والتلاؤم ضمن بعض المجتمعات الافريقية .

وبالنظر الى النقاش القوى جدا عبر العالم والجارى حاليا حول وضعية المرأة فى مجتمع اليوم ، واستجابة لمطالب الشباب الملحة ، اقترح الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم ، كما أشار الى ذلك فى خطاب افتتاح الملتقى ، ان يدرج فى جدول الاعمال موضوع : « المرأة بعد عام المرأة » ، وهى المسألة التى سادت بالفعل لما استحوذت عليه من نحو عشرين محاضرة من بين المحاضرات الاربعين .

وقد ظهرت أصوات مختلفة فى الموضوع ، فهناك ، من جهة ، صوت المطالبات العراكية بتحرير وبأسبقية المرأة (كزافيير غوتيى – باريس) التى كان عنـــوان محاضرتها « نحن الساحرات » ، أو صوت الدعوة الهادئة الى علاقات جديدة بين الرجل والمرأة رائدها المحبة والحنان ، وقد جاء ذلك فى محاضرة لفرنسية أخرى هى فرانس كيرى (باريس) ، أو صوت التأكيد الواعى للمكانة التى تحتلها المرأة فى كل مجتمع ، وللحقوق التى يجب ان يعترف لها بها كذلك (وقد جاء ذلك فى المحاضرة الملتزمة جدا التى القتها الجزائرية زهور ونيسى) .

وهناك ، من جهة أخرى ، محاضرات هى الى حد ما أكثر محافظة أو تصلبا ولكنها منفتحة على تطور الازمان ، (ومن هؤلاء الاستاذ الليبى عمر التـومى ، الشيبانى) ، وثمة مجموعة محاضرات بدلا من ان تعالج الموضوع من الوجهة المجردة ، والكلامية الاخلاقية ،

أو الاجتماعية الثقافية ، راحت تبرز التطور الملموس لمركز المرأة والمواقع التى احتلتها في هذا المجتمع أو ذاك ، وهذا ما فعلته كليليا سارنيلى تشركوا ، الاستاذة بجامعة نابولى ، التى لمحت مثلا الى وضعية المرأة بايطاليا ·

ان العدد الكبير من الذين تدخلوا فى النقاش ، وحدة وحيوية هذا النقاش ، كل ذلك جعل من موضوع « المرأة » موضوعا مسيطرا فى هذا الملتقى الحادى عشر ، مما يدل على ان المشكل مطروح أيضا خارج العالم الغربى ·

وحيث أن التقاليد التاريخية والوقائع الاجتماعية والثقافية الراهنة لمختلف بلاد العالم العربى الاسلامى أو غيرها من المحاضرات متباينة كل التباين ، وبما أنه يتعين مراعاة كل واحدة منها واحترامها فى خصوصيتها ونسق تطورها ونموها ، فان أقل شيء يمكن انتظاره هو حصول اتفاق بشأن هذا الموضوع ·

والنقطة الرابعة التى لم تحظ باهتمام كبير وهى (هل ثروات باطن الارض نعمة أم نقمة ؟) تعنى من قريب ، وبصورة خاصة ، البلدان العربية المنتجة للنفط بما فيها الجزائر · فالمكان الذى عقد فيه الملتقى ذاته ، وهو واقع على مسافة نحو مائة كيلومتر من الحقل البترولى الكبير حاسى مسعود ، يشكل دعوة الى مراعاة النتائج الايجابية أو السلبية التى يتضمنها استغلال الثروات الطبيعية بالنسبة الى البلاد المالكة لهذه الثروات ·

وضمن هذا الافق برزت محاضرة على صبرى (1) الذى تناول الموضوع من جوانبه السياسية والاقتصادية الملموسة · واثناء النقاش ، لم تغفل الاشارة الى النضوب المحتمل للثروات المعدنية والبترولية منها بوجه خاص والى ضرورة التزام جانب الحكمة فى استخدام المنتوجات المشتقة منها ، ووجوب التفكير حالا فى الوسائل البديلة المستقبلة ·

كل ملتقى من هذه الملتقيات يعقد فى مدينة من المدن الجزائرية المختلفة شرقا وغربا ، ساحليا أو داخليا ، وهذا تلبية وتجسيد لرغبة واضحة من منظمى هذه الملتقيات

(1) مدير الابحاث المنجمية فى سوريا سابقا ، ومدير وكالة شيزى بروما حاليا ·

فى عدم اعتبار هذا المؤتمر مجرد لقاء ومناقشة بين جمع من المثقفين فقط ، بل ان يغدو فرصة للمشاركة وحافزا للبلاد كلها، ولا سيما الشباب الذى يسعى الملتقى الى الاقتراب منه فى كل بلدة هو فيه ، (تبث محاضرات ومناقشات الملتقى فى كامل ربوع المدينة بواسطة مكبرات الصوت) .

ويتيح الملتقى للمشاركين وللطلاب الجزائريين والضيوف الاجانب فرصة للتعرف على مدن ونواحى جديدة من هذا البلد الواسع الذى تمثله الجزائر . وفى ورقلة التى تغيرت ملامحها من مدينة ضائعة فى الصحراء الى مركز للولاية نشيط ومنظم لايملك المرء الا ان يعجب لهذا التطور الخارق للعادة فى مجال البناء والعمران سواء منه ما تم تحقيقه فعلا ام هو فى طور الانجاز مما كان ثمرة برنامج خاص ضبطته الحكومة أثناء الاجتماع الذى عقدته بهذه المدينة الصحراوية (2) فى شهر نوفمبر 1966 .

ان ملتقيات الفكر الاسلامى بموقعها وطرائق نموها وتطورها ، ضمن الاشكالية القائمة بين عزمها الصادق على التمسك بالتقاليد الاسلامية ، والتزامها الراسخ بالتناغم مع متطلبات العالم المعاصر ، تمثل ، فى واقع الامر ، لحظة فى الطريق الشاق ، ولكنه الطريق الحق ، الذى تقطعه الجزائر حاليا نحو نهضة اقتصادية واجتماعية حقيقية .

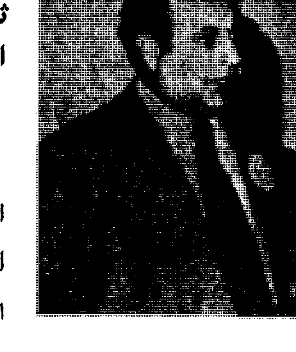
---

(2) البرنامج الخاص الاول من سلسلة البرامج الرامية الى القضاء على الفوارق الجهوية .

الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى (*)

(ورقلة - الجزائر)

د. ميكال دى ايبالزا
استاذ بجامعة مدريد



انعقد بمدينة ورقلة فى الجنوب الجزائرى من 6 الى 15 فبراير 1977 م ، الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ، ونحن بتقديمنا هذا اللقاء ، سنقيم بنى وهياكل هذه الملتقيات الجزائرية التى هى عبارة عن تظاهرات ثقافية اصيلة وهامة جدا من تظاهرات العالم العربى التى تقوم على الآية القرآنية ذات الدلالة العميقة :
«ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم» .

وفعلا فمنذ احد عشر عاما تعقد ملتقيات فى مختلف المدن الجزائرية ، وهو ما يشكل استمرارا أكيدا من بين العديد من المؤتمرات الثقافية بالعالم العربى . وهذه الملتقيات تنظمها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية الا انها فى الحقيقة تعد بادرة شخصية للوزير مولود قاسم نايت بلقاسم .

وقد عقد الملتقى الحادى عشر بمدينة ورقلة الواحة الصحراوية التى اتخذ منها الخوارج أو الاباضيون عاصمة لهم فى مطلع القرن التاسع عندما طرد الفاطميون الدولة الرستمية من تيهرت . وعلى بعد بضعة كيلومترات من هذه المدينة ، تقوم أنقاض سدراتة ، ومدينة غارداية عاصمة وادى ميزاب حيث يستقر المذهب الاباضى الجزائرى حاليا . وكانت الملتقيات الاخيرة قد عقدت بالجزائر العاصمة ، وفى تيزى وزو (القبائل

(*) مجلة المنارة : مدريد

الكبرى) ، وفى وهران ، وبجاية (الساحل الاوسط) ، وتلمسان (العاصمة التاريخية بالغرب الجزائرى) وعنابة (الساحل الشرقى للجزائر) .

ان عقد هذه اللقاءات لينهض بالقيم الثقافية لهذه النواحى : مجلة « الاصالة » التابعة لهذه الوزارة تفرد عددا خاصا لتاريخ الناحية ، وهناك مساجد تشيد فى الاحياء والقرى التى لا تتوفر على مثل بيوت العبادة هذه ، وفى كل ملتقى من هذه الملتقيات يخصص موضوع لتاريخ الناحية ، كما تنظم رحلات دراسية وسياحية للمواقع التاريخية (وفى هذا العــام تمت زيارة سدراتة ، وغارداية ، وتوقــرت ، وآبــار النفط فى حاسى مسعــود) .

أما المشاركون فى هذا الملتقى فهم نوعان : من 50 الى 70 أستاذا واختصاصيا معظمهم من الاجانب الذين يحضرون بدعوة من الوزارة، ونحو ألف من الطلبة وتلامذة الثانويات، وعدد من اساتذة التعليم الاصلى .

يلقى الاساتذة محاضراتهم فى الموضوعــات المسجلة بجدول اعمال الملتــقى ، ثــم يشاركون فى المناقشات التى تعقب المحاضرات ، فالطلبة يلــقون باسئلتهم عــلى المحاضرين الذين يجيبون بصورة اجمالية ، وكل موضوع يلقى فيه عدد قد يقل أو يكثر من المحاضرات التى تدوم كل واحدة منها 30 دقيقة ، وتعقيب الاساتذة محدود بعشر دقائق لكل واحد منهم . ويتولى المحاضرون الاجابة على هذه التعقيبات وعلى خلاصة الاسئلة التى يطرحها الطلاب .

ان هذا الاسلوب فى العمل لطويل فى مجموعــه يستغرق ساعات عديدة الا انـــه يسمح بمجال أوسع ومتوازن من تبادل الآراء حول الموضوع المطروق ويتيح للمشاركين امكانية التفكــير مطولا فى الموضوع الرئــيسى المطروح للمناقشة .

والذى تجدر الاشارة اليه فى المقام الاول هو ان تواجد اساتذة اجانب يضفى على هذه الملتقيات او اللقاءات طابعا اصيلا . ففيهم المسلمون وغير المسلمين ، وفيهم العرب المسلمون ، وفيهم الاتراك ، والهنــود ، والسوفيات ، والاندونيسيون ، والافارقة ، ومن العالم اجمع ، وفيهم مستشرقون ، وفيهم اختصاصيون من كل نوع . وفى هذه السنة

قدم (انصار قضية تحرير المرأة ورجال القانون) مجموعة متنوعة من الآراء حول كل موضوع بذاته ويشكل هذا المزيج عاملا قويا من عوامل الانفتاح الدولى متحدثا باللغة العربية وبالفرنسية والانكليزية مع ترجمة آ تية ·

ان موضوعات هذا الملتقى الحادى عشر لتمثل عينة حسنة للاتجاه التقليدى السلفى والعصرانى لهذه اللقاءات فى آن واحـد ·

1 ـ تاريخ الرستميـين فى تاهـرت وورقلـة ·

لقد نوقشت ـ زيادة على الجوانب التاريخية البحتة ـ مشكلة العـرق والاجنـاس فى الاسلام · وقد تحدث عن الخوارج كل من الشيخ سليمان داود بن يوسف والاستاذ الليبى عمرو خليفة النامى · وكان الشيعة والبربر حاضرين كذلك باعتبار ان الاباضيين كانوا ولا يزالون بربرا جنسا ، ولغـة ·

2 ـ الاسلام فى افريقيا اليوم ·

تناول المحاضرون بالنقاش الجوانب الاجتماعية والتاريخية للموضوع ، بيد ان قوة انتشار الاسلام وتوسعه واستراتيجيته أمام القوى المنافسة له (الماركسية ، والمسيحية، والامبريالية ، والصهيونية) قد طال الكلام فيها · وكانت المناقشات حول مظاهر التخلف الاجتماعى فى النواحى التى انتشر فيها الاسلام بافريقيا مناقشات هامة ، وكذلك الشأن بالنسبة الى بعض التعقيبات التى تناولت الثقافات المحلية بافريقيا ·

3 ـ المرأة بعد العـام العـالمى للمـرأة ·

تضافر على الحديث فى هذا الموضوع رجـــال القانون والخبـراء الاختصاصيون الاوروبيون فى شؤون المرأة ـ ومعظمهم نساء وعدد كبير من رجال الفكر المسلمين المحافظين وفريق بارع للغاية من مناصرى قضية المرأة فى تركيا وباكستان · وكـان التوازن بين نزعة المحافظة النظرية ونزعة التطور العملى يبدو أوفق فى نظر اصحاب النزعة الاولى ، لكن ـ وهم يعترفون لاتباع النزعة الثانية بحقوقهم ـ لا يمكننا ان نأمل مزيدا على ذلك نظرا لعدد المشاركين من المحافظـين · فمجرد طرح الموضوع للمناقشة بانفتاح كما حصل بالفعل (سواء من ناحية مقترحات المؤتمرين أم من حيث العبارات

المتعمد تلوينها وتعميمها من قبل المحافظين التقليديين) يبدو فى حد ذاته عنصرا ايجابيا للغاية وممثلا تمام التمثيل لجدلية التقدمية والمحافظة بين المشاركين فى الملتقى ·

4 ـ هل الثروات الباطنية (أو باطن الارض) نعمة أم نقمة ؟

زيادة على جوانب تقدير وتقييم ما وهبه الله ، ومزايا التقنية ، فقد درست كذلك المخاطر الناجمة عن الاستعمار الاقتصادى الجديد ، وامبرايالية الشركات المتعـــددة الجنسيات او الاوطان · وقد زاد المحاضر الاخير الاستاذ «د ا ود كاون» من جامعة لندن بتقديمه محاضرته التى عنوانها « الانسان خليفة الله فى الارض » فاوضح مرة أخـرى شعـار الملتقى المتمثل فى « **ان الله لا يغـير ما بقـوم حتى يغـيروا ما بأنفسهم** » حيث لا تكاد النزعة التقليدية أو سلفية الآية القرآنية التى مضى عليها ما يقرب من 14 قرنا تخفى تطلع العالم الاسلامى الحديث بصفة عامة والاشتراكية الجزائرية بصورة خاصة الى التقدم الاجتماعى ·

وفعلا فان لهذه المؤتمرات او الملتقيات حول الفكر الاسلامى مظهرا تقليديا واضحا قد صدم بغير حق فى رأى بعض المشاركين (انظر ب·شاليميطا) (1) « **ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت** » فى «نشرة الجمعية الاسبانية للمستشرقين» مدريد IX| (1973 205ـ203) ·

فباستثناء مؤتمرات الغربيين الاكاديمية بصورة عامة ، نجد ان منهج التقديم الاسلامى للموضوعات يجرى حتما بعبارات،ومفاهيم تبدو تقليدية للغاية · ان اختيار الافكار الذى تقوم به الصحافة الجزائرية يساهم اكثر فى اعطاء هذه الملتقيات،وفى منح الوزارة التى تنظمها شهرة بالجهالة وبالرجعية بين الطبقـة الحاكمة والمثقـفة « العصرية » فى البلد ومع ان النصوص التقليديه عموما للمحاضرات متزنة جدا فى بعض الاحيـان وقابلة للتأويل اثناء المناقشات الطويلة ، فانه لا يسعنا الا ان نلاحظ نزعة تقليديـة جلية فى معالجة الموضوعات وفى اللغة المستعملة كما هو العادة فى السياق الدينى ·

والاسلام بتنظيمه الدينى لمجتمـع سياسى يثبت هنا بالذات جدلية خاصة للغاية بين الخطاب الدينى ، التقليدى ، وحتى الروحى أو اللازمنى ، والواقع الملح للمجتمـــع الاسلامى الراهن · وهنا نقدر الاهتمام الخاص الذى يوليه الاسلام لخير المسلمين عامة ·

(1) شارك فى الملتقى السادس الذى انعقد فى قصر الامم بنادى الصنوبر فى العاصمـة سنة 1972 ، غادر الملتقى احتجاجا على تذكيره بأبسط قواعد اللياقة والذوق فى ملتقى يضم اساتذة جامعيين وطلبة وطالبات ...

ان الفكر الاسلامى يبدو أنه ـ وأكتب للاسبان لا للمسلمين ـ تمرين روحى مُرْضٍ جدا لربط الواقع الراهن بنظام من الفكر التقليدى • فهناك من المسلمين من هم بحاجة الى ان يكتشفوا بان نشاطاتهم العصرية تنسجم مع النظام الروحى ، ومع الخطـــاب القرآنى والسنة الاسلامية،ومثل هذه الملتقيات تيسر لهم هذا اللون من التفكير ، وهم يعدون بالآلاف دون شك فى الجزائر •

فالذين هم بحاجة الى اقامة هذه العلاقة بين القديم والحديث حتى لا يقعوا فى «عصرية لائكية» لا ترضى الروح ، او فى سياسة تعصب دينى ، يمكنهم ان يثبوا أية وثبة شاءوا فى الفراغ الاجتماعى السياسى شريطة ان تكون القيم الدينية للاسلام محمية الى أبعد الحدود •

وليس من الممكن ولا من المناسب هنا ان ندخل فى تفاصيل البنية الاجتماعية الدينية للجزائر،هذه البنية التى تفسر الى حد ما هذه الملتقيات فهى أمر يشترك فيه كثير من البلدان العربية •

ان الاستعمار الفرنسى الذى طال امده واشتد اضطهاده فى هذا البلد بصورة خاصة ، قد جعل القدرة الدفاعية لشعب بأكمله تتركز فى الدين الذى تفهمه الغالبية العظمى منه بمعناه التقليدى والمحافظ • وتلك نتيجة بديهية للجهل الذى كان يسود عامة الشعب • وبعد الاستقلال كان من المهام الاساسية للسلطات العمومية من الوجهة الايديولوجية ان تعمل شيئا فشيئا وفى اطار اسلامى على تفتيح هذه الذهنية السائدة كامة دينية فى اوساط فئات معتبرة من السكان • فالتطور السريع للطبقة المسيرة وجماهير الطلاب لا يفتأ يبرز الهوة التى قد تزداد عمقا بين اقلية محظوظة من الجزائريين المتنورين أو العصرانيين والجماهير الشعبية بالبلاد • ان الاختيارات الاجتماعية الرسمية وغياب الجماهير الشعبية،ليزيدان من خطورة ظهور بعض الحركات الشعبية غير المتوقعة ضد الاقلية الحاكمة ، وذلك بالارتكاز على ايديولوجية دينية محافظة بالذات ، وبالاعتماد على مساندات دولية فى العالم العربى • وأمام هذا المشكل يبدو ان الجماعة الحاكمة فى الجزائر المهتمة جد الاهتمام بالمسائل التقنوقراطية للحكومة قد فوضت الى وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية أمر القيام بالمهمة الكبيرة المتمثلـــة فى التأطـــير

الايديولوجى لهذه القوى التقليدية أو المحافظة ، وفى ارضاء مطالبها. لكن الوزارة تسعى فى الوقت ذاته، وبفضل هذه الملتقيات، الى جعل هذه التيارات المتزمتة تنفتح على مشاكل المجتمع الجزائرى الاكثر أهمية ، وعلى التيارات الايديولوجية الدولية فى العالم الاسلامى ، وفى المجتمع الحديث . ان العدد الكبير المتنوع من المحاضرات والموضوعات المطروقة المعروضة دائما فى صيغ متزمتة محافظة بل وبدائية ليبين بوضوح هذه المهمة التربوية والتقدمية التى تكتسبها جهود المسؤولين الجزائريين ، وعلى سبيل المقارنة قد يجرى التفكير فى المؤتمرات الدينية الاوروبية القليلة فى دعوة احد المسلمين مثلا للاطلاع على وجهة نظره بشأن المسائل الدينية .

ان هناك عملا فكريا وتربويا بعيد المدى يجرى تحقيقه اثناء هذه الملتقيات ولا يمكن لتظاهرات النزعة المحافظة الظاهرة والمتعمدة التى قد تصدم البعض أن تنسينا ان هذه الملتقيات الجزائرية لا يمكن ان نقارنها بمثلها فى العالم الاسلامى والعربى حيث تتوالى المؤتمرات النخبوية دونما اى استمرارية ، وبقليل جدا من الاثر على عامة الشعب ولا حتى المؤتمرات التى تنظمها العربية السعودية بمناسبة موسم الحج السنوى .

ومن ناحية أخرى فان مجموعة الاساتذة ورجال الفكر العرب منهم وغير العرب المدعوين الى القاء محاضرات أو لمجرد المشاركة فى الملتقى تشكل شبكة من علاقات دولية هامة ومفيدة للجزائر فى الميدان الدينى والثقافى . فمثل هذه الضيافة السخية الكريمة تسمح بلقاءات مثمرة جدا بين المستعربين الغربيين وزملائهم المسلمين ، بين المثقفين من مختلف النزعات ، بل وحتى بين المفكرين الجزائريين الذى قد تحتاج لهم مثل هذه الفرص السانحة للقاء والتفكير فى موضوعات دينية وثقافية ذات المصلحة العامة ...

اننا لا نزعم بهذه الملاحظات الوجيزة امكان الاحاطة بهذه الظاهرة الدينية والثقافية التى تمثلها هذه الملتقيات الجزائرية للفكر الاسلامى .

فهناك أطروحات جامعية كثيرة تعالج حاليا هذه الملتقيات وما تتركه من اصداء ، حيث يجد المرء حصيلة وافرة من الافكار التى تتفاوت من حيث القيمة والتى تمثل تمام التمثيل مع ذلك الحياة الثقافية الراهنة .

ونود أن نختم هذه الملاحظات بايراد جملة أفكار حول الملتقى الحادى عشر لهـا علاقة مباشرة ، بقدر او بآخر ، بالحضارة الاسبانـيـة ٠

المعاينة الاولى هى الاهتمام الجزائرى بالمؤرخين الاسبان. فبالنظر الى الماضى المشترك الطويل بين البلدين نجد ان الموضوع التاريخى الذى يطرح على بساط البحث فى كل ملتقى يشكل فرصة لدعوة بعض المؤرخين المستعربين الاسبان بصورة منتظمة وربما كان بامكان المنظمين توسيع هذه المجموعة من الاخصائيين الاسبان، لكن تجربة غير ناجحة قد سبق ان اجريت ٠ فالاسبانيون يجهلون اولا يحترمون القيم التقليدية الاسلامية واللغة الاتفاقية المستعملة حاليا فى العالم العربى والاسلامى لطرق موضوعات دينية ٠ وفى الملتقى الحادى عشر شارك الاساتذة: غوميث نوغالس، وفيغيرا، بموضوع يتصل بتاريخ الرستميين ، والاستاذ ميغال دى ايبالزا بمحاضرة له عن الاسلام فى اسبانيا اليوم ٠

ولقـد كانت المحاضرات كلها باللغة العربية الا انـه يمكن استعمال الفـرنسية والانجليزية وكذا الاسبانية والالمانية ، وقد دعى الى هذا الملتقى كذلك ثلاث نسوة هن استاذات فى الجامعـة الاسبانية لكنهن لـم يحضرن ، وكان بامكانهن ، وهـن المستعربات ، ان يتدخلن لدى معالجة الموضوع المهم الثالث كما فعلت بنجاح المستعربة الايطالية كليليا سارنيلى تشركوا[1] وبمجرد التنسيق يمكن ان نتوقع فى المستقبل دعوة اخصائيين آخرين من الاسبان للتحدث فى موضوعات لن تقتصر على الناحية التاريخية فقـط ٠

وبمحضر شخصية صحراوية برز بمساندة الجمهور أكثر مما برز بمشاركته فى أشغال الملتقى لم يكن هناك الا تلميحات قليلة للسياسة الاسبانية أو لاسبانيا -

وقد جرى الحديث عدة مرات عن الحضارة الاندلسية الوسيطة ، وعن الجو الاخوى الذى ساد المؤتمر الاسلامى المسيحى فى قرطبة ٠

فمن الوجهة المسيحية ، وفيما عدا وجود ومشاركة بعض رجال الكنيسة المعروفين مثـل غوميث نوغاليس ومونت غومرى وات اللذين وجهت اليهما الدعوة لجدارتهما كباحثين، هناك موضوع اثار مناقشات عديدة فى القاعة ، الا وهو السياسة الدولية

(1) C.S. Cerqua.

التى ينتهجها الفاتيكان ضد الاسلام والنشاط التبشيرى للبعثات المسيحية بالبلاد الاسلامية . فعلى الرغم من الاحترام التقليدى الذى تستوجبه المسيحية ، لم تكن هناك الا اشارات قليلة الى الموضوعات الجدلية التقليدية مثل التثليث وغيره ... ان الاسلام ليميل الى ان يعتبر نفسه مضطهدا بفعل مؤامرات دولية (الصهيونية ، الماركسية ، الامبريالية ، التبشير) كما انه يتأثر عادة لنشاط المبشرين المسيحيين فى أوساط المسلمين .

اعتقد ان من واجب المسيحيين ان يفكروا مليا فى طرائق العمل التى تتبعها البعثات المسيحية الموروثة عن الاستعمار ، وان يفهموا كذلك المعنى الجدلى لموقف المسلمين من النشاط التبشيرى . وانى لاعتقد فى الواقع ان الموقف العدائى الذى يقفه المسلمون من النشاط التبشيرى المسيحى مرجعه الى غضب المسلمين الكامن امام وقائع المسيحية الراهنة التى تختلف تمام الاختلاف عن الاسلام وهو ما لا يمكن الافصاح به ، علما بان النصوص القرآنية تدافع عن المسيحية ، الا ان هذا الغضب يعبر عنه بصورة غير مباشرة عن طريق مهاجمة النشاط التبشيرى.انه لامر جدير بأن يطرح للدراسة .

ومن قبيل النكت الاسلامية المسيحية نذكر تدخل امام مسلم المانى فى المناقشة. أشار الى وثيقة صدرت أخيرا عن الفاتيكان تتعلق باستحالة ان تمارس المرأة وظيفة الكهنوتية أو القسوسة وذلك ليبين ان ديانات أخرى تمارس نوعا من التمييز الاجتماعى الدينى بصدد وظائف المرأة .

هذا وسيعقد الملتقى الثانى عشر للفكر الاسلامى بمدينة باتنة عاصمة جبال الاوراس ، وذلك فى شهر جويلية 1978 . وكمثال عن ايديولوجية هذه اللقاءات نورد ترجمة لتوصيات الملتقى الحادى عشر .

1 ـ مساهمة الرستميين فى حضارة الاسلام وفكره .

توصى اللجنة بما يلى :

أ) ان تهتم وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ببعث التراث الاباضى فى نواحيه المتعددة ، فتكلف من يبحث عن المخطوطات التى ما تزال فى حوزة الافراد،

والجماعات من الاباضيين تمهيدا لطبعها ونشرها ، كما تعمل على اعداد ببليوغرافيا (ثبت) مستوفاة شاملة لكتب الاباضية الموزعة فى انحاء العالم ، وأن يكلف بهذا الامر شخص ذو كفاية وتجربة فى هذا الميدان ٠

ملحوظة : (تشيد اللجنة بكفاية الدكتور عمرو خليفة النامى فى هذا المجال لخبرته الطويلة فيه) ٠

ب) توصى اللجنة ـ ضمن نطاق بعث التراث الاباضى أيضا ـ برصد الاطروحات والرسائل التى قدمت فى مختلف الجامعات فى موضوع التاريخ الاباضى والعقيدة الاباضية وتصويرها والاحتفاظ بها لتصبح فى متناول من يود الاطلاع عليها ٠

ج) استكمالا للجانبين المذكورين آنفا ، ترى اللجنة ان تقوم الجهات المختصة بتشجيع البحث عن آثار الرستميين عامة والاباضيين خاصة واسترجاع ما يمكن استرجاعه من هذه الآثار التى تسربت الى الخارج زمن الاحتلال ، وبتوجيه نداء لعلماء الآثار المسلمين كى يولوا الآثار الاباضية اهتمامهم ٠

د) وضمن هذا الهدف أيضا ، توصى اللجنة بأن تشفع دراسة التراث الاباضى بدراسة واقع المجتمع الاباضى دراسة عملية ميدانية تتناوله من النواحى الاثنوغرافية والديموغرافية والاجتماعية ، رغم أدراك اللجنة ان الطريق الى مثل هذه الدراسة قد يكون محفوفا ببعض الصعوبات فانها توصى بان تقوم الجامعات بتشجيع هذا النوع من الدراسة ، وذلك فى نطاق دراسة المجتمع الجزائرى والمجتمع العربى عامة ٠

هـ) تقترح اللجنة بأن تؤلف من السادة المهدى البوعبدلى وسليمان داود بن يوسف ، وعمرو خليفة النامى وفرحات الجعبيرى لجنة خاصة تقوم بالاعداد اللازم لاصدار كتاب يتضمن دراسات وبحوثا عن الاباضية فى تاريخها وحاضرها ٠ ويكلف بتلك الدراسات والبحوث عدد من الدارسين فى مختلف انحاء العالم بحيث يكون الاجل المضروب لتسلم تلك الابحاث ديسمبر 1978 حتى تتمكن اللجنة المذكورة من تحرير الكتاب واعداده للطبع خلال سنة 1979 ، وترجو اللجنة ان يجد هذا الاقتراح تأييدا وتشجيعا من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، بل تقترح أن يصدر هذا الكتاب باسمها وباشرافها ٠

و) ترى اللجنة أن يتجه الباحثون المسلمون فى شتى المذاهب الاسلامية الى القيام بدراسات عن مختلف الفـرق والمذاهب الاسلامية ، عـلى ان تكـون دراسات علمية موضوعية وان تتناول الفرق والمذاهب التى نشأت فى ظل الاسلام ، وكان لها فى دار الاسلام دور تاريخى مرموق ، وتنبه اللجنة الى ضرورة التمييز فى تلك البحوث بـين المنهج التاريخى والمنهج الكلامى المتصلين بتلك الفرق ، وعلى أن يستعمل المنهجان معا لاثراء الفكر الاسلامى المعاصر وايجاد قدر أكبر من التفتح بين المسلمين فى المذاهب المختلفـــة .

2) الاسلام فى افريقيا اليوم .

أ) ان تعمل دراسات تكميلية تفصيلية فى المشكلات والعناصر التى ما زالت فى حاجة الى الدراسة فى موضوع الاسلام بافريقيا اليوم .

ب) تبنى القضايا والمشكلات التى يواجهها المسلمون فى افريقيا السوداء ، وبذل مجهود لامداد هذه البلاد بكل ما تحتاج اليه من وسائل التعريف بالعلوم الاسلامية ، وتزويدها بالمدرسين والدعاة وعلماء الدين المستنيرين وبالمصاحف والكتب والنشرات التى تزيدهم علما بأصول الاسلام وتعاليمه الصحيحة .

ج) العمل على اعداد الدعاة وعلماء الدين والوعاظ الذين يمكن أن يسدوا هـذا الفراغ فى افريقيا الغربية والوسطى والشرقية ، ومن المستحسن أن يكون هناك عدد كبير من الدعاة الافارقة انفسهم يجرى اعدادهم اعدادا اسلاميا وفكريا صحيحا .

د) دعوة الدول الاسلامية ومنظمة المؤتمر الاسلامى وما اليها من الهيئات الاسلامية الاخرى للمساهمة فى انشاء جهاز للدعوة الاسلامية ، وذلك لتقديم المعونات الفنيـة والعلمية والاقتصادية للبلاد الافريقية المحتاجة اليها .

3) المرأة بعد عام المرأة .

أ) يوصى الملتقى المسؤولين والعائلات فى المجتمعات المختلفة المستوى فى العالم كل حسب معتقداته الدينية ، وقيمه الخلقيـة ، ونظامـه الاجتماعى بالعناية بالاسرة وبالاهتمام خاصة بالمرأة بما لها من حقوق وما عليها من واجبـــات .

ب) وفيما يتعلق بالعالم الاسلامى بالذات ، يوصى الملتقى المسؤولين والعائلات بتطبيق ما منحه الاسلام للمرأة من حقوق وما كلفها به من واجبات تتفق مع طبيعتها وخصائصها ومواهبها ولا سيما فى ميدان الاسرة التى لها فيها المركز الاساسى والاثر العظيم ، لانها الخلية الاجتماعية التى تصلح بصلاح المرأة ووعيها وحسن سلوكها كما تفسد بفسادها ٠

ج) أن تذلل الصعوبات التى تواجه تعليم المرأة فى مختلف المستويات ، وذلك بتثقيفها ثقافة صحيحة تمكنها من اداء مهمتها ووظيفتها الاجتماعية والتربوية التى تتفق مع المقاصد والآداب الاسلامية ٠

د) ان يكفل للفتاة المسلمة خاصة تعليم وتربية دينية تشمل احكام الاسلام ونظامه وثقافته وذلك فى جميع مراحل التعليم بما يحقق الفهم والتطبيق تحصينا لها وللفرد والاسرة والمجتمع ٠

هـ) أن توضع برامج ووسائل ملائمة لتوعية وتثقيف المرأة الريفية ٠

و) الحفاظ على حشمة اللباس انساتر لمفاتن المرأة داخل وخارج بيتها وفقا لما يأمر به القرآن والسنة النبوية الثابتة ، فهو صيانة للمرأة وللرجل وللاسرة والمجتمع ٠

ز) مساعدة المرأة والاسرة المسلمة فى البلاد غير الاسلامية على رفع مستوى ثقافتها الاسلامية وتربية أطفالها تربية سليمة وفق الوسائل الحديثة ، وعلى كفالة المعاملة العادلة فى تلك البلاد للاسرة الاسلامية ، وتوجيه المرأة المسلمة فيها الى ضرورة تجنب بعض السلوكات التى لا تتماشى مع تعاليم الاسلام وآدابه ، وحض الدول والمنظمات الاسلامية على تحقيق هذه المساعدات بكل الوسائل الممكنة من مالية وبشرية ٠

4) هل بطون الارض نعمة أم نقمة ؟

أ) توصى اللجنة بايجاد جهاز وطنى كامل ينهض بجميع العمليات من التنقيب الى تصنيع المواد حتى نحافظ على هذه النعمة ونوجهها الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ب) يجب على البلدان العربية والاسلامية ان تخصص جانبا من عائداتها النفطية لاستثماره داخل بلادها فى التصنيع والزراعة مما يحد من حرية الاقليات فى التبذير .

ج) يجب ان تراعى فى عملية تخطيط الاستثمار مسألة المحافظة على قيمة هـذه النعمة لان وجود النفط فى باطن الارض أفضل من توجيه رؤوس الاموال الى البنـوك الاجنبيـــة .

د) على الدول الاسلامية المنتجة أن تساعد البلدان المحرومة من هذه النعمة وأن توجه اليها العائد مباشرة لا بواسطة البنوك الاجنبية والدول الاسلامية التى لا تملك شيئا من هذه الخيرات فى شبه الجزيرة يجب أن تستفيد من هذه الثروة .

الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى (١)

د . ارجمند كوران
استاذ التاريخ بجامعة هاكتب
ـ انقرة ـ (تركيا)

ان ملتقى الفكر الاسلامى الذى يقام ـ منذ 1967 ـ سنويا فى مدينة من مدن الجزائر ، انعقد هذه السنة فى مدينة ورقلة الواقعة فى الصحراء الكبرى على مسافة 800 ميل من البحر . انتظمت هذه الملتقيات لحل مشاكل حالية يعيشها العالم الاسلامى . وذلك على ضوء العلم وبالنظر فى الفكر الاسلامى من كل زواياه . وقد دعى اختصاصيون من كل اقطار العالم لقراءة ومناقشة البحوث .

ولطلاب التعليم العالى والثانوى الجزائريين أن يحضروا فى الملتقى ويلقوا أسئلة على المحاضرين . وتنشر الصحافة المحلية مقالات شتى بمناسبة انعقاد هذه الملتقيات التى تنظمها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الدولة الجزائرية . ويستطيع الشعب الجزائرى أن يتابع ما يجرى فى الملتقى بواسطة الصحافة الناطقة والمكتوبة .

والموضوعات المسجلة فى جدول أعمال ملتقى هذه السنة هى كالآتى :

(I) مقال نشر فى المجلة الشهرية للثقافة التركية بتاريخ II افريل 1977 .

1 ـ الخدمات التى أسداها للفكر والحضارة الاسلاميين بنو رستم الذين بسطوا هيمنتهم على اقليم ورقلة اثناء القرون : الثامن ، والتاسع ، والعاشر للميلاد ·

2 ـ الاسلام فى افريقيا اليوم ·

3 ـ المرأة بعد عام المرأة ·

4 ـ بطون الارض أهى نعمة أم نقمة ؟

ان قرابة 200 من رجال العلم والدين ومن رجال الدولة ومن الصحفيين الذين جاءوا من سبعة وعشرين بلدا من أقطار مختلفة شاركوا فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ·

ومن بينهم شخصيات معروفة مثل الاستاذ مونتغومرى وات (ايدمبورغ) والاستاذ شارل جيدز (دانفير)،والاستاذ عبد الكريم سايطوح (طوكيو) ؛ والاستاذة د· كليليا سارنيلى تشركوا،(نابولى) والاستاذة وداد القاضى،(بيروت) والدكتور م· الراشدى (جاكارتا ـ السفير سابقا) والشيخ شماحى (الوزير سابقا ـ صنعاء) والدكتور اسماعيل باليك (فيينا) · وممن حضروا الملتقى من تركيا الدكتور سليمان أتس ، رئيس الشؤون الدينية والدكتور على أيدين ممثل المجلس الاعلى للشؤون الدينية ، وعقيلة رئيسنا لمجلس الشيوخ السيدة ب · أريبوران ، والدكتورة آمال ايزين العضوة فى معهد البحوث للثقافة التركية ، ومحرر هذا المقال ·

ومن جهة أخرى ، أستاذة اللغة الفارسية فى جامعة أتاتورك الدكتورة صائمة اينال بمرافقة زوجها الدكتور الصاوى من جامعة طهران،وقد تالف من ثلاثة اشخاص يترأسه المفتى عبد الغنى عبد اللطيف من الاتحاد السوفياتى · كلهم شاركوا ايضا فى الملتقى·

وقد افتتحت الاعمال بخطاب وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية مولود قاسم نايت بلقاسم · وكان الامين العام لملتقى البلاد الاسلامية أمادو كريم غاى حاضرا فى حفلة الافتتاح ·

اما ما يخص الموضوع الاول : تاريخ بنى رستم فقد قرئت ونوقشت عنه سبعة بحوث · ولن نطيل الكلام عنها لان لها أهمية اقليمية ·

وكان الموضوع الثانى الذى عرض للاسلام فى افريقيا مثيرا للاهتمام .. وقرئت حوله ثلاثة بحوث مشتملة على تعداد المسلمين فى كل بلد افريقى مع وصف أوضاعهم السياسية،والاجتماعية،والاقتصادية .

وقد انصب الاهتمام بشكل خاص على الخطر الذى يهدد الاسلام فى افريقيا من قبل المبشرين المسيحيين .

والموضوع الذى أعير أكبر أهمية فى الملتقى هو الثالث : المرأة بعد عام المرأة .. فان واحدا وعشرين بحثا من الثمانية والثلاثين التى عرضت على الملتقى كان موضوعها : حقوق المرأة . وقد تناولت بحوث الاتراك هذا الموضوع أيضا . وفى البحث المحرر بالفرنسية الذى عنوانه «المرأة التركية الوارثة للتقاليد الوطنية والاسلامية» أبرزت فيه الدكتورة آمال ازين نشاط المـرأة التركيـة فى ميادين الفـن،والادب،والعلـم، والسياسة قبل ظهور الاسلام وبعده . وقد دعمته ببراهين متينة . أما ما يخص السيدة ب. أريبوران فقد بينت فى بحثها المحرر باللغة الانكليزية الذى عنوانه « المـرأة التركية وقرارات ملتقى مكسيكو » الحقوق التى ظفرت بها المرأة التركية بفضـل اصلاحات أتاتورك والمقترحات التى قررت الجمعيات النسائية التركية ابلاغها لنسوة مكسيكو أثناء ملتقاهن الذى أقيم فى أنقرا من الخامس الى الثامن من ديسمبر 1975 . وقد حاولت أنا بنفسى أن ألخص ــ فى مقال حررته بالفرنسية عنوانه « نمو حقوق المرأة فى تركيا » ــ الحقوق التى كسبتها المرأة التركية منذ الاصـلاح (تنظيمات) حتى أيامنا هذه .

وقد استمع المشاركون فى الملتقى باهتمام الى بحوث الوفد التركى التى أثارت عدة أسئلة . ومما حظى بالتنبيه عليه ظفر المرأة التركية ــ فى العالم الاسـلامى ــ بحقوق أوفر وأكثر .

والموضوع الاخير يهدف الى بيان : ان الثروات المستكنة فى بطن الارض أهى نعمة أم نقمة ؟ وقد عالج المشكلة خمسة بحوث أقام أستاذ الجغرافية فى جامعة الجزائـر الدكتور الجيلالى صارى التركى الاصل فى بحثه البرهان على أن هذه الثروات المستثمرة بصفة منتجة تعود بالخير على البلاد الاسلامية اذ هى فيها فى نمو مستمر .

وقد استمر الملتقى عشرة أيام صادق فيها باجماع على القرارات التى قدمتهـا اللجان وقرر أن يجتمع المؤتمرون فى المرة المقبلة فى مدينة باتنة .

وفى جلسة الاختتام القى الدكتور على أيدين خطابا بالعربية حول التربية الدينية فى تركيا وكان له وقع جد حسن . وفى أيام الملتقى نظمت رحلتان الى ضواحى مدينة ورقلة . زار المؤتمرون فى الاولى حاسى مسعود . وهى من المناطق الرئيسية المنتجة للنفط فى الجزائر ، ومدينة تقرت منشأ طريقة « التيجانى » .

وادتنا الرحلة الثانية الى مدينة غرداية مركز الخـوارج .

ومدينة ورقلة التى أقيم فيها الملتقى والتى عدد سكانها ستون الف نسمة هى ذات اهمية بفضل مساجدها، وبيوتها العتيقة، وسوقها القديمة الواقعة ازاء متاجرها الحديثة، ومكاتبها، ومتحفها « الصحراء » .

أعرب عن كل امتنانى لسعادة الوزير الجزائرى للتعليم الاصلى والشؤون الدينيـة ذى الثقافة الكبيرة والشخصية الدينامية السيد مولود قاسم نايت بلقاسم للصداقة والاستقبال اللذين تفضل بابدائهما للوفد التركى . وأعبر عن شكرى للسفير فايق مالك الذى دعانا بكل ظرف لطعام الغداء فى السفارة التركية اثنـاء اقامتنـا القصيرة المدة فى مدينة الجزائر ولحسنة كوران الامين العام للسفارة ولعقيلته اللذين استطعنا بفضلهما أن نزور ونشاهد آثار المدينة الباقية الى الآن منذ عهد الاتراك .

حـــول الملـــتقى الحـــادى عشـــر للفـــكر الاســـلامى (*)

ابن الطـيب
مندوب جريدة «الفجر الجديد» الليبية
الى الملتـــقى

- **ضرورة اعـداد الدعـاة من الافـارقة لنشر تعـاليـم الاسـلام فى افريقيـا .**
- **الاســـرة لا تفســـد الا بفســـاد المـــرأة والـرجـل معـــا .**
- **ايجاد الخـيرات الوطنية اللازمـة للسيطـــرة على قطـاع الطـاقة بأجمعـه .**



انعقد فى الفترة ما بين السادس الى الخامس عشر من فبراير 1977 م ، فى مدينة ورقلـــة بالجمهورية الجزائرية الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى الذى تشرف عـــلى الاعداد له وتنظيمه وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية .

وقد دعى الى هذا المؤتمر مفكرون من معظم انحـاء العالم ، يحملون مختلف الاتجاهات الدينية، والفكرية ، وشتى المذاهب المتطرفة، مناصرة، او غير مناصرة للاسلام، مما أكسب الحوار طابعا ثريا خاصا دفع بالملتقى الى أداء الغرض المرجو منه .

وقد احتوى جدول اعمال الملتقى أربعة بنود هى :

1 ـ مساهمة الرستميين فى حضارة الاسلام وفكره .

2 ـ الاسلام فى افريقيا اليوم .

3 ـ المرأة بعد عام المرأة .

4 ـ هـل بطـون الارض نعمـة أم نقمـة ؟

وقد استغرق بحث النقطة الاولى ثمانى محاضرات ، وساعات طويلة من الحوار فى المناقشة التى طرحت من خلالها، حيث تلتها النقطة الثانية والتى كان عدد المحاضرات

(*) نشر بجريدة «الفجر الجديد» الليبية بتاريخ 9 مارس 1977 ، العدد 1409

فيها ست محاضرات تناولت معظم الجوانب الخاصة بحاضر الاسلام فى افريقيا،والطرق المقترح اتباعها للوصول الى مستقبل افضل لنشر الاسلام فى مواجهة كل الحملات التبشيرية الاستعمارية التى تخالف روح الدين المسيحى نفسه كما صرح بذلك الدكتور المسيحى سلفادور غومث نوغاليس ، الذى يشغل منصب رئيس قسم الفلسفة الاسلامية بالمعهد الاسبانى العربى بمدريد ٠

وكان من أبرز المحاضرات التى ربطت حضارة الاسلام ببقاع قصية ، هى محاضرة الدكتور دينس ووكر الاستاذ بقسم دراسات الشرق الاوسط بجامعة ملبورن ـ أستراليا ـ عن ـ علاقة الافارقة الامريكان بالاسلام فى التاريخ الماضى والمعاصر ـ والتى سلطت الضوء على الاسلام كقوة تدفع الى النضال ضد الاضطهاد والعنصرية حتى بالنسبة لغير المسلمين فى أمريكا ٠

وقد كان للنقطة الثالثة الخاصة بوضع المرأة نصيب هائل من المحاضرات والحوار ، فقد القيت فيها احدى وعشرون محاضرة من أبرز المفكرين العرب المسلمين والمستشرقين، كان من ابرزهم المفكرة الالمانية ـ سيغريد هونكه ـ صاحبة كتاب ـ شمس العرب تسطع على الغرب ـ حيث قدمت فى محاضرتها ـ المرأة العربية فى صدر الاسلام كنموذج ـ وعيا حقيقيا بظروف المرأة فى المجتمع المعاصر ، واقتراحات جادة للتحسين من وضعها باستلهام العبرة من الفترة المضيئة فى التاريخ البشرى الذى حددت مفاهيم تليق بالانسان وتعمق احترام ذاتيته المتفردة ٠

وكان للدكتورة ـ ايفادى فيترى ماروفيتش ـ وهى استاذة بكلية البنات بجامعة الازهر ، وعضوة المركز الوطنى للبحث العلمى بباريس ، دور فى ايضاح نقطة قانونية مهمة فى محاضرتها ـ المرأة المسلمة والفرنسية أمام القانون ـ بينت من خلالها تفصيلات تؤكد تقدمية القانون الاسلامى بالمقارنة مع القوانين الوضعية الاخرى ، الامر الذى أكده الاستاذ الاكحل بن حواء ـ بقدر ما ـ وهو محام جزائرى ـ فى محاضرته ـ مقارنة بين تزويج المرأة فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ـ ٠

وإجمالا يمكن القول ان هذه النقطة ـ أعنى بند المرأة ـ قد حظيت بحوار طويل متصل ومتشعب يتسم بالحدة أحيانا والجدية الهادئة حينا ، لكن الامر المتفق عليه انه كان التقاء بين افكار متخالفة ومتضاربة دفع بالفكرة الاسلم الى البقاء والصمود بالرغم من اصرار بعض المفكرين الاسلاميين التقليديين على رؤية الامور من زاوية محصورة غير بعيدة المدى .

وبعد توالى الحوار أربعة أيام متوالية فى هذا البند كان البند الاخير المتصل بالطاقة ومستخرجات الارض وكيفية استغلالها ، والمتمثل فى التساؤل ... هل بطون الارض نعمة أم نقمة ؟ ... هو أقل البنود من حيث عدد المحاضرات،حيث القيت أربع محاضرات كان من أبرزها محاضرة الدكتور ـ داود كاون ـ وهو استاذ فى قسم الشرق الادنى والاوسط بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة لندن ـ ذات عنوان ـ «الانسان خليفة الله فى الارض» ناقش من خلالها امر الاستخلاف الالهى والغرض من الوجود ، والطرق التى تحدد استعمال الانسان للاغراض الحياتية لتحقيق الخير على الارض ، وأوضح مدى المسؤولية البشرية فى التحكم فى خيرات الارض وتوجيهها نحو خير الشعوب ، وندد بكل الاحتكارات وسلب الخيرات التى تمارسها الدول الاستعمارية ، وأوضح أن هذا ليس فقط مخالفة للاتفاقيات الانسانية المعقودة ، وانما هو مخالفة للنواميس الحياتية المقررة منذ بدء الخليقة .

وقد احدثت محاضرة الدكتور صلاح الصاوى ، وهو استاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة طهران ـ نقاشا طويلا وحادا حيث اعتمد الدكتور الصاوى أسلوبا خاصا جدا فى التعرض الى مشكلة الطاقة ، فاستهلك ثلاثة أرباع المحاضرة فى المقدمة التى كانت تفسيرا صوفيا لسورة الرحمن ، وقد كان تفسيره ـ برغم بداعته وجودته ومقدرته على التعامل مع الكلمات ـ غير واضح العلاقة مع الموضوع المطروح فى اذهان الكثيرين مما أدى الى معركة كلامية حادة بينه وبين بعض الاساتذة وعلى رأسهم الدكتور بشير التركى المتخصص فى شؤون الذرة (تونس) .

وقد اختتم الملتقى أعماله بكلمة الاخ مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية الذى أعلن أن الملتقى الثانى عشر سيعقد ـ ان شاء الله ـ

فى مدينة ـ باتنة ـ فى الشـرق الجزائرى فى صيف العام القادم ، وذلك بعد تـلاوة التوصيات الخاصة بهذا المؤتمر والتى أكدت على أهمية العمل على ربط مفاهيم الاسلام بواقع الحياة وظروفها لدى المواطنين الافارقة ، وعلى الاهتمام الكامل بتعليم المرأة على كل المستويات وخاطبت المجتمعات العربية والاسلامية التخفيف من قيودها لتمكين المرأة من ممارسة حقوقها ـ المقررة لها فى القوانين ـ بشكل عملى ، كما أكدت فيما يخص البند الاخير على ان الثروات الباطنية وخاصة النفط لعبت ولا تزال تلعب دورا حيويا فى انشاء المشاريع وتقديم الخدمات الاجتماعية والعمران والاقتصاد الانتاجى مما رفع مستوى الحياة الانسانية ، وعلينا ان نأخذ بعين الاعتبار الجوانب السلبية ، والتى حركت أطماع الغرب المتمثلة فى النفوذ الاجنبى وضرب الاقتصـاد الوطنى وشل حركات النهوض وتزييف الحكم السياسى وخلق ركائز احتكارية مضادة لحركات نهوض الشعوب ، وناهيك أن فلسطين المحتلة والصحراء الغربية هما ضحيتان لضمان بقاء المصالح الاجنبية فى الاقطار الاسلامية واستغلال ثرواتها ٠

وأكدت التوصيات أيضا على أن البلاد العربية والاسلامية يجب أن تأخذ نصيبها الكافى من النفط لاستثماره داخل بلدانها فى التصنيع والزراعة مما يحد من حرية الاقليـات فى استغـلال ثروات الشعـوب ٠

وبعـد ٠٠٠

فقد كان الملتقى تظاهرة فكرية صحية أكدت مقدرة الفكر الاسلامى على الصمود أمام كل التحديات التى يواجهها سواء من المستشرقين المغرضين أو مـن المفكرين الرجعيين الذين يحتمون بتفاسيرهم الخاصة للقضايا الفكرية التقدمية العظيمة التى يطرحها الاسلام أثبت الملتقى أن هناك خطرا حقيقيا يواجهه الاسلام لا يمكن القضاء عليه الا من خلال مقارعة الحجة بالحجة فى منبر حر ، لا يتيح الفرصة للحواة والمشعوذين فى السيطرة ٠٠٠ وانما يبقى فى النهاية الفكر الاسلامى الصحيح وحده ٠

انطبـــاعــات جزائـــرية(1)

فاطمة هـيرن سـيركا
المركز الثقافي الاسلامى ـ ميونيخ ـ
ـ جمهورية المـانيا الاتحادية ـ



ان قضاء أسبوع فى بلد ما لا يعنى طبعا ان المـرء يعرفه ، الا أن ذلك يبدو كما لو ان المرء قد سار وئيد الخطو منتشوقا عبر حديقة غريبة ، يتامل أزهارهـــا المتنوعة فى دهشة ، وهو لا يعلـــم ما اذا كان لهـذه الزهرة شوك أو هو لتلك ، وما اذا كانت تلك الزهرة البديعة الحمراء تضوع حقا أم ان تلك الزهرة الصغيرة اللطيفة المستورة هى التى تنشر شذاها وسط العشب الاخضر الذى يحميها . ساحاول أن اصف الازهـــار التى تـراءت لى فى شهـر فبـراير أثنـــاء الايام التى قضيتـــها فى الجـــزائـر .

وكان الباعث على السفـر هو الملتـــقى الحادى عشر للفـكر الاسـلامى ، الـــذى أقيـم فى مدينـة ورقلة ، وهى واحـــة تقع فى سط الصحـراء على بعـــد ستمـائـة كيلومتر من مدينة الجزائر . وقد لا يشرفنى ان أعترف انى لم أكن فى الواقع أعرف شيئا عن هذا الملتقى واذا استثنيت مقالا قصيرا صدر فى مجلة امريكية عن المؤتمـــر العاشر فانى لم اسمع شيئا عن الطريقة التى يتم بها هذا الملتقى السنوى الجزائرى . ومع ذلك اود ان اقطف الزهور المتنوعة على الترتيب .

وكانت الزهـرةالاولى بالنسبـة الى ان التحية وجهت اليـنا فى الطائـرة النفـاثة التابعة للخطوط الجوية الجزائرية ـ التى كان طاقمها فى غاية اللطف ـ باللغة العربية

(I) كتبت هذه الانطباعات بعد مشاركتها فى الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بورقلة

ثم بالفرنسية . ومن كان يتصور ان الرغبة فى كل ما هو غربى سوف تـزداد بنـاء على معايير التجربة الانسانية العادية ، فانه سيغير رأيه ها هنا منذ الوهلة الاولى . فقد كان يجابهنا فى كل مكان ذلك الوعى العربى الاصيل ، الذى لا يرى طبعا ضرورة لانكار حصته من الثقافة الفرنسية الاوروبية .

وكانت الامسية الاولى بمدينة الجزائر شبيهة بباقة زهر كاملة . فقد كان صديـق لزوجي ، وكان فى السابق طالبا ، زارنا فى المانيا مرات قليلة ، فى انتظارى بالمطـار حوالى الثامنة ليلا . وحملت فى سيارة أستاذ شاب فى الرياضيات ، كان يرتـدى قشابة خشنة ، تتميز بها الجزائر ، الى بيت مضيفى . ولكـم كانت أسرتـه لطيفة ! لقد كان هناك حوالى ثلاثين شخصا ، فرحوا بوجودى بينهم ، واجتمعنا فى حفلة عائلية حول خروف مشوى ، يحيط به عدد من الاكلات الشرقية اللذيذة ، ونحن نتجاذب أطراف الحديث . وكان على أن أتحدث عن الاسلام فى المانيا وعن أناسنا وأعمالنـا . وقد عرفت ــ ورأيت ذلك بنفسى فيما بعد ــ أن هناك كلية اسلامية كبيرة فى مدينة الجزائر ، يوشك بناؤها على الانتهاء ، وأن هناك بين الطلبة جماعات ، تمارس الفروض الاسلامية بجد وعزم .

وكنت مهمومة ، لانه كان على أن أسافر فى صبيحة اليوم التالى باكرا الى ورقلة ، ولذلك استأذنت فى الانصراف بعد العشاء بفترة قصيرة ، فلم يستأ أحد لذلك ، وودعت أسرة ، يمكننى ان اقول عنها بعد ساعات قليلة انى احبها كما احب اسرتى .

وقضيت ليلة مريحة فوق كنبة حقيقية . وكانت الغرفة مزودة بكنبات على امتداد جدرانها ، تصلح أن تكون مبيتا لقافلة صغـيرة ! وامامها موائد خشبية صغـيرة ، بها زخارف بيضاء بديعة ، ومخدات جلدية كبـيرة . وقد جعل لها خلوهـا من الاثـاث الاوروبى العادى جوا خاصا ، حتى المكتب المجاور لها كان شرقيا : كانت الكراسي والمكتب والدواليب مصنوعة من الخشب المنحوت بصورة جيدة . وهكذا اجتمع فيها ما ينفع ويمتع العين فى آن واحد .

واتجهنا فى اليوم التالى الى المطار قبل طلوع الشمس . وكنا فى الطـريق نـرى أشباحا مقنعة ، تمضى سرعة الى العمل ، ومن بينها عدد كبـير من النساء اللواتى كن

يرتدين عباءات بيضاء وأقنعة مثلثة تنتهى تحت عيونهن ، وليست هذه الالبسة مقصورة على النساء البسيطات ، فقد التقيت فى الطائرة بنساء يرتدين هذا اللباس ٠ وقد أعجبنى فى ذلك بصورة خاصة أن الرجال كانوا مهتمين بزوجاتهم كل الاهتمام ، وكانوا يظهرون بمظهر الرجل الاصيل الشهم لا بمظهر الرجل المالك لزوجته الذى يبدو وكأن الامر لا يهمه ٠

وكانت الرحلة الى الصحراء بالطائرة تجربة لا تنسى ٠ فبعد ان اجتزنا السهل الواقع بين الساحل وجبال الاطلس بأبسطته المزركشة ، التى تتكون من الحقول الخضراء والسمراء وبساتين النخيل والمنازل التى تتوسطها ، شاهدنا الشمس تشرق من قمم الجبال فى روعة وتنشر أشعتها الذهبية فوق وهاد عديدة بكل قراها ومزارع كرومها ٠ وكان فى وسع المرء أن يحلم ٠٠٠ لكم سيكون جميلا لو استطاع ان يسير عبر الطرق الملتوية ويتوغل فى الجبال الى أن يصل الى ابعد قرى المنطقة عزلة ، ولكنه كان يحلق فوق ذلك كله ويتصور كيف ان النساء يهيئن الآن طعام الفطور فى البيوت الصغيرة تحته وان الاطفال قد يكونون فى طريقهم الى المدرسة ، وبدأوا يوما جديدا من ايام حياتهم المهمة بالنسبة لهم ، التى تبدو من هذا العلو بعيدة بعدا لا حد له وغير حقيقية ٠

كانت الجبال تضمحل من دقيقة الى أخرى ، فتتحول الى كثبان رملية ، تتخللها مجارى الوديان الجافة ، ومع ذلك يرفع النخل سفعاته بها من حين لآخر ، ونادرا ما كان المرء يرى هناك بقعا صغيرة خضراء ، مما جعله يتساءل عما اذا كان هناك أناس يستطيعون العيش فيها وما اذا الله لم يخلق تلك البقع الصغيرة فى هذه العزلة اللا متناهية الا للرعاة المتنقلين ٠ وبعد حوالى ساعة تراءى لنا فى جو الصباح الغائم فجأة سهل ، تحده تلال ، وتتوسطه بحيرة كبيرة شديدة الزرقة ، انها الواحة ! كانت ترسل فى اتجاه الطائرة الهابطة نخلات منعزلة كأنها مراكز أمامية ، فيتعجب المرء كيف يمكنها أن تنمو فى الرمال السمراء ٠ ومن الجهة الاخرى للبحيرة كانت غابات النخيل ترسل تحياتها من بعيد ٠ وبينها بيوت مصغرة ذات سقوف مسطحة واحة لا يكاد المرء ان يتصورها اكثر شاعرية من هذا البعد ٠ وحين كانت الطائرة

تسير بمحركاتها الصارخة فوق ارض المطار المبلطة ، تنقلت عينى فوق الارض الرملية وفوق مسجد صغير ، كأنه ينتصب هناك للترحيب بالقادمين • ترى من بناه هناك ، ومن يقطع المسافة الطويلة على ظهر حماره ليصلى فيه صلاة الجمعة ؟

ومن المطار انطلقت بنا السيارة فوق طريق مستقيم نحو ورقلة ، وكانت تسير بسرعة فائقة ، تجعل المرء يتصور انها توشك ان ترتفع فى الجو • ان المدينة لتعتبر بهجة العين بالنسبة للأوروبى : ليس فيها دور عالية اقيمت فى مكان غير مناسب ، فالبنايات كلها تبدو وكأنها قد خرجت من الارض بصورة متسقة ـ قد يكون بعضها سيء المنظر ، هذا وصف يمكن ان نطلقه عليها ، ولكنها متلاصقة بصفة طبيعية ، يحتمى بعضها ببعض فى منطقة رائعة ولكنها قاسية لا تعرف الرحمة هنا فى هذا الملجأ الذى انعم عليه بما يكفى من المياه لسكانه البالغ عددهم ثلاثين ألف نسمة •

ولم اكد انفض عنى غبار السفر فى فندق **ترانزاتلانتيك** ، الذى يختفى بين أشجار السنط والنخيل العالية ، بحيث لا يكاد المرء يصدق ان له طابقين ، حتى حملت فى سيارة كانت تنتظرنى الى قاعة الملتقى ، الذى كان قد بدأ فى يوم الاحد 6 فبراير ،وكان اليوم يوم سبت ، 12 فبراير ، ولم أكن اعرف ماذا ينتظرنى لان برنامج الملتقى لم يصلنى قبل مغادرتى لالمانيا • لقد فاتتنى النقطتان الاوليتان من البرنامج ، وذلك وحده جعلنى اكتشف فى حسرة ان ثقافة الدولة الرستمية وأثرها فى المغرب والاندلس قد عولجت ، كما تبين لى من البرنامج ،ومن طرف أساتذة ومؤرخين من الجزائر ووهران ، من ميشغان وبرفستون ، من هارفارد،ومدريد،وفارسوفيا • أما موضوع « الاسلام فى افريقيا اليوم » فقد تحدث عنه اساتذة من ايدنبورغ والرياض،وميلبورن،والقاهرة،ودكار • وبالاضافة الى ذلك كانت قد نظمت فى يوم الخميس رحلة الى الواحتين المجاورتين حاسى مسعود وتقرت ، وتمت الى جانب مشاهدة أكبر مصانع النفط فى البلاد زيارة المؤسسات الثقافية بصورة خاصة مثل ضريح الملوك والمسجد القديم الجميل كما اقيمت للضيوف حفلة عشاء متميزة تحت اشجار النخيل •

وكانت المناقشات متواصلة فى قاعة الملتقى ، وهى قاعة سينما مبنية على الطراز المحلى ، لها برج مربع فى الخارج وأقواس وحنايا فى الداخل · وعندئذ فقط بدأت ادرك معنى هذا الملتقى ، فهو لا يقام من اجل الدعاية للجزائر ولا من أجل جمع عدد من الشخصيات الكبيرة لالقاء الخطب الرنانة واجراء الاحاديث الشيقة بعيدا عن الرأى العام الى حد كبير ، وانما يقام هذا الملتقى السنوى لفائدة حوالى ألف شخص من الطلاب والمعلمين الذين يأتون من مختلف انحاء البلاد · وهذا يمكنهم ، وهم نخبة المستقبل ، من ان ينموا الافكار التى كونوها بأنفسهم عن الاسلام على ضوء ما يقوله العلماء المسلمون وغير المسلمين من جميع انحاء العالم حول هذا الموضوع ·

ولم يكن من المسموح به ان تتجاوز المحاضرة الواحدة نصف ساعة ، بينما خصص للمناقشات ما يكفى من الوقت ، فيلقى الطلبة اسئلتهم على المحاضرين بصورة منتظمة ، فيجيبون عليها فى الوقت نفسه أو فى اليوم التالى ويوضحون ما غمض من جوانب المسائل المثارة ، فينشأ عن ذلك حوار حى ، يستفيد منه مربو الاجيال المسلمة القادمة بشكل حقيقى · ولا يقدم لهم الاساتذة المسلمون الاتقياء فحسب ، الذين يرددون الاشياء نفسها على الدوام ، بحيث ينام المستمعون على الترتيب ، وانما تحدد الموضوعات بدقة ، ويجب على المشارك أن يوجز كلامه ، وقد اشيع فى العالم الاسلامى منذ فترة طويلة ان مستوى هذا الملتقى يحتم على الانسان ان يقدم شيئا حقيقيا والا يضيع فى العموميات · ان ذلك ليشبه « الصحة المعدية » : اذا لم يكن للمرء ما يقوله ، فانه يشعر بذلك غريزيا ويفضل ان يصمت ·

وانه لمن المفيد بصورة خاصة ، فيما يبدو لى ، أن يكون غير المسلمين قد سمح لهم بالحديث فى هذا الملتقى · فاذا اراد الانسان ان يتسلح للمستقبل ، فانه لا يستطيع أن يعتزل بقية الناس ، اذ أن عليه ان يكون قادرا على تمحيص آراء الآخرين ، فيأخذ منها ما يراه صالحا له ويتعلم كيف يتجنب ما ليس صالحا له ·

والى جانب ذلك فان الملتقى تنتج عنه ظواهر مرغوب فيها ، وهى ان على غير المسلمين ، الذين لهم بحكم مهنهم ما يقولونه عن الاسلام ، ان يستمعوا ضرورة الى آراء المسلمين · فعن طريق دعوة المسلمين من جميع انحاء العالم ـ فقد جاءوا من

اليابان،والسويد ، من بولونيا،وكازخستان ، ومن استراليا،وموريتيوس ـ يتعرف المرء على الافكار والمشاكل التى توجد فى مكان آخر • ونظرا الى أن الملتقيات تقـــام فى أغلب الاحيان خارج المدن الكبرى ، فان الطلبة والمعلمين يتعرفون على مناطـــق أخرى من وطنهم ، والا فمن يفكر يا ترى فى القيام برحلة الى الصحراء• ومع ذلك يوجد هناك أيضا الكثير مما يقوى الوعى الطبيعى بالذات •

وكان بعض الطلبة ، الذين كانوا ضيوف وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ولم يدفعوا سوى خمسين دينارا (وهى لا تزيد عن خمسة عشر ماركا) وكانـــوا يقيمون بمدرسة ثانوية فى ورقلة ـ كان بعضهم يدعى لتناول الطعام عند بعض الاسر فى المدينة • ان هذه الاتصالات الشخصية بين الشبان المتفتحين وبين أهالى المنطقة ، وهذا التعارف المتبادل ، قد ساعدا على تمتين روابط الوطنية والتماسك الروحى ، واقامة صداقات ، لا شك انها ستعيش طويلا بعد انتهاء الملتقى •

وكان النظام يسود الملتقى بصورة تدعو الى الاعجاب • كانت الحافلات الواقفة أمام الفندق تبدأ فى استعمال آلات التنبيه أيام الجلسات فى وقت مبكر ، وكانت المناقشات تستأنف فى كل مرة فى الساعة الثامنة بالتدقيق ، وتبـدأ فى الرابعة المحــاضرات المسائية • ويحيى الاساتذة القادمون من الفنادق من طرف الطلبـة والمعلمين النشيطـين بمجرد أن يدخلوا قاعة الاجتماعات • وقد تركت رئاسة الجلسات وادارة المناقشـات والاشراف عليها بحيث لا يتجاوز أحد الوقت المقرر له ، لشبان حازمين ، لا يتورعون حتى عن تنبيه وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، الذى كان يحضـر الجلسـات بصفة دائمة ، عند ما يوشك ان يستأثر بالكلمة لنفسه لفترة طويلة•(1) وبما ان الوزير كان قد قدم على ذلك مثلا طيبا ، فكان يتنقل مع المدعوين بالحافلـة ، ويتناول الطعـام معهم ، ولم يكن يتخلف حتى عن المناقشات المحضة ، فان روح هذا النظام الطبيعى قد عمت جميع الحاضرين بشكل طبيعى ودون ان يلفت انتباههم الى ذلك بصـــورة مستمــــرة •

ولنعد الآن الى الحـديث عن الملتقى نفسه • لقد كرس معظـم الوقت لموضوع المرأة المتفجر « المـرأة فى عام ما بعد (عام المرأة) » ، وكان اليوم الثـالث فى برنـــامج

(1) فى الواقع انه ، عدا كلمتى الافتتاح والاختتام ، لم يتناول الكلمة الا مرتين اثنتين لا اكثر ، لحفظ النظام فى القاعة اثر بعض الخلافات الحادة بين الملتقين • وكان قد وصى رؤساء الجلسات الذين كانوا كلهم من موظفى الوزارة ان يذكروه بنفس الحزم بالوقت المحدد للجميع فى الملتقى ، وبالتالى معهايضا طبعا ، والا فلا يستحقون صفة المسؤولية.

الملتقى • وقد فاتتنى ـ للاسف ـ محاضرة الدكتورة سيغريد هونكه عن « المرأة العربية فى بداية الاسلام وكيف تطورت » • وقد حظيت المحاضرة باهتمام كبير ، بحيث انه لم يكن من الممكن الحصول على نسخة منها بالفرنسية ، رغم ان المحاضرات كلها تقريبا كان قد وزع منها فى البداية عدد كبير من النسخ بالعربية وبالفرنسية ، وكان فى وسع المستمعين ان يستمعوا أيضا بواسطة سماعات الى ترجمة فورية بالعربية والفرنسية والانجليزية • وكانت السيدة هونكه ، التى ساهمت مساهمة هامة فى رجوع الشعب الجزائرى الى تراثه الثقافى بواسطة كتابها « شمس الله تسطع على الغرب » وعن طريق عدد من المحاضرات التى القتها فى مناطق مختلفة من الجزائر ، ـ كانت قد دعيت للقيام بعد الملتقى برحلة فى مناطق الجزائر النائية ، حيث ينتظر الناس وصولها باهتمام كبير •

وكان قد تعاقب قبلها على المنصة مؤلفات فرنسيات واستاذات وأساتذة من دينفر، والجزائر، ولاهور، والخرطوم، والقاهرة • وتحدث بعدها علماء من تونس، وفارصوفيا، واسطنبول، وانقرة، وطرابلس، ونابلى، ودمشق • ومن طوكيو أيضا • ونظرا لكثرة المحاضرين ـ وكان عدد المدرجين في البرنامج بغض النظر عن العديد من الخطباء والمرتجلين تسعة وثلاثين سيدا وسيدة ـ فليس فى الامكان تقديم أكثر من خلاصة موجزة • على المرأة فى العالم الاسلامى ان تطالب بحقوقها اليوم ، وينبغى أن تكون حريتها فى استخدام مواهبها فى سبيل الصالح العام ، ما دامت غير متزوجة أو ليس لها اطفال ، تقع مسؤوليتهم عليها بالدرجة الاولى بطبيعة الحال ، الا انه لابد ان يوفر عليها بواسطة تربيتها ووعيها الذاتى بجذورها الثقافية والفكرية الخاصة سلوك ذلك الطريق المؤلم الذى **سلكته** أخواتهن فى الشرق والغرب فى منافسته الشخصية للرجل • وكما قال الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم يخاطب النساء : « لا تقصصن للرجل شنبا ، لتنسجن منه قرنبا ، او تفتلن منه ذنبا ، ولا تجعلن من كرامته كنبا ، او تحسبنها عنبا ! » فانه لا بد ان يكون هناك احترام متبادل وحياة متكافئة متكاملة ، يبنى عليها مستقبل افضل واكثر عدالة •

وتحدث عن النقطة الاخيرة فى برنامج الملتقى ، وهى هل الثروة المعدنية نعمه أو نقمة ، أساتذة من الجزائر، وطهران، وجاكرتا، ولندن • وقد حذر الوزير نايت بلقاسم

فى كلمته الختامية حول هذا الموضوع من استغلال ما يستخرج من الارض فى جانب واحد ، ذلك لانه لا يضمن الاستقلال المطلوب لبلاده فلا بد ان يهتم ايضا وفى الوقت نفسه بالفلاحة ، والتجارة ، والصناعة ، وصناعة النسيج ٠

وبين هاتين النقطتين من نقط الملتقى تمت رحلة الى غرداية ونواحيها ، تركت فى نفسى أجمل الاثر ٠ كان الطلبة والاساتذة والضيوف ومنظمو الملتقى قد أخذوا مقاعدهم بالحافلات فى حوالى السادسة صباحا وفى الموعد المحدد بالضبط ٠ وعندما ارتفعت الشمس فى الافق كنا قد تركنا ورقلة وراءنا بمسافة طويلة واصبحنا فوق الطريق المستقيم المتجه الى الغرب وسط الصحراء الواسعة ، التى كان يصعد التلال مرة وينحدر فيها مرة أخرى ٠ وما كادت كرة الشمس الملتهبة تشرق فوق الكثبان الرملية ، حتى ارتفع فى حافلتنا صوت رخيم ، ولكنه قوى ، يجود القرآن وبدا الزمن كأنه قد توقف ، لقد ابتلع كلام الله كل شيء ٠

وتواصلت الرحلة عبر الصحراء ، وكنا نمر بأدغال صغيرة من العشب ، وترى من حين لآخر لافتة تحتوى على صورة جمل كما تحتوى اللافتات عندنا على صور البقر ٠٠٠ وكان ظل الحافلة يلقى بشكل منحن فوق الرمال ، بحيث كان يبدو اكثر علوا منه عرضا وهو يسرع فوق العجلات الكبيرة المستديرة ٠ وحين يلتفت المرء خلفه يشاهد أكثر من عشرين حافلة تفصلها عن بعضها مسافات متساوية ٠ كان الموكب المزود بالمحركات يسير كالقافلة خلف شرطيين فوق دراجات نارية ، كانا يستديران من حين لآخر فى مرح ثم يواصلان السير ٠ وفى بعض الاحيان كنا نرى فى الافق حفارة من حفارات النفط ، وقربها مجموعة من المراجل الكبيرة البيضاء ، كانت تبدو صغيرة عن بعد الى درجة انها لا تسيء الى المنظر ٠ وبعد ان استغرقت السفرة ساعتين لاحت عندئذ أولى علامات الحياة : لقد اكتسبت الادغال ، التى كانت قبل خضراء ، فجأة براعم زرقاء ، واصبح فى وسعنا ان نرى واحة غرداية عن بعد ٠ ولم نشعر بطول السفرة ، لان المسمع كان يتنقل بين المسافرين ، الذين كانوا يروون لنا قصصا تارة ويحدثوننا عن المنطقة أو ينشدون اشعارا جميلةالايقاع تارة اخرى ٠ وقبل ان نصل الى غرداية توقفت حافلاتنا أمام مصنع كبير ، أقيم بمهارة خلف تل

بعيدا عن مجال الرؤية . وفيه تصنع الانابيب ، ويكاد يشعر بالخوف من لم ير آلات بهذا الحجم.ولكى تنتزع عن الزيارة « جديتها الحيوانية » ، كان هناك برابرة سعود ، يرتدون ألبسة ملونة أو بيضاء ، أخذوا يديرون بنادقهم الواسعة فوق رؤوسهم ، ويقدمون نوعا من الرقص الحربى على نغمات الطبل والناى . وفجأة انحنت جميع البنادق وانطلقت منها النيران دفعة واحدة بصوت يصم الآذان ، فأثارت سحابة كثيفة من الدخان . وتكرر ذلك حوالى عشر مرات اثناء مشاهدة اقسام المصنع ، الذى ختمت زيارتنا له بتناول مشروبات منعشة .

وبعد ذلك تحركت الحافلات نحو خزان للمياه فى الجانب الآخر من غرداية . وكما يحدث فى قصة من قصص الف ليلة وليلة تركنا مدينة الواحة الواقعة فوق تل عن يسارنا ، وتسربنا عبر الوهاد ، مارين بقرية متهدمة تحت النخيل ، ووصلنا الى منخفض ، لا يكاد المرء يتصور ان المياه تغطيه فى موسم المطر . وتحصر المياه فى ممرات أرضية متينة وتنقل من الجانب الآخر للسد الى بساتين السكان بواسطة قنوات . وقد شرح شيخ أبيض اللحية للزوار المهتمين بالامر بالعربية والفرنسية نظام الرى الذى يدل على عبقرية مخترعيه .

وتبعت ذلك جولة فى مدينة غرداية بسوقها الكبير وازقتها الضيقة ومسجدها العتيق . وفى النهاية اجتمع الزوار البالغ عددهم الفا ومائتين فى فندق الرستميين لتناول طعام الغداء . وكان لهذا الفندق أروقة كثيرة واسعة ، جعلته كبيرا ومريحا فى آن واحد . فرغم أن الجالسين فى الرواق الواحد لم يكن عددهم يتجاوز فى الواقع المائة ، فان الاعمدة الفاصلة تجعل الانسان يتصور انه جالس مع مجموعة صغيرة من الناس . ان قضاء عطلة فى فندق من هذا النوع ستكون ممتعة ولا شك !!

ومع ذلك لم تبلغ نزهتنا ذروتها الا فى فترة ما بعد الظهر عندما ذهبنا لزيارة بنى يزقن ، وهم قبيلة فرضت على نفسها حياة بسيطة شريفة طبقا للتعاليم الاسلامية . فقد استقروا فى حى خاص من أحياء المدينة ، حيث يعيشون فى منازلهم البسيطة النظيفة ذات السقوف المسطحة ، وهم يرسمون أسعار جميع البضائع التى تحتوى عليها دكاكينهم . ومسجدهم اجمل مكان فى الارض يمكننى ان اتصوره .

وقادنا الدليل عبر أزقة نظيفة ضيقة ، اصطف على جانبيها شيوخ ذوو البسة بيضاء ولحى خطها الشيب وراحوا ينظرون الى سيل الزوار مبتسمين فى طيبة ووقار ، وبلغنا فناء المسجد المعتم ، الذى يقع فوق تل مرتفع · ويتكون المسجد من أماكن ، تفصل بينها أعمدة ، وتوجد بها سلالم ، يقرب ارتفاعها من نصف متر ، ويمتد بشكل نصف دائرى الى مسافة بعيدة ، بحيث ان المرء لا يسعه الا ان يتصور الاماكن الخلفية المخصصة للنساء ، لان الدهان الازرق الفاتح جعل ذلك كله تسوده نصف عتمة · وكان الشيوخ جالسين بالبستهم البيضاء فى الزوايا الكثيرة ، وقد جلس بينهم أيضا عدد من الشبان يرتدون أيضا البسة بيضاء · أما الرجال من ذوى الاعمار المتوسطة فلا يكاد المرء يرى أثرا لهم · لقد كان لهذا المسجد المنخفض البسيط المؤثر سحر ، يجعل الانسان يود من كل قلبه الا يفارقه أبدا · وهذا السحر لا يزايل أيضا المكتبة ، التى قادنا اليها الدليل بعد ذلك مباشرة ، حتى ولو تكاثر عليه الناظرون · كانت النفائس ، التى تجمعت خلال أجيال وأجيال ، محفوظة خلف أبواب زجاجية ، وقد كتبت عناوينها بخطوط جميلة ·

وكنت أثناء شراء التحف التذكارية قبل مواصلة السفر فى حاجة الى ربع ساعة من الوقت لاقنع التاجر بفرنسيتى الضعيفة بأنه قد أنقص من المبلغ المطلوب منى عشرين دينارا ــ وعندما اقتنع بذلك أخيرا كانت الحافلة التى اخذت بها مكانى ، قد انطلقت · مع ذلك : لا بأس ، لا بأس ، واخذت مكانى فى سيارة خاصة ، مرت بى صدفة ، ووصلت العطف بعد وصول الحافلة بفترة قصيرة · وحاولت أن أقدم لسائق السيارة ، الذى كان لطيفا معى ، بضعة دنانير ليشترى بها الحلوى لاطفاله ، ولكنه رفض باصرار · وفى العطف دعينا الى منزل الشيخ سليمان داود بن يوسف حيث أقيمت حفلة زفاف · وقد أرتنا ، نحن الزائرات ، العروس الفاتنة الخجول مخدعها الزوجى وهى فخورة بذلك ، وشربنا الشاى مع ربة البيت اللطيفة · وجلست قربى فتاة جميلة ، تتكلم الالمانية بصورة جيدة ، وقد سبق لها ان زارت المانيا ، وحدثتنى كذلك عن مراسم الزواج ، وترك اهتمامها بى اثرا فى نفسى

وفى المساء أخذنا من جديد أماكننا فى الحافلة وأسرعنا بالعودة الى ورقلة • وكان الشيخ اليمنى ، الذى حـظى بحب الجميـع ، وهو شــاعر عبقــرى ، يرتدى لباسـا ملونا ، وبحزامه الملون خنجر عريض ، كان هذا الشيخ يقرأ شعرا يمدح به غرداية وبنى يزقن والعطف ومضيفينا • وبذلك انتهى يوم لا ينسى •

وفى الحفلة الختامية ، التى تمت يوم الثلاثاء 15 فبراير ، حاول كل واحد أن يعرب عن شكره مرة أخرى قدر المستطاع ، فتحدث محمد اليابانى مدة طويلة باللغة العربية ، لانه كان قد درس فى جامعة الازهر • وحين أنهى الوزير كلمة الوداع ، ضج الطلبة والمعلمون بالهتاف والتصفيق معربين عن شكرهم بصورة غير محدودة • انه شكر موجه الى رجل ، ليس عضوا من أعضاء الحكومة ومنظم هذا الملتقى فقط ، وانما هو الى ذلك أخ لكل منا فى الـــدين •

كان شعار الملتقى : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » (سورة 12 ، آية 11) • ويبدو ان الجزائريين يأخذون هذا مأخذ الجد • فقد أتيح لى فى اليوم الذى اقمته قبل عودتى بالعاصمة الجزائرية أن أشاهد مصنعا يعمل به خمسون عاملا • ان منظره الخارجي قد لا يضاهى منظر المصانع الالمانية ، ولكن صاحبها قال لى : « انـــى لافضل أن أقدم المال لعمالى على أن أقدمه للدهانين • فانا أقدم لهم علاوات بمناسبة الاعياد الاسلامية خمسي مرات في السنة ، ولا يعملون في رمضان أكثر من ســت ساعات ، ولديهم ألبسة العمل كما ان لديهم هنا مغســلا ومصلى » • ولقد سمعت بنفسى كيف يتكلم العمال مع رئيسهم • فهم لا يخضعون له ولا يخافونه ، وانما يتكلمون معه كصديق يستطيعون أن يبوحوا له بهمومهم •

من المؤكد ان المصــانع فى الجزائر لا تسير كلها بهذه الطريقة المثلى • الا ان وجـود مثل هذه المشاريع تشجع المرء وتحمله على التطلع الى المستقبل •

السلام عليك ــ ايتها الجزائر الجميلة بأناسك اللطفاء ، بقصبتك الشرقية المثيرة ، وبخيوطك الهاتفية المباشرة مع المانيا ، بساقك الواحدة التى تنغرز فى الماضى،وبساقك الاخرى التى تخطو نحو المستقبل فى اطمئنان •

ورجـــلان الجــزائــرية
تعـيش أيـامـا اسـلاميـة حافلـــة (*)

مقابلة مع د. عبد الحليم عويس

أجرى الحديث : خالد الرجيحى



مائة مفكر اتوا من سائر اقطار الارض ... مـن اسبانيا،ومن انجليترا، ومن امريكا،ومن فرنسا،ومن المانيا، ومن اليابان، ومن اقطار افريقيا المختلفة، ومن بولونيا، ومن استراليا،ومن ايطاليا ... من هذه البلدان وغيرها توافد عشرات المفكرين الذين اختلفت اهواؤهم ونزعاتهم بين مسلم سلفى، وشيعى، ونصرانى، ولا دينى، ويهودى .

جاء هؤلاء جميعا يتبارزون حول نقاط اربع :

- **دور الرستميين (بنو رستم) فى حضارة المغرب العربى .**
- **الاسلام فى افريقيا اليوم .**
- **المرأة بعد عام المرأة .**
- **هـل بطون الارض نعمـــة أم نقمـــة ؟**

وبالطبع ففى ظل حشد مختلف التكوين والفكر على هذا النحو كان لابد ان يكون الحوار ساخنا، وقويا، ونحن نستطيع ان نسبق العرض لنعلن ان الفكر الاسلامى قد خرج ـ وهو يخرج دائما ـ ظافرا منتصرا . ومن الغريب ان الله سبحانه وتعالى قد قيض وهيأ للاسلام من بين النصارى والعلمانيين انفسهم مؤيدين ومناصرين لدرجـة

(*) نشر بجريدة : « الجزيرة » السعودية بتاريخ 26 فبراير 1977 .

ان احد الاعضاء-وهو الاستاذ عبد الحليم عويـــس الذى وافقت جامعة الامام محمد ابن سعود مشكورة على ايفاده لحضور هذا الملتقى - قد اعلن ان محاضرة الدكتـــور شارل ل · ڤيدز استاذ ومدير المعهد الامريكي للدراسات الاسلامية بجامعة دانفير - كولورادو - (الولايات المتحدة الامريكية) والتى كانت عن - دور المرأة فى مجتمع اليوم - هى خلاصة وجهة النظر الاسلامية مع ان هذا المحاضر الامريكى لا زال نصرانيا وقد اجاب الاستاذ عويس عن سؤال وجهه له عن دينه بانه فقط نصف مسيحى ويبدو انه يفكر جديا فى اعتناق الاسلام ·

فى عشرة أيام تبدأ من يوم الاحد 17 صفر (6 فبراير) وتنتهى فى يوم الثـــلاثاء 26 صفر (15 فبراير) استمع هؤلاء العلماء ومن خلفهم الف طالب وطالبة فى المراحل الدراسية العليا ومئات من أهالى مدينة (ورجلان) التى عقد فيها الملتقى وكثيرون من ممثلى الوزارات المختلفة والسلطة المحلية للولاية ·

استمع كل هؤلاء لـ 39 محاضرة ونحو 1500 تعليقا تدور كلها حول الموضوعات الآنفة الذكـــر ·

ومن أبرز تلك المحاضرات :

1 - مجهودات الدولة الرستمية فى نشر الحضارة الاسلامية وتركيزها للشيــخ سليمان داود بن يوسف ·

2 - المجتمع التاهرتى فى عهد الرستميين للدكتور احسان عباس ·

3 - مشاكل تواجه الاسلام فى افريقيا اليوم للمستشرق الانجليزى المعـــروف وليم مونتجومرى وات ·

4 - المسلمون فى افريقيا بين الحاضر والمستقبل للاستاذ عبد الحليـــم عـــويس المدرس بكلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ·

5 ـ علاقة الافارقة الامريكان بالاسلام فى التاريخ الماضى والمعاصر • للدكتور المستشرق دونيس ووكر الاستاذ بقسم دراسات الشرق الاوسط بجامعة ملبورن ـ باستراليا ـ

6 ـ قضية المرأة كما اتصورها للدكتور الحبر يوسف نور الدايم ، الاستاذ بجامعة الخرطوم بالسودان •

7 ـ المرأة العربية فى صدر الاسلام كنموذج للمستشرقة الالمانية المعروفة سيجريد هونكة ، صاحبة الكتاب المشهور ـ شمس الله تسطع على الغرب ـ الذى احدث ضجة فى العالم العربى حين صدوره •

8 ـ ما اعطاه الاسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يجنبنا التجارب والنكسات • للاستاذ : محمد الصادق بسيس ، الاستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة واصول الدين بتونس •

9 ـ المرأة المسلمة والفرنسية امام القانون ، للدكتورة الفرنسية ايفادى فينيتراى مايروفيتش •

10 ـ ما تحت الارض نعمة وليس نقمة للدكتور محمد رشيدى (اندونيسيا)•
وعشرات المحاضرات غير هذه قد القيت ونالت من المؤتمرين البحث والنقاش •

فى بداية الملتقى أعلن معالى وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر السيد مولود قاسم ـ بعد افتتاحه الملتقى ـ ان الوزارة تطرح هذه الموضوعات الاربع على سبيل التساؤل وليس لفرض وجهة نظر معينة وقد ضمن حديثه شيئا من الطرافة بصدد كل نقطة من النقاط الاربع فقال مثلا عن النقطة الثانية وهى حول ـ الاسلام فى افريقيا اليوم ـ « كيف ونحن نلتقى الآن فى جنوب الجزائر لا نستعرض الاسلام فى بلاد السودان كما كان يسميها ابن خلدون ، بل وفى افريقيا كلها وهى المتعرضة للمناورات والمؤامرات ومحاولات التسرب والنفاذ والتطويق والاستحواذ»•

وقال عن النقطة الثالثة المتعلقة بقضية المرأة : « اننا نريد ان نعرف هل المرأة اليوم هى تلك الضعيفة المستضعفة المهضومة المسكينة المستكينة ... ام هى بالعكس من هذه كله هى تلك المتمردة المستبدة صاحبة الحيل والاحابيل القديمة والمستجدة التى هى الى الانقضاض والعدوان الجريئة والمستعدة صاحبة الطاغوت والجبروت ، زيادة على سحر هاروت وماروت » . ولم يكد ينتهى حفل الافتتاح حتى بدأ سيل المحاضـرات والتعليقات يحتدم مدة عشرة ايام لم يتخللها الا يومان لزيارة معالم الولاية بطرفيهـا المتدين لمئات الاميال نحو ـ حاسى مسعود ـ (والحاسى هو البئر) ، وتوجرت تارة ونحو وادى الميزاب وآثار سدراتة تارة اخرى . والطائفة الاباضية (احدى فـــرق الخوارج) المسيطرة على وادى الميزاب والتى كان لها دور محمود فى الجهاد ضد فرنسا وفى رفض المؤامرة الفرنسية التى هدفت لفصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر الكبرى .

وقد توجهنا بعديد من الاسئلة التكميلية لهذا العرض الى الاستاذ عبد الحليم عويس المدرس بكلية الشريعة ـ بجامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية ـ وهو احد اثنـــين حضرا الملتقى من المملكة .

وسألناه أولا عن : دور وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر فأجاب :

انه من الناحية الرسمية والشعبية تعتبر هذه الوزارة التى يشرف عليها معـــالى الاخ مولود قاسم ، المسئولة عن العمل الاسلامى فى الجزائر ، فالتعليم الدينى الذى يمتد فى معاهد متوسطة وثانوية تشبه المعاهد العلمية الموجودة بالمملكة تحت اشراف هذه الوزارة كما ان هناك كليات اسلامية تبنى لاستيعاب خريجى تلك المعاهد .

والمساجد تخضع لاشراف الوزارة ، وصور النشاط الدينى المختلفة تنبثق عن هذه الوزارة ايضا .

كما ان مجلة الاصالة وهى المجلة الاسلامية التاريخية الشهرية تصدر ايضا عـــن الـــوزارة .

وتعتبر ملتقيات الفكر الاسلامى التى بلغ عمرها الآن احد عشر عاما جزءا من نشاط هذه الوزارة ، وهناك ادارة دائمة تشرف على تنظيم واعداد هذه الملتقيات وهى تسمى ادارة الملتقيات ومديرها هو الاستاذ احمد اسماعيل.

كما ان من الاجهزة التابعة للوزارة المجلس الاسلامى الاعلى الذى يرأسه الاستاذ احمد حمانى (وهو من ابرز الشخصيات الاسلامية البصيرة بالجزائر) وهذا المجلس التابع لوزارة التعليم الاصلى يشبه فى المملكة دار الافتـــاء .

وحول سؤالنا عن نتائج الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى أجاب :

تنتهج الملتقيات نهجا خاصا.فهى فى الحقيقة ملتقيات فكرية تربوية بالدرجة الاولى فالجزائر لها وضع خاص يختلف عن الوضع فى المملكة العربية السعودية ومصر مثلا . ذلك ان الجزائر تدخل باب التعريب من جديد وتجاهد فى هذا الميدان ... وقد تركت فرنسا لغة فرنسية مسيطرة على المصالح والمؤسسات والمعاملات ، كما تركت اطارات كثيرة تعتمد فى عيشها على اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية . وبما ان اللغة العربية مرتبطة بالاسلام فان اعداء التعريب يخفون عداء للاسلام أيضا ... وهم يروجـــون ان الفكر الاسلامى غير قوى ويعملون على خلق جيل متمسك بالفرنسية لغة وحضـــارة حتى مع استقلال الجزائر عن فرنسا ... لكن حكومة الجزائر مشكورة ماضية بحـــزم فى طريق التعريب وقد قطعت شوطا بعيدا فى ذلك .

ومما يرد كيد اعداء التعريب فى الجزائر ملتقيات الفكر الاســـلامى التى تسعى للتعريف بعناصر القوة فى الحضارة الاسلامية وبأصالة التاريخ الجزائـرى الاسلامى ، وتسعى ايضا لاظهار قوة الفكر الاسلامى وقدرته على الصمود فى وجـــه التحديات ، وقدرته أيضا على صياغة حياة رشيدة جديدة ، كما ان الملتقيات تربى جيلا مثقفـــا ثقافـــة عربيـــة .

أما التوصيات والقرارات فهى تحتل الدرجة الثانية من مهام الملتقيات .

الملتــقى الحادى عشر للفــكر الاسلامى (*)
فى ورقلــــــة

د ٠ آمــال ايــزين
عضوة معهد البحوث الثقافية التركية
ـ اسطنبول ـ



لما اندلعت المقاومة الوطنية فى الجزائر أسهم فيها الشعب الجزائرى كله بما فيه الرجال،والنساء،والشيوخ، والاطفال ٠ وكانوا كرجل واحد ٠ وجرت المقاومة تحت قيادة المفكرين مـن المواطنين ٠ والجـزائر التى تكبدت الاهوال سنين عديدة وهى تجتاز حقبة ملأى بالبطولات ، شعرت ـ فى ميدانى الوجدان والفكر ، بعد انتهائها من حرب التحرير ـ بمسيس الحاحة الى تكوين دولة ٠

(*) نشر بالجريدة اليومية التركية « بيرق » فى ستة اقسام من 18 الى 23 مارس 1977 ٠

نظرة شاملة على ملتقيات الفكر الاسلامي

تقام ملتقيات الفكر الاسلامى سنويا منذ 1967 بدعوة من وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر .

ان وظيفة الوزير المشار اليه أعلاه كما يدل على ذلك اسم الوزارة تضطلع بالبحث عن ثقافة الجزائر الاصلية وهى الثقافة الخاصة بها وهى التى تندرج فى اطار الدين الاسلامى .

ماذا صنعت الامبريالية الفرنسية فى الجزائر ؟

كما تدل على ذلك الآثار التى نشرها الكتاب الجزائريون شرع الفرنسيون فى فرنسة الجزائر فور احتلالهم لارضها سنة 1830 . والمحاولة الاولى فى هذا الصدد كانت تهدف الى حمل الجزائريين على أن يتخلوا عن الوعى بهويتهم الوطنية وبدينهم . فلم تعد اللغة العربية تدرس فى المدارس وصار الاسلام يعرف (بتشديد الراء) بكونه تعصبا . وصار تعليم تاريخ الجزائر مقصورا على تعليم تاريخ بيزنطة وتاريخ روما وتاريخ فترة احتلال فرنسا للجزائر .

ومن جهة أخرى حققت العلائق القديمة لاقدم الجزائريين : البربر مع ثقافات بيزنطة وروما . وبموجب اختلاطهم – من حيث الجنس – مع الوندال . وكانت فرنسا تهدف الى فصل البربر من الاسلام لتنصيرهم . ويفهم من مقالات حررها المؤرخ الجزائرى توفيق المدنى ووزير التعليم الاصلى مولود قاسم نايت بلقاسم للدفاع عن الترك أن هذين انصب عليهما النقد – بشكل خاص – ووجهت فرنسا اليهما التهم . وبصفة عامة لم تتح أية فرصة للجزائريين لمتابعة دراستهم ، وان الجزائريين الذين تابعوا دراساتهم العليا قليلون جدا . ولما كان الذين يتعلمون فى فرنسا تربحهم فرنسا بدأت الاسر الجزائرية ترسل أبناءها لمتابعة دروسهم الى بلاد أوروبية غير فرنسا .

ردود الافعال الوطنية والدينية

ومن جهة أخرى خاض العلماء المسلمون مقاومة صامتة ضد المبشرين المسيحيين . وهكذا لم تفلح سياسة فرنسا الثقافية تماما فى تحقيق أغراضها . وعلاوة على ما مر، لما انطلقت المقاومة الوطنية تحت قيادة رجال الفكر من المواطنين فى الجزائر أسهم

الشعب الجزائرى كله كرجل واحـــد فى الجهـاد بمـا فيه الرجال والنساء والشبان والشيوخ • والجزائر التى تكبدت محنتها سنين بما فى ذلك من بطولات على مرأى ومسمع من الناس جميعا احست بمسيس الحـاجة الى تعميم التوعية الوطنية والدينية اللتين تم تكوينهما على مستوى الفكر والوجدان والى اعادة تأسيس الدولة فور نهاية حرب التحرير •

وهكذا تكونت وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية وأسندت الى مولود قاسم نايت بلقاسم المناضل فى حرب التحرير • وبدأت اقامة ملتقيات الفكر الاسلامى فى سنة 1967 • وكان الوزير مولود قاسم نايت بلقاسم يشارك فيها بالمحاضرات والتعاليق ويسيرها ويراقبـها بنفســـه •

الغاية من ملتقى الفكر الاسلامى

تدعى ـ بشكل خاص ، شخصيات من الجزائر ومن البلاد العربية الاخرى لحضور ملتقيات الفكر الاسلامى • وهؤلاء الشخصيات هم من العلماء فى الدين الاسلامى ومن الدارسين للتاريخ،وعلم الاجتماع،ومن رجال الدولة ومن الصحفيين • ويدعى اليهـا مسلمون ليسوا من العرب • بل هم من الاتراك،ومن أهل تركستان،وايران،وباكستان • بل يدعى اليها حتى طائفة من الباحثين والمفكرين المسيحيين من المانيا،ومن الولايات المتحدة،والنمسا،وفرنسا،وبلجيكا،وانقليترا،واسبانيا،وايطاليا،وبلاد السويد،وأستراليا للمشاركة فى الملتقى •

تقام هذه الملتقيات كل مرة فى مدينة من مدن الجزائر ولكن دائما فى ارض الجزائر وتمنح الاولوية فى البحث لتاريخ المدينة التى يقع فيها الملتقى • ومن جهة أخرى تختار ـ فى كل ملتقى ـ ثلاثة مشاكل ثقافية جديدة (1) • ويرجى أيضا من الحاضرين تقديم بحوث فى الموضوع • واللغات الرسمية فى الملتقى هى اللغات : العربية ، والالمانية ، والفرنسية ، والانكليزية •

وترسل البحوث قبل انعقاد الملتقى وتستنسخ فى اللغات الرئيسية وفى اللغة العربية • وتقع ترجمة البحث من هذه اللغات الى العربية فى ذات الوقت الذى يلقى

(1) مواضيع الملتقيات تكون ثلاثة واكثر «المحرر»

فيه • ويفتح نقاش حول كل بحث ، ويحضر الملتقى ألف طالب وطالبة أكفاء يختارون من بين الجامعيين وتلامذة الثانويات • ويمنحون الحق فى القاء أسئلة كتابية على اصحاب البحوث • وتنشر البحوث من بعد باللغة العربية نصا ومضمونا(1) • وتسهم الاذاعة والتلفزة فى ملتقيات الفكر الاسلامى التى تكتسب هكذا اهمية أكثر لا بالنسبة الى الجزائريين فحسب ، بل حتى بالنسبة الى الاقطار العربية الاخرى والى سائر البلاد الاسلامية والاوساط الثقافية غير الاسلامية التى تهتم بالعالم الاسلامى •

ومع هذا لم تكن تعاليم الاسلام الاصلية وراثية فيما تواضع عليه الناس فى مدينة الرسول (صلعم) • فقد كان لسكان المدينة المنورة أن يسندوا الخلافة والامامة لاى أحد يرونه أهلا لذلك • ولم يشترط فى الخليفة والامام أن يكون من نسل النبى (صلعم) أو من قريش • بل كان لكل شخص عالم وعدل أن يولّى الخلافة أو الامامة • وعلاوة على ذلك فقد ورد فى حديث الرسول (صلعم) أن عبدا حبشيا صالح ليؤم جماعة المسلمين .

انعقد الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى من 6 الى 15 من شهر فبراير 1977 فى واحة من واحات وادى ميزاب ببلاد الجزائر • فى الدرجة 32 شمالا والدرجة 5 شرقا • وقع الاجتماع فى واحة سدراته ـ ورجلان (ورقلة) • ورجلان وسدراته كانتا آخر عاصمتين للدولة الرستمية البربرية (160 ـ 776/296 ـ 908) • وهكذا أول موضوع عرض على المؤتمرين فى الملتقى الحادى عشر كان : الثقافة الاباضية الرستمية • وليس الآن على أرض ورجلان وسدراته الا آبار وبساتين نخيل • وقد تكدست على المدينتين العتيقتين كثبان الرمال ونقبت فيهما حفائر أثرية • أما ورقلة فانها مدينة أقرب عهدا وحلت محل ورجلان العتيقة •

لنذكر بتاريخ المذهب الاباضى الخارجى المنبثق من الخلاف الذى نشب فى صفين بين معاوية وخصومه سنة 37 هـ/657 م • فان جماعة من المسلمين انسحبت من الخصومة بعدما لاحظت أن الطرفين لم يكن سلوكهما مطابقا لما جاءت به تعاليم الاسلام الاولى • وسميت هذه الجماعة بالخوارج • يعتقد هؤلاء أن أنصار على وبنى أمية أرادوا

(1) وتنشر بالفرنسية ايضا اذ توزع فى القاعة نفسها على الملتقين وتنشر فى الصحافة وفى كتب الملتقيات بالعربية والفرنسية على الاقل ، واحيانا بلغات اخرى ايضا (خاصة منها الانجليزية)

أن يدخلوا فى تعاليم الاسلام الاصلية عنصر الوراثة - لذلك لم يعترف الخوارج بالتعاليم الاسلامية التى دان بها بنو أمية والعباسيون،والشيعة، والخلفاء الفاطميون المتشيعون ·

وانتقض الخوارج على خلفاء بنى أمية ليعيشوا العيشة التى يرتاحون اليها والتجأوا الى أقطار بعيدة عن مناطق نفوذ بنى أمية كآسيا الوسطى شرقا والشمال الافريقى غربا. والمنزلة التى تحتلها الخوارج فى تاريخ الثقافة التركية الاسلامية هى خارجة عن نطاق هذا المقال وان كانت موضوعا جديرا بالبحث

المذهب الاباضي

ان المذهب الاباضي مؤسسه هو عبد الله بن اباض وقع ذلك فى النصف الثانى من القرن الاول الهجرى · انتشر هذا المذهب فى كنف اسرة بنى رستم · وبعد انقراض هؤلاء واحتلال الفاطميين للشمال الافريقى واصل الاباضيون حياتهم متمسكين بعقائدهم الخاصة فى المراكز القديمة الرستمية · حفروا آبارا فى الصحراء وأسسوا واحات شبه اصطناعية واختطوا مدنا صغيرة مستقلة مثل مدينة بنى يزقن ومدينة غرداية على تلال الواحة · وهذه المدن التى تحيط بها أسوار لا تزال موجودة الى الآن · واليوم لا يستطيع الاجانب أن يدخلوا بسهولة فى هذه المدن · ولا يمكن أن يسكن فى المدينة الا الاشخاص المنتمون الى طائفة الاباضية الحسنو السلوك فقط · والمسيرون لكل مدينة اثنا عشر نفرا على الاكثر ينتخبهم سكانها · وهؤلاء الاشخاص الذين يمتازون بسلوكهم الحسن وبثقافتهم يتقلدون أيضا وظيفة خوجا أو خطة القضاء وهم الذين تصدر منهم الاحكام على المذنبين ، والجانى الذى يتوب ويرضى بالعقاب قد يسمح له بمواصلة الاقامة فى المدينة كما يقع ذلك فى المدينة المنورة · وما دام العقاب جاريا عليه لا يتحدث اليه أحد ولا تقبل منه أى تحية · ويبعد الجانى من الجماعة ما لم يعترف بذنبه ولم يرض بالعقاب ·

والمدن التى تحيط بها الاسوار مثل غرداية وبنى يزقن هى مبنية على الروابى · وعلى قمم هذه المدن المتكونة من بيوت صغيرة مدهونة باللون الابيض والازرق ومن

أزقة ضيقة منحدرة مراكز دينية • وبعضها ابنية تاريخية ترقى الى القرنين الرابع والخامس الهجريين او العاشر والحادى عشر بعد الميلاد • والمساجد هى ابنيـة متكونة من قباب تحملها سوار غليظة تشبه سوارى مسجد بنى أمية فى قرطبة •

وفى وسط مسجد غرداية عـين ثرة يراها الرائى والماء يفـور منهـا • وللمآذن الاباضية شكل خاص ، هى بروج ذات أشكال مستطيلة تزيد دقة ونحافة بقدر ما تزيد علوا وارتفاعا • وفى أعلى البرج حجرة صغيرة للمؤذن أو للمصلين تدعى صومعة كما كانت تدعى المآذن بذلك فى الزمان القديم • ولفظ صومعة تدعى به المآذن أيضا فى الجزائر • وزوار المدن الاباضية عند مشاهدتهم لبقايا هذه العصور الغابرة يشعرون وكأنهم رجعوا الى عهود الاسلام الاولى •

البحوث الملقاة خلال الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى وما دار حولها من نقاش

افتتح الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى بخطابين : خطاب السيد مولود قاسم نايت بلقاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، وخطاب الدكتور غاى أمين عام مؤتمر الدول الاسلامية • عرف الوزير نايت بلقاسم بالموضوعات التى تم اقتراحها على الملتقى الحادى عشر • اما الدكتور غاى فقد تحدث على الاهمية التى اكتستها ملتقيـات الفـكر الاسلامى وطلب أن تضم هذه الى البرنامج الثقافى للملتقيات الاسلامية الدولية •

وقد تناول الكلمة أيضا المسيو دى ايبالزا من جامعة مدريد وأدلى بمعلومات حول الملتقى الدولى الذى سينعقد فى شهر مارس 1977 فى قرطبة • والموضوعات الـتى يعرض لها المحاضرون خلال هذا الملتقى هى : سيرة الرسول محمد (صلعم) وشخصية المسيح فى القرآن •

العثور على أقدم سـيرة

ان كثيرا من الدارسين طلبوا الى رئيسنا للشؤون الدينية الدكتور س• أتس أن يمدهم بمعلومات حول ملتقى سيرة الرسول الذى سينعقد فى تركيا • ان الملتقيـات

حول سيرة الرسول ستقام فى الاعوام المقبلة ، لانه ـ حسبما اخبرنى به الاستاذ حميد الله-عثر على نسخة من النص الاعلى للسيرة التى الفها ابن اسحاق . وهذا النص هو أقدم مصدر معروف لسيرة الرسول (صلعم) .

والمؤمل العثور فى نص ابن اسحاق على معلومات جديدة حول سيرة نبى الاسلام .

وقد ذكرنا ان اول موضوع اقترح على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى هو موضوع الثقافة الاباضية الرستمية (1) واول بحث تطرق صاحبه الى هذا الموضوع بحث القاه الشيخ سليمان داود بن يوسف . وتلاه الدكتور أ.النامى (ليبيا) من جامعة ميتشيقان، والدكتور احسان عباس (فلسطين) من جامعة برينستون، والدكتور ابراهيم فخار (جزائرى) من جامعة وهران، والاستاذة وداد القاضى (لبنانية) من جامعة هارفارد، والدكتورة م. فيغيرا (اسبانية) من جامعة كومبوستال ، والدكتور س . نوغاليس (اسبانى) من معهد البحوث الثقافية العربية الاسبانية فى مدريد، والدكتور دامبروفسكى من جامعة وارسو .

الاسلام فى افريقيا اليوم

الموضوع الثانى المقترح على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى كان : الاسلام فى افريقيا اليوم . وأول خطاب فى هذا الصدد ألقاه الاستاذ محمد عبد الله عنان من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقد أشار الاستاذ عنان، والدكتور عويس من جامعة الرياض فى العربية السعودية، الى نشاط المبشرين المسيحيين، والى نشاط الشيوعيين بصفتهم الخصوم الاولين الذين لقيهم الاسلام فى افريقيا . وقد ذكر الدكتور وات من جامعة ايدمبورغ أن المسلمين يتعلمون أشياء كثيرة من المسيحيين. وذكر أيضا أن الامبراطورية العثمانية اعرضت عن الاسلام من وقت الاصلاح (تنظيمات) وان الجمهورية التركية انفصلت انفصالا كاملا عن الاسلام .

وقد كان لهذا الكلام أثر سيء فى عواطف الاخوة والحب التى يشعر بها العالم العربى ازاء الاتراك . وان احدا من الباحثين الشيعة واستاذا سوريا فى علم الكلام ذكرا انهما

(1) صيغة هذه النقطة فى جدول اعمال الملتقى هى : مساهمة الرستميين فى حضارة الاسلام وفكره

مضطران الى الموافقة على ما قاله وات والالم يملا قلبيهما · وقد تناول الكلمة فورا ـ من بين الوفد التركى ـ الاستاذ ارجمند كوران وممثل رئيس الشؤون الدينية الدكتور على ايدين ، الاول بالفرنسية والثانى بالعربية وقالا ان الاتراك ـ علاوة على كونهم لم ينصرفوا عن الاسلام بقوا ـ طوال كل العصور التاريخية ـ المدافعين الاولين عن الاسلام وصححا أخطاء ارتكبها وات من ناحية التاريخ القانونى ·

وقد استلفت الاستاذ كوران الانتباه الى شىء : وهو أن الاتراك أقاموا صرحا هو قانون التشريع الاسلامى واحدى دعائم قانون الاسلام · وبعد ذلك طلب العالم الدينى الشيعى العفو من الاتراك بلباقة · ثم قطع الوزير الجزائرى للتعليم الاصلى والشؤون الدينية كلام العالم السورى بسبب مجاوزة الوقت المحدد للنقاش · وأوشك من بعد الدكتور أيدين أن يلقى خطابا حول التربية الدينية فى تركيا ·

أما ما يخص موضوع الاسلام فى افريقيا الحديثة فقد ألقى أيضا جماعة من المحاضرين أبحاثا وهم : الدكتور ووكر من جامعة ملبورن (وهو استرالى مسلم) وكاتب من القاهرة الدكتور م· دياب ، والدكتور أ· جوب من جمعية كتاب السينغال ، وقد شكا وزير الاعلام لجمهورية الصحراء من أن المغرب لا يمنح الاستقلال للشعب الصحراوى ·

المرأة بعد عام المرأة

الموضوع الثالث الذى وقع اقتراحه على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى عنوانه : « عام المرأة وحقوق النساء » (1) وكان موضوع عدد كبير من البحوث · ألقى البحثين الاولين الاستاذ ل· قيدز من جامعة دانفير كولورادو ، والسيدة ونيسى من اعضاء وفد الاتحاد الوطنى للنساء الجزائريات · أما السيدة ف· كيرى ـ الصحفية الفرنسية ـ فقد عبرت عن المطالب التى تصبو النساء الفرنسيات الى انجازها وتحقيقها ، وقد عرض الدكتور برفين شوكت على من جامعة لاهور فى باكستان فى بحثه للتأثير الايجابى لملتقى مكسيكو سنة 1975 على حقوق النساء فى باكستان · وقد علق علماء الكلام

(1) صيغة هذه النقطة من جدول الاعمال هى : «المرأة بعد عام المرأة» ·

المسلمون على مسألة حقوق النساء على ضوء آى الذكر الحكيم ، وقد تناول الكلمة منهم :
الدكتور أ.الدايم من جامعة الخرطوم (السودان) · والدكتور أ.الشيبانى من جامعة الفاتح فى ليبيا · والسيد ص · بسيس من جامعة الزيتونة بتونس · والدكتور م· البوطى أستاذ فى كلية الشريعة الاسلامية بدمشق ·

وقد ذكر رئيسنا للشؤون الدينية الدكتور سليمان اتس بالآيات والاحاديث النبوية التى تشير الى معاملة المرأة بالعطف والحنان ، ولا سيما الام · وقد القى خطابه هذا باللغة العربية ·

عام المراة والاتراك

استخدمت الدكتورة س · هونكه من المانيا الغربية تعبيرات تفتح المجال لتاويلات غير لائقة · فقد حاولت أن تبين أن حقوق النساء كانت محترمة عند ظهور الاسلام · والكلمات المشبوهة حول طبيعة وحى القرآن والمقارنات بين الحب الآلهى وحب السيدة هونكه الرمزى من شانها أن تعتبر جارحة للمشاعر الاسلامية ، ومن جهة أخرى اضطرتنى الى أن أصحح خطا تاريخيا ارتكبته كخطا اعتبار الاتراك والمغول مسؤولين عن التهديد التدريجى لحقوق المرأة فى العالم الاسلامى · وخلافا لما ادعته الدكتورة هونكه كانت النساء التركيات والمغوليات ـ حتى بعد الاسلام ـ يتمتعن بحقوق أوسع اذا قسناها بحقوق غيرهن · وحتى لقب « عاهل » الممنوح للنساء التركيات كان مثيرا للتعجب فى الاوساط الاخرى من العالم الاسلامى ·

ولم يكن موضوع بحثى هو المرأة التركية المعاصرة بسبب قصر بحوثى على الاطار التاريخى للثقافة الوسيطية بشكل خاص منذ عدة سنوات · وبحثى الذى عنوانه : « المرأة التركية الوارثة للتقاليد الاسلامية والوطنية » صمم ليكون مدخلا تاريخيا لبحوث زميلى التركيين : الاستاذ ا· كوران والسيدة ب· اريبوران الخاصة بالمرأة التركية المعاصرة · وكان هذا مقبولا هكذا من قبل ادارة الملتقى · وكنت قسمت الموضوع على ثلاثة أقسام رئيسية :

أ ـ نشاط المرأة التركية قبل الاسلام فى المجتمع وتمكنها من الارتقاء حتى حصولها على لقب السلطنة .

ب ـ بعض الحقوق القانونية اعترف الاسلام بها للمرأة . وربما وقع ذلك للمرة الاولى فى العالم .

ج ـ الشخصية الشجاعة المخلصة للفلاحة التركية ولشاعرات وأميرات وعالمات ارتقت بفضل النساء التركيات المسلمات .

وقد انطلق النقاش حول بحثى بأفكار وملاحظات ، من قبل الدكتور أ. باليك العضو فى الوفد النمساوى وهو مسلم من البوسنه والهرسك ، ومن قبل المفتى عبد الغنى عبد الله الكاتب فى مجلة قانونية والرئيس الاسلامى فى الاتحاد السوفياتي.

وقد اضافت هاتان الشخصيتان اضافات ثمينة الى المعلومات التى أدليت بها فيما يخص المرأة التركية .

وقد لفت عالم طاشقند ـ فى غضون ذلك ـ الانتباه الى ان بعض نساء تركستان المتمسكات بالمذهب الحنفى قد صرن قاضيات كالنساء الاستاذات التركيات .

وقد استرعى الدكتور رابح تركى ـ وهو تركى جزائرى ـ النظر الى التناقض بين كلامى وبين قضية اعراض النساء العثمانيات عن الاسلام ابتداء من القرن التاسع عشر .

مشكلة الاصلاح

من السهل تفهم التردد الذى يخامر قلوب الجزائريين فيما يخص قضية الاصلاح . وامام هذه الاسئلة المتكررة شعرت بمسيس الحاجة المحتومة الى تفسير وتعليل ضروب الطغيان الفادحة التى أزعجت الامبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر .

وحاولت ان ارسم صورة للضغوط التى ادت الى الاصلاح وان أتذكر القانون الدولى والتاريخ الديبلوماسى اللذين كنت لقنتهما أثناء متابعتى للدراسات السياسية .

وقد كانت الامبراطورية العثمانية أثناء عهدها الاكثر قوة وازدهارا قد اعترفت للاقليات غير المسلمة ولرعايا البلاد المسيحية الاجانب المقيمين فى تركيا بحقوق واسعة باسم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى تعهد بمنح غير المسلمين والمقيمين فى دار الاسلام حرية المعتقد .

كيف يسمو الوعى بالثقافة الوطنية ؟

وقد ذكرت بعد ذلك أن هذه الحقوق كانت قد استخدمت لتخريب دولتنا وأن الالتزامات الاجنبية كان الاجانب قد غيروها بحيث صارت مؤذية للامبراطورية العثمانية وأن هؤلاء أغروا الرعايا المسلمين وغير المسلمين بالثورة والعصيان وأنهم تذرعوا بكل الوسائل لاقتسام ثروات الامبراطورية العثمانية . واضفت قائلا ان تركيا – بطلبها الغاء الالتزامات الاجنبية فى اتفاقات لوزان – لم تعتبر فقط حق تركيا بل اعتبرت أيضا حق البلاد الاسلامية الوارثة للامبراطورية العثمانية .

ان سؤالا من اسئلة الطلاب كان مثيرا لاهتمام كبير . قد سألت طالبة : كيف السبيل لرفع الوعى بالثقافة الوطنية لدى المرأة الجزائرية ؟ بهذه المناسبة أدليت برأيى حول ضرورة تعليم تاريخ الثقافة الوطنية باستمرار فى جميع المدارس ، ومن بين الطلاب الذين تحادثت معهم كانت طائفة منهم من أصل تركى . ولكن يجب القول : ان الشبان الجزائريين الذين من أصل عربى أو بربرى كانوا مهتمين بتاريخ تركيا اهتمام الذين من أصل تركى .

وحسب ما أطلعنى عليه سفيرنا بالجزائر السيد فايز ملك كان فى جامعة الجزائر كرسى لتاريخ التمدن التركى ، ولكنه ألغى لعدم وجود أساتذة يقومون بذلك .

والشبيبة التى تصبو الى استقاء معلومات عن الاتراك تقبل على تأليف المؤرخ الجزائرى حول العثمانيين وهو السيد توفيق المدنى . والسيدة ف. هلال من جامعة الجزائر جادة فى اعداد دراسة حول اللهجة التركية للجزائريين الذين من أصل تركى .

بحث الاستاذ أ٠ كوران

ألقى الاستاذ أ٠ كوران ـ من جامعة هاكـــتب فى أنقره ـ خطابا حول « نمو حقوق المرأة التركية منذ القرن التاسع عشر » بصفته اختصاصيا فى التاريخ العثمانى.

وكان الاستاذ كوران قد أسهم فى ملتقيات الفكر الاسلامى وعرب تاليف من تآليفه ونشر فى الجزائر ٠ وقد أثار بحث السيد كوران الذى يعرف الجزائر معرفة جيدة اهـــتماما كبـــيرا . أما السيدة ب٠ أريبوران النائبة سابقا والقانونية فقد زودت الملتقى بمعلومات مفيدة ـ من الناحية القانونية ـ حول المرأة التركية المعاصرة وحللت الوضع القانونى للمرأة التركية اليوم على ضوء ملتقى مكسيكو لسنة 1975 حـــول حقوق المرأة ٠ وقد أفاد هذا البحث المؤتمرين افادة كبيرة ٠

وقد أعربت السيدة ص٠ انال من جامعة ارزوروم أيضا عن وجهة نظرها حـــول ذات المشكلة ٠

المؤتمرون الذين تناولوا الكلمة وتحدثوا عن حقـــوق المرأة هـــم : السيـــدة أ٠ دى فيلتراى ميروفنيتش العضوة ـ فى فرنسا ـ فى المركز الوطنى للبحوث العلمية واستاذة الفلسفة فى كلية البنات بجامعة الازهر فى القاهرة ٠ والسيدة ف٠ مـــالى الصحفية الفرنسية ، والسيدة ف٠ سبيركا وهى ألمانية مسلمة تعمل فى مونيـــخ (أو مونشن) فى مركز اسلامى ، والاستاذ لكحل بن حواء وهو قانونى جزائرى ، والاستاذ أ٠ سايطوح من جامعة طوكيو (وهو مسلم) ، والسيدة كليليا سارنيلى تشركوا من المعهد الشرقى فى جامعة نابولى ٠

موارد بطن الارض أهى نعمة أم نقمة ؟

والموضوع الرابع والاخير المقترح على الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى كان : ثروات باطن الارض أهى نعمة أم نقمة ؟ خمسة بحوث فقط ألقيت حول هذا الموضوع ،٠

وقد اختار أن يتحدث عنه السادة الآتية أسماؤهم : الدكتور صارى من جامعة الجزائر، والدكتور الصاوى من جامعة طهران ، والدكتور م· رشيدى من كتاب اندونيسيا ، والدكتور د · كاون من جامعة لنــدن ، والدكتوز صبرى ، من سوريا ·

وخلال انعقاد الملتقى نظمت زيارات لمراكز النفط مثل حاسى مسعود وللمدن العتيقة فى واحات الصحراء مثل غرداية وتقرت وسدراتة ·

وبدعوة من الوالى عرضت علينا رقصات دينية قام بها جماعة من البربر مستخدمين صناجات وطبولا ضخمة ·

وقد شاهدنا فى معرض رسوم وكتب مفتوحة فى دار ولاية ورقلة صورا شمسية لنماذج معمارية ترقى الى العهد التركى فى الجزائر ورسوما منتزعة من مؤلفات عربية من عهد القرن التاسع عشر · وقد عرضت على هذه الرسوم مناظر لاسطانبول وللدخول الاول للسلطان الفاتح محمت وهو ممتط فرسه الابيض فى اسطانبول ومناظر من معارك الجهاد التى قادها باربروس خير الدين باشا ومنظر للبطل الجزائرى الامــير عبد القادر (1808 ـ 1883) ·

وصـــــول الاتــــراك

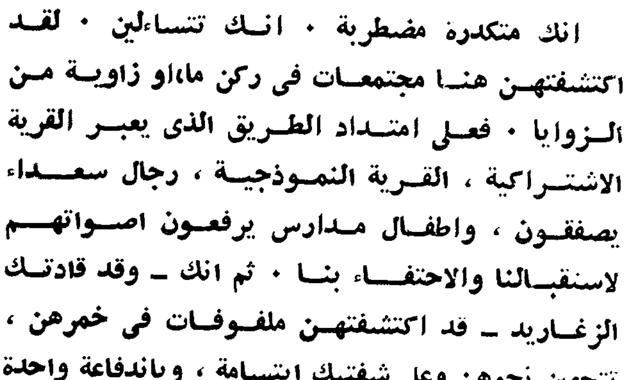
وقد دعى الاعضاء المسلمون المشاركون فى الملتقى الى أداء صلاة الجمعة فى مسجد ورقلة الصغير · داخل هذا المسجد ووراء حائط أقصر من قامة انسان كانت النساء يشاركن فى الصلاة طبقا لتقاليد المذهب المالكى كما فى العصور الاولى للاســلام اديت صلاة الجمعة فى مسجد خال من كل زينة ·

وأخيرا ، فقد سنحت لنا ــ نحن الاتــراك ــ الفرصة للتعرف على الجــزائريين الذين استقبلونا ــ كبارا وصغارا ــ استقبالا حارا ·

المـرأة بعد عام المـرأة
احد موضوعات الملتقى II للفكر الاسلامى

السيدة كزافيير غوتيي
كاتبة ـ باريس ـ (فرنسا)
ومديرة مجلة « الساحرات »





انك متكدرة مضطربة • انـك تتساءلين • لقـد اكتشفتهـن هنـا مجتمعـات فى ركن ما،او زاويـة مـن الـزوايا • فعـلى امتـداد الطـريق الذى يعبـر القرية الاشتـراكية ، القـرية النمـوذجيـة ، رجال سعـــداء يصفقـون ، واطفـال مـدارس يرفعـون اصـواتهـم لاسنقبـالنا والاحتفـــاء بنـا • ثم انك ـ وقد قادتـك الزغـاريد ـ قد اكتشفتهـن ملفـوفـات فى خمرهن ، وفى أحضانهن أطفال صغار • تتجهين نحوهن وعلى شفتيك ابتسامة ، وباندفاعة واحدة يسارعن الى مصافحتك وتقبيل يدك ، لماذا ؟ تتحدثين اليهن ، وهن صامتات • لقـد أزاحت الفتاة ـ وهى تضحك ـ نقابها الذى كانت تشده بأسنانها ـ انها جميلة ـ وهى تقول « اسكت » ثم عادت فشدت خمارها بأسنانهاساترةبه وجهها • ذلك منتهى ما صدر منها من كلام •

(*) نشر فى مجلة « الساحرات » الفرنسيه ، العدد الثامن .

لكن داخل الملتقى الحادى عشر للفكر الاسلامى ، كلام وكلام كثير . فالمحاضرات يتلو بعضها بعضا بأسرع الوتائر . تنصتين فلا تفقهين شيئا من دقائق الامور التى تتصل بالممالك الرستمية . ومع ذلك فانت تفهمين ان السعودى شن الحرب على المسيحيين ، واليهود ، والشيوعيين ،والماسونيين ، وان اليمنى العجوز وزير العدل السابق لوح بسيفه مهددا بقطع رأس الكفرة ... والنساء . انك لتشعرين بغليان فى نفسك ، وتتهاوين على كرسيك الوثير . وما كان لك ان تنسى انك فى ضيافة وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى الجزائر ، بل ان الجزائريين ، والوزير الصحراوى، والتقدميين يصعدون الى المنصة لتهدئة الامور ، أنهم يصفون حساباتهم السياسية بالرجوع الى الله ، حسنا ، سوف لا تنزعجين لاساقفة محليين من طـــراز الاسقف « ليفيفر » Lefèvre . (2)

لكن ها هى ذى القضية تتعلق بالنساء . وهنا تسمعين كل شىء . مما لم تكونى تعرفينه قبل مجيئك الى هذا المكان ؛ ما لم تكونى قد فهمته جيد الفهم من قبل ، وهو ان الاسلام حرر المرأة .

هل هذا يدهشك ؟ انك لم تقرأى القرآن كما ينبغى ، فقد ورد فى الاثر أن « **الجنة تحت أقدام الامهات** » ، وجاء فى القرآن « **ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها** ».اذن فالامور كلها تجرى على ما يرام.او تنكرين ؟ اما تزالين غير مغتبطة بأنك مخلوقة من ضلع الرجل لتكونى له سكنا وراحة ؟ لكن ماذا تبتغين أيتها التعيسة ؟ انت تريدين هدم الاسرة ، تقويض اركان المجتمع ، وتعريض الانسانيـــة جمعاء للفناء ! ألا تعلمين (وهذا من كلام استاذ أمريكى فى الملتقى) (3) ان تحرر المرأة « محاولة مقصودة لاضعاف الرجل والانتقاص من رجولته وحرمان المرأة من حقوقها التى ميـــزتها من الرجل بكل رقة ولطافة » ، مما تنشأ عنه حالات الطلاق والافراط فى تنـــاول المخدرات،والادمان على السكر،وتفشى الجرائم (من اغتيالات واعتداءات على العرض والشرف)

(2) اسقف فرنسى يعارض حاليا دعوة البابا الحالى الى التخلى عن كثير مـــن تقاليد الكنيسة ، ومنها تلاوة الصلاة باللاتينية .

(3) هو الاستاذ الدكتور شارل فيدز

والتفسخ الخلقى ، وأوبئة الامراض الزهرية ؟ ألا تعلمين (وهذا قول أحد السودانيين) (4) ان النساء المتحررات فى الغرب يتلوين شبه عاريات على الارصفة فى فجور ودعارة ؟ ماذا ، لكأنى بك عازمة على المضى قدما فى الكفاح من أجل حقوقك ؟ ألا تعلمين (وهذه مقالة سيدة فرنسية اعتنقت الاسلام) (5) ان للنساء المسلمات من الحقوق أكثر مما لديك ، وهذا من قديم الزمان · حسنا · لكن والحجاب ؟ لم يكن الحجاب فريضة من الرسول الكريم ، انما هو عادة متأخرة · لكن وتعدد الزوجات ؟ ليس سوى ترخيص ، لان الرسول قال للرجال « **فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » (القرآن) ، كما أنه أوصى بالنساء خيرا وبحسن معاملتهن ، وحسن معاملة الحيوانات كذلك · والواقع أن الامر كان رهيبا قبل الاسلام · فقد كانت النساء يدفنن وهن على قيد الحياة · ثم اقتصر الامر على اغراقهن · والآن ما ان انتهيت من الحديث على الساحرات حتى صعد رجل الى المنصة وقال : « لا ·· ان المرأة التى تهدم الاسرة ، يجب ألا يقذف بها فى الماء ، بل يجب قذفها فى النار ! » وهنا تعالى دوى من التصفيق من نصف القاعة المخصص للذكور من الطلاب ·

وتحاولين الحصول على شىء ما فى الركام ، فتلاحظين انه فى عام 1917 صدر بتركيا مرسوم يشترط رضا المرأة قبل ان يعمد زوجها الى التزوج بامرأة ثانية ، وان الدولة التركية دولة علمانية ، وان الشريعة قد ابطلت · والشريعة هى التى تحكم العالم الاسلامى ، والتى تنص فى مجال الارث على ان للذكر مثل حظ الانثيين ، وان شهادة رجل واحد تعادل شهادة امرأتين ، وتسجلين بأن المرأة فى ايطاليا ليس من المحتوم عليها حين تتزوج ان تتسمى باسم زوجها ، وذلك منذ سنة 1975 · لكن آلافا من النساء يقمن فى البيت ، يعملن فى « ظلام الليل » عملا يتناولن عنه نصف أجرة · وتسمعين من ياباني ان للرجل والمرأة فى السويد نفس الواجبات فيما يتعلق بالمهام المنزلية ، وان معونات مالية تمنح للمستخدمين ، (بالكسر) الذين يشجعون النساء على العمل فى المجالات المخصصة للرجال عادة · وتلاحظين انه لا يمكن لرجل فى الباكستان ان يتزوج

(4) الاستاذ الدكتور الحبر (يوسف نور الدايم)
(5) الاستاذة الدكتورة ايفادى فنرى مايروفيتش

بامرأة ثانية الا بإذن من الزوجة الاولى وتأخذين عن الباكستانية أن القانون المصرى يعترف بالطلاق القائم عن تراضى الزوجين، وان للمصريات حق التصويت منذ عام1956!

كيف تجدين نفسك فى هذا الخليط من الكلام ؟ ان هناك امرا واضحا على الاقل ، وهو المثل التونسى عن المرأة : « فى النهار دابة ، وفى الليل شابة » (6) ، والمثل القائل : « لا تضربها الا بعد ان تقيدها » ، ثم قولهم ان الله خلق المرأة « لتخدم وتنجب له ابناء ··· ورسالتها الاصلية ومهمتها الاولى تتمثل فى الحفاظ على الاسرة » فأى مصير أحسن من هذا يمكن ان تحلمى به ؟ ان المرأة كما يقول الشيخ المحترم هى « مصنع للانتاج » (7) · وتثورين فى آخر الامر ، وتتحدثين فى الميكروفون فتقولين : « انكم لتغمرونها شرفا ، فليست المرأة مصنعا · وانما هى مجرد عاملة يستغل مجهودها رب العمل الذى هو زوجها ، وقد سبق لماركس ان قال : « ان الرجل فى مثال الزوجين هو ذلك البرجوازى ، والمرأة هى ذلك البروليتارى · وفى اعتقادى ان الجميع يعلمون هذا فى هذا البلد الاشتراكى » · وعن الاشتراكية بالذات تتحدث امرأة · انها امرأة جزائرية ، وتستمعين اليها باهتمام · انها أخت · انها مناضلة فى جبهة التحرير الوطنى · ولابد ان تذكرى أيضا مدى تأثرك بهذه الحفاوة الحارة ، المتفتحة ، الحية ، والعجيبة حقا التي يخصك بها الجزائريون ، انت الفرنسية بالذات ، ولم تمض على الحرب سوى بضع سنوات ! انك لمتأثرة حقا بمثل هذه الرقة واللطافة ، وبمثل هذه الروح الخصبة السمحة ·

وتتحدث هذه المرأة العضوة في أمانة الاتحاد الوطنى للنساء الجزائريات (8) ، وتقوم بتحليل غدا تقليديا في الاوساط « السياسية » وتقول : « لقد كانت المـــرأة أداة ووسيلة انتاج في يد الرجل والسيد ، لكن الاشتراكية تحل هذه المشاكل جميعا ، لان الانتاج الذى يشارك فيه الجميع ملك للجميع » · وتضيف « بان نظام الإنتـــاج الرأسمالى هو الذى تتحول المرأة داخله ، وهي « المثال الجامد » ، الى « مادة تجارية ، بل وحتى صورة من صور الاشهار » ؛ وهي تقول أيضا : « ان الاسلام منح المرأة أهلية

(6) أورده الاستاذ الصادق بسيس فى محاضرته .
(7) الاستاذ بسيس .
(8) السيدة زهور ونيسى .

مالية ، وثقافية،واجتماعية » • لكنها هى على الاقل تطرح السؤال الذى تطرحينه ، (على فرض أن هذه المساواة التى تنالها المرأة فى الاسلام مطروحة من حيث المبدأ ، فانه بالامكان دائما تأويل النصوص المقدسة حسب المرغوب ، والمسيحيون يفعلـون ذلك بصدد الانجيل) • انها تتساءل : لماذا مثل هذه الهوة السحيقة بين النصوص التشريعية والوقائع البهيمية التى نعيشها ؟ وتشير باصبع الاتهـــام الى الظروف الاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية والسياسية (الاستعمار مثلا) • وتبدئين تفهمين أن الدين الاسلامى كان بمثابة الاسمنت للثورة ولحرب التحرير ، وان أية معارضة مكشوفة لمثل هذا الدين تعنى عملية انتحارية ، وان من الخير القول ـ عن خطة متعمدة او مجرد مخرج غير واع ـ بان المسلمين الحقيقيين هم الذين تتمتع لديهم المرأة بكامل الحرية• ثم ان هذه المرأة التى تدير مجلة « الجزائرية » مجلة المرأة ، تكافح بذكاء واقتنـــاع من أجل ان يكون للنساء مثل حقوق الرجال ، ومن أجل تعليمهن وتثقيفهن ، وفى سبيل حقوقهن في العمل • وهي تناضل بكل ما أوتيت من قوة في سبيل ان يعترف بالمرأة «كقوة حية فى بناء الحضارة» • صبرا • ان هناك حركة فى الجزائر • هناك حركة حتى ولو كانت فوضوية عسيرة • وأنت متأكدة من ذلك • هناك تلك الجزائرية الشابة التى تهمس فى أذنك بأن الفتيات لم يعدن يرغبن فى الزواج الآن • انهن يعلمن مدى ما عانته أمهاتهن • وهناك هؤلاء الطالبات الخبيات والمصممات مع ذلك ، اللائى يتقدمن الى المنصة للتعبير عما يساورهن من نوازع القلق والامل • واكيد انه ليس ثمة ما يشبه حـركة نسوية بالمعنى الذى نفهمه فى الغرب ، لكن لماذا يراد لهن ان يسلكن طريقا مماثلـة لمسالكنا ؟ قد ترغبين ، بعكس ذلك ، ان تتعلمى منهن ، وتستمعى اليهن ، وان تلتقى بهن لمدة أطول • المهم ان يستمر هذا الغليان الذى شعرت به ••• ان هناك حركة بالجزائـر •

اذا ما شعرت يوما باختنـــاق ومغص فى المناقشات والخطب البارعة ، فلوذى قليلا بالصحراء ، هنا فى قرية من القرى ، وعلى مقربة من نقطة ماء ، تلتقين بالنساء • فهن يبتسمن لك ، ويصافحنك ، ويدعونك بالاشارة للدخول الى البيت • ويبحثن فى أعماق كيس يقوم مقام الخزانة فيخرجن منه قارورة عطر ويصببن منه على جلدك ••• تتبادل معهن الابتسامة • أيتها النساء فى جميع البلدان ، اتحدن ! • (1)

(1) على غرار نداء كارل ماركس : «أيها البروليتاريون فى جميع البلدان ، اتحدوا !»

حول ملاحظات، وانطباعات

الشيخ سليمان داود بن يوسف عن ثورة 1871

د. يحيى بوعزيز
جامعة وهران



الشيخ سليمان داود بن يوسف ، عالم جزائري ، من قرية العطف الميزابية ، على بعد حوالى تسعة كيلو مترا من مدينة غرداية بوادى ميزاب .

تعرفنا عليه خلال انعقاد الملتقى الثامن للفكر الاسلامى ببجاية فى ربيع عام 1974 ، وكان من ضمن من علقنا عليه حول قضية التقاء ابن تومرت بالفيلسوف الاسلامى الكبير أبى حامد الغزالى .

وفى نهاية الملتقى صحبناه معنا فى سيارتنا الخاصة من بجاية الى الجزائر العاصمة ، وتناقشنا فى الطريق ، وتبادلنا الحديث حول عدة مواضيع فكرية ، وتاريخية ، قديمة وحديثة ، خاصة حول ثورة التحرير الاخيرة .

وفى الملتقى التاسع للفكر الاسلامى بتلمسان ، خلال صيف عام 1975 ، التقينا به مرة أخرى ، وكان من ضمن المحاضرين فى الملتقى ، فلم يوفق فى محاضرته ، وكان هو والمنهجية على طرفى نقيض . فالموضوع : تلمسان خلال عهد الدولة الزيانية ، وهو أخذ يستعرض تاريخ تلمسان من عهد الرومان الى ما بعد حركة الامير عبد القادر .

وكان فى نيتنا التعليق عليه خلال الملتقى ، ولكن حالت زيارة الرئيس بومـــدين ورفاقه الى الملتقى ، دون ذلك لان الوقت كان تأخـر كثيرا ، والحـــرارة شديدة ، فلـم يسع الوقت الا لعدد قليل من الناس ان يعقبـــوا .

وخلال الملتقى جمعتنا واياه عدة مناسبات منها لجنة اعداد التوصيات . وكنـــا نكبره ونجله على حيويته ، ونشاطه ، فى مثل ذلك السن المتقدم . ولم نكن نؤاخـذه على مبالغته فى التحمس للمذهب الاباضى الذى ينتمى اليه ، وللحضارة الرستمية ، وأمجادها الغابرة ، لان الانسان مهما بلغ فى التكوين الثقافى ، يجد صعوبة فى التخلص من العواطف الخاصة نحو مسقط الرأس ، والانتماء المذهبى ، والتاريخى ، ثم انه لا ضير فى ذلك ما دام فى حدود اللياقة ، والمعقول .

ومع ذلك لم نتحرج فى انتقاده بأسلوب علمى ، مهذب فى موضوع كتبنـــاه عن ملتقى تلمسان . بعنوان : « حول الملتقى التاسع للفكر الاسلامى بتلمسان ، ملاحضات واقتراحات » (1) ، قيمنا فيه اعمال الملتقى ، وانتقدنا عدم المنهجيـــة العلمية التى اتصف بها بعض المحاضرين والمعقبين ، ومن سوء حظ الشيخ سليمان اننا ذكرناه ضمن هؤلاء الذين لم يلتزموا بالمنهجية وذكرنا معــه المرحومــين : عبد الحميد بن آشنهو ، وعثمان الكعاك . ولم نقل أكثر من هذا . والتمسنا لهم عذرا فى أنهم لم يتلقوا دراستهم فى جامعات علمية حديثة . كما أوضحنا انه ليس مــن الضرورى ان يكون كل عالم محاضرا .

ويبدو ان هذه الملاحظة افقدت الشيخ سليمان داود صوابه ، واغتنم فرصـــة مشاركتنا فى الملتقى العاشر للفكر الاسلامى بعنابة خلال صيف عام 1976 ، بمحاضرة حول : ازدهار الحضارة والفكر الاسلاميين بالمغرب الاسلامى ، ودوره فى نهضـــة أوروبا ويقظتها » . فهاجمنا ، وانتقدنا ، بعيدا عن الروح العلمية ، وحقائـــق التاريخ ، وحاول أن يتهمنا بالتعصب ، والتحيز ضد الميزابيين ، دون أى مبرر ، لانه

(1) الاصالة . عدد 19 ـ 30 (الجزائر ، جانفى ـ فيفرى 1976) ص : 176 ـ 185 .

لا صلة اطلاقا بين موضوع محاضرتنا ، والحضارة الميزابية • مما جعلنا نتأكـد ان انتقاده كان لغرض الانتقام مع فقدان طبيعة الاعتداء أو النيل من جانبنا •

ومما حاول أن يؤاخذنا عليه فى انتقاداته ، ان مقدمة موضوعنا لا صلـة لها بالمحاضرة ، وأن عددا من الشخصيات الفكرية لم نذكرهم لانهم من أبناء عمومتـه ، أى انهم ميزابيون • هكذا بهذا المنطق • ويعلم الله أن تلك الشخصيات لم نكـن نعرفها ، وشكرناه على افادتنا بها ، وقلنا له ان ما أوردناه من الاسماء كان لمجـرد التمثيل ، وليس لغاية الحصر •

ومع اننا رددنا عليه فى الملتقى ، خلال ردنا العام على كل المناقشين والمعقبـين من السادة الاساتذة ، الا أن جو الملتقى منعنا من ان نتوسع فى الرد ، واكتفينـا « بدغدغته » فقط ، وسط التصفيقات الحادة لجمهور الملتقى البهيج التى كنا نتوقع أن تكون أبلغ رد له •

وبعد انتهاء الملتقى حفزتنا بعض التعقيبات التى أثيرت خلاله ، على كتابة موضوع عنها ، تحت عنوان : « من وحى الملتقى العاشر تجربة الجزائر الرائدة » (2) • فكان ذلك مناسبة لنا لتخصيص فقرة ، لتوضيح موقف الشيخ سليمان ، على حقيقته ، والكشف عن أنه لم يتناول التعقيب على محاضرتنا ، لغاية خدمة الفكر والثقافـة ، وانما من أجل الرد فقط على ملاحظتنا عنه ، ولكن بأسلوب الحقد ، والضغينـة ، البعيدين تماما عن اللياقة العلمية • وكان اكثر مـا أثار استغرابنا ، اقحامه النعرة العصبية فى هذا الميدان الفكرى •

وكما غضب على تعليقنا عنه بعد ملتقى تلمسان ، غضب كذلك على تعقيبنا عنه بعد ملتقى عنابة ، ويظهر انه تاثر أكثر هذه المرة ، فقام بنشر ملاحظاته وانطباعاته عـن ثورة 1871 ، (3) التى نشرنا عنها نحن بعض المقالات ، والدراسات ، ليجد الفرصة مرة أخرى لمهاجمتنا ، وانتقادنا ، كعادته ، مما يدل على انه تاثر كثيرا ، ونحن نقول

(2) الاصالة • عدد 38 (الجزائر ، أكتوبر ـ 1976) ص : 117 ـ 137 •
(3) الاصالة • عدد 39 ـ 40 (الجزائر ، نوفمبر ـ ديسمبر 1976) ص : 137 ـ 143 •

له بأننا رغم كل هذا ، نكن لك الاحترام والتقدير ، وستبقى دائما صديقنا ، وشيخنا ، ووالدنا الروحى ، ولن نسمح أبدا لهذه الملاحظات والانطباعات ، أن تفصل ما بنينا من ود ، واخاء ، وأواصر . كما اننا سوف لن نفعل مثلك فى ردنا عليك . وسنلتزم بالبحث والنقاش العلميين النزيهين .

وجمهور قرائنا الكرام ، وما أكثرهم والحمد لله ، هم الذين حفزونا الى كتابة هذا التعليق ، لدفع اللبس الذى حاول الشيخ سليمان ان يلبسه لبعض حقائق تاريخنا ، ويشوه به ما نسعى نحن وغيرنا منذ الاستقلال الى اجلائه ، وبعثه على حقيقته .

وحتى لا نطيل على القارىء الكريم نشرع توا فى ابداء الملاحظات التى استوجبها الرد على انطباعات الشيخ سليمان .

أولا : انتقد علينا الشيخ سليمان بأننا اعتمدنا فقط على المصادر الفرنسية فى كتابتنا عن ثورة 1871 ، وهو يشير بذلك الى مقال نشرناه بمجلة الاصالة عن هذه الثورة بمناسبة الذكرى المأوية لها (4) . ونحن نقول له بأن هذه الثورة لم يكتب عنها بعد بالعربية ، فكل مصادرها تقريبا اجنبية وأغلبها فرنسى .

ومن أجل ذلك اخترنا موضوع أطروحتنا الجامعية عنها ، واعتكفنا على دراستها أكثر من سبع سنوات ، وتكبدنا جهودا شاقة يعلم الله فقط ، ونحن ، مداها . وستكون عند صدورها قريبا ان شاء الله ، أول محاولة من نوعها باللغة الوطنية ، لغة الضاد ، والقرءان . وقد ناقشنا فيها الاقوال والادعاءات الفرنسية ، بالحجة ، والبرهان من منطق الوثائق العربية ووقائعها . وحاولنا أن نصحح قدر الامكان ، وفى حدود ما حصلنا عليه من وثائق . الاغلاط والاخطاء التى تعمد الغير الصاقها بهذه الثورة ورجالها .

ومن الطريف أن نذكر للشيخ سليمان أن أحد أعضاء لجنة المناقشة للاطروحة ، أخذنا على أننا اعتمدنا كثيرا على المصادر العربية ، علما بأنها لا تزيد على حوالى ثلاثين، الى جانب حوالى مائة وثيقة . فى حين قاربت المصادر الفرنسية المائتين .

(4) الاصالة ، عدد 2 (الجزائر ، ماى 1971) ص : 22 ــ 29 .

ثم ان معظم الدراسات التاريخية التى نشرناها فى مجلتى الاصالة ، والثقافة ، وثائقية اعتمدنا فيها على الوثائق العربية التى تنشر لاول مرة • فهل غاب عليكم ذلك ياشيخ سليمان أم أنكم تريدون أن تغطوا الشمس بالغربال ـ كما يقال ـ •

ثانيا : أثار الشيخ سليمان قضية مشاركة المدعو بولنعاس الميزابى فى ثورة 1871 ، ليتخذ ذلك ذريعة لتأكيد مشاركة الميزابيين جميعا فى هذه الثورة ، وكأنه بهذا يحاول ان يجعلهم فى قفص الاتهام • ونحن لم نشر الى هذا اطلاقا ، ولم نتعرض اليه • ومع ذلك نقول له بأن سكان وادى ميزاب لم يشاركوا فى ثورة 1871 ، والسبب بعدهم عن ميدانها فى الشمال وهم فى اعماق الجنوب الصحراوى ، وليسوا وحدهم الذين لم يشاركوا ، فهناك غيرهم •

أما بولنعاس ، الذى على ما يبدو ، من سكان سطيف ، حسبما يفهم من كلام الشيخ سليمان ، فاذا صح أنه شارك ، فليس ذلك غريبا لانه جزائرى على كل حال ، ولم لا يشارك ؟ ومع ذلك فأين يظهر أمام عشرات الآلاف من الابطال الجزائريين الذين ضحوا بالنفس والنفيس ، وقدموا الغالى والرخيص فى سبيل وطنهم خلال ثورة 1871 • فبولنعاس قطرة فى محيط ، وشعرة فى جبل من الصوف • ولماذا يحاول الشيخ سليمان أن يفصل الميزابيين عن المجتمع الجزائرى ، وهم جزء لا يتجزأ منه رغم أنفه • ويحاول اثارة الشكوك •

ثالثا : ادعى الشيخ سليمان ان الوانوغى بن بومزراق من مواليد المنفى بكاليدونيا الجديدة ، وأن أباه سماه بهذا الاسم نسبة الى قبيلة ونوغة • ونحن نقول له بأن هذا ليس صحيحا • لان احمد بومزراق لم يتزوج فى المنفى ، ولم يرزق بأى مولود هناك وأن ابنه الوحيد الوانوغى ولد بالجزائر قبل الثورة ، والدليل محضر الاتهام الذى أعد لمحاكمته عام 1873 بقسنطينة ، والذى نص بالحرف الواحد على أن : « أحمد بومزراق بن الحاج احمد الآغا السابق للونوغة عمره خمسة وثلاثون عاما ، متزوج ، وله ولد • • • » • (5)

(5) ACTE D'ACCUSATION. P. 75.

وقد سماه أبوه بالونوغى لا نسبة لقبيلة ، ولكن لاقليم الونوغة الذى كان قائدا عليه من قبل أخيه الباشاغا أحمد المقرانى من عام 1861 الى عام 1871 ، والذى ينحصر بين البويرة شمالا ، وسور الغزلان جنوبا ، وبنى منصور شرقا ، ويشمل جزءا كبيرا من جبال البيبان ، ويسكنه عشرات من العروش والقبائل .

وهذا الابن الوحيد لاحمد بومزراق هاجر مع باقى المقرانيين الى تونس فى مطلع عام 1872 بقيادة ابن ناصر بن شهرة بعد أن فروا الى الصحراء . وكانوا حوالى خمسمائة شخص بينهم عدد آخر من المهاجرين غير المقرانيين .

وعندما صدر العفو على المنفيين بنوميديا عاصمة كاليدونيا فى المحيط الهادى عام 1881 ، ورفض احمد بومزراق العودة الى الوطن ، عاد ابنه الوانوغى من تونس الى الجزائر مع بعض المقرانيين ، وتولى رعايته بعض الوقت ، شيخ زاوية الهامل محمد ابن بلقاسم قرب بوسعادة . وقد زرنا بنفسنا هذه الزاوية عام 1972 ، وتحادثنا مع أحد القائمين بها الذى حدثنا على الرعاية التى كان أرباب الزاوية يولونها للمقرانيين بعد نكبتهم على أثر الثورة ، وذكر لنا أن بعضهم ما يزالون حتى اليوم فى مدينة بوسعادة يعيشون كتجار وعمال .

وبعد مدة من عودة الوانوغى من تونس عينته السلطات الفرنسية معلما فى مدينة القليعة ، ثم نقلته الى مدينة الاصنام لنفس الوظيف ، وبها ترقى الى منصب المفتى فى نفس المدينة .

وفى مطلع القرن العشرين ، بذل الوانوغى جهودا ومساعى لاعادة أبيه من منفاه ، ونجح فى ذلك ، فعاد أبوه من المحيط الهادى فى صيف عام 1904 ، واستقبله عنده فى الاصنام بعض الوقت ، ولكنه وجد كل شىء قد تغير عليه ، ولم يطق العيش فى الاصنام فانتقل الى مدينة الجزائر العاصمة ، وجاور بعض رفاقه واصدقائه القدماء من التجار بحى القصبة ، ولم يطل عمره كثيرا ، فقد توفى فى صيف العام الموالى 1905 ، ودفن فى مقبرة سيدى محمد بحى العقيبة .

وفى خلال الحرب العالمية الاولى ارسل الوانوغى بن بومزراق ، وقطرانجى عبد الرحمن بن عمر ، الى فرنسا فى مهمة ارشاد الجنود الجزائريين فى جبهة الحرب والصلاة بهم ، وبعد عودتهما ألفا كتيبا صغيرا سمياه : « القول الناصح فى مجادلة المائن الكاشح » (6) لا يهمنا هنا موضوعه ٠

وقد بقى الوانوغى فى منصب الافتاء بالاصنام حتى توفى فى مطلع الخمسينات ٠ وكانت له زوجتان : احداهن مقرانية ، والثانية من سوقر قرب تيارت بنت الشيخ المفتى بها ٠

ومن ابناء الزوجة المقرانية ثلاثة ابناء واحد منهم اسمه بومزراق ، وكان يعمل فى فرقة رياضية بفرنسا حتى قامت ثورة التحرير الاخيرة ففر الى تونس ، وانضم الى الفريق الرياضى التابع لجبهة التحرير الوطنى ٠ وعاد الى الجزائر بعد الاستقلال ، وعمل مدربا رياضيا ، وتعرفنا عليه فى عاصمة الجزائر عام 1963 ، وسمعنا منه أحاديث كثيرة عن ابيه الوانوغى ، وجده احمد بومزراق ، وتوفى حوالى 1965 ، ولحقه به أخ آخر ٠ وما يزال الاخ الثالث حتى اليوم يعيش بالاصنام على ما نعلم ٠

ومن أبناء الزوجة السوقرية ، زوجة الفنان خليفى بالجزائر العاصمة ، وزوجة التاجر المقرانى عبد الحق الذى ما يزال يعيش بالاصنام ٠ (7)

فالوانوغى بن احمد بومزراق ، اذن ، من مواليد الجزائر ، وليس المنفى ، واستمد اسمه من اقليم الونوغة الذى كان أبوه قائدا له حوالى عشر سنوات ، وليس من اسم قبيلة بهذا الاسم ٠ ولو كان من مواليد المنفى ، لما سمح له عمره الصغير بتقلد تلك المناصب ، ولما سمح وطن كاليدونيا بالتثقف بالعربية لتلك الدرجة التى أهلته لتولى منصب الافتاء سنوات طويلة بالاصنام ٠ فليتمعن الشيخ سليمان فى هذا ، وليصحح معلوماته ٠

---

(6) توجد نسخة من هذا الكتيب فى مكتبة جامعة الجزائر تحت رقم 300 ـ 208 ٠

(7) أفادنا بهذه المعلومات عن الوانوغى ، الشيخ المهدى البوعبدلى بطيوة فى أرزيو ، قرب وهران ، وذلك فى رسالة بتاريخ 21 محرم 1393 (24 فيفرى 1973) ، والشيخ المهدى وأبوه من أصدقاء الوانوغى ٠

رابعــا : أورد الشيخ سليمان داود ، صورة مع ملاحظاته وانطباعاته التى نشرها فى مجلة الاصالة المشار اليها سابقا ٠ وتحوى هذه الصورة عددا من الاشخاص ، وأدعى ان الشخص الرابع بها الى اليمين هو الوانوغى بن بومزراق ٠ وليس ذلك صحيحــا لان ذلك الشخص هو السيد عثمان عبد المجيد بن ابراهيم الطولقى من زاوية طولقة ، الذى كان يكتب فى جريدة النجاح القسنطينية التى كان يديرها قريبه السيد عثمانى عبد الحفيظ بن الهاشمى ، الذى كان مفتيا فى عنابة قبل أن ينقل الى قسنطينة لادارة تلك الجريدة ، ولم يتوفـ الا منذ حوالى ثلاث سنوات فقط ٠

ومن ابناء السيد عثمانى عبد المجيد الطولقى (الذى اعتبره الشيخ سليمان ، هـو الوانوغى) السيد عثمانى سيف الدولة الذى كان معلما فى قصر الطير ، وأثرى فى عقد الاربعينات ، وأصبح تاجرا كبيرا فى الجزائر ووهران ، وانتقل الى المغرب الاقصى، وامتلك مخبزة كبيرة فى الدار البيضاء ، وتعرف عليه كل اللاجئين الجزائـريـين خـلال ثورة التحرير الكبرى الاخيرة وارتبط معه بالمصاهرة المرحوم الطاهر التيجانى الذى شغل منصب الامين العام لوزارة الاوقاف ، ثم لوزارة التربية الوطنية بعد الاستقلال بعض الوقت ٠

ومن ضمن الاسماء الذين تحويهم تلك الصورة ولربما لا يعرفهم الشيخ سليمان ، عبد القادر القاسمى ، من زاوية الهامل الذى كان عضوا فى المجلس الجزائرى ، وتوفى حوالى 1953 ٠ ومامى اسماعيل محرر جريدة النجاح الذى توفى فى مطلع الستينات ٠ وشيخ العرب عبد العزيز بن قانة ٠ والشيخ ابن الساسى قاضى قسنطينة ٠ (8)

ان الشيخ الوانوغى بن احمد بومزراق يعـرفه كثيرون مايزالون احيـاء ، ولا يوجد فى تلك الصورة التى نشرها الشيخ سليمان فليسأل العارفين بذلك ، وليتجنب هــذا الخـلط ٠

خامسا : ادعى الشيخ سليمان بأن الشيخ امحمد بن الشيخ الحداد قد هرب من منفاه بالكاليدونيا ، ومات بمكة ٠ وذلك غير صحيح ، لان الذى فر من هناك هو أخوه

(8) أفادنا بهذه المعلومات الشيخ المهدى البوعبدلى فى رسالــة بتاريخ 9 ربيــع الاول 1397 ، الموافق 28 فيفرى 1977 ٠

الشيخ عزيز بن الحداد ، فى صيف عام 1880 على مركب بريطانى حمله الى سيدنى بأستراليا ، ثم الى جدة ، ولم يمت بمكة وانما فى مرسيليا بفرنسا ، ونقلت جثته الى مدينة قسنطينة حيث دفن بجوار قبر أبيه الشيخ امزيان بن على الحداد ·

أما الشيخ امحمد فقد بقى بمنفاه ، ووجدنا اسمه ضمن قائمة أسماء عدد من المنفيين الذين كتبوا رسالة الى الحاكم العام الفرنسى بالجزائر عام 1888 ، يطلبون منه اطلاق سراحهم · وذلك فى أرشيف باريس الوطنى ، ولم تشر المصادر الفرنسية ولا غيرها الى مصيره ، والاغلب أن يكون قد توفى هناك ، ولم يكن من صنف المغامرين كأخيه سى عزيز حتى يفر أو يحاول ذلك ، ولو فر لاشارت الى ذلك المصادر ، كما اشارت الى فرار أخيه ·

سادسا : أثار الشيخ سليمان قضية آثار الشيخ الحداد ، وقضية كونه مثقفا او أميا ، ونحن لم نشر الى هذا لا من قريب ولا من بعيد · وما دام قد فعل ذلك فلابد من أن نعطى ايضاحا ·

فحول ثقافة الشيخ الحداد ، أو أميته ، هناك رأيان شائعان فى منطقته بحوض وادى الصومام ، وجبال جرجرة · رأى يؤكد أنه مثقف بدليل أنه خلف بعض التآليف العلمية خاصة فى مجال التصوف ، وأن أولاده كانوا مثقفين خاصة الشيخ عزيز ، وأن زاويته كانت تقوم برسالة العلم بشكل واسع لعدة عقود من الزمن حتى قضى عليها خلال ثورته · وان كثيرا من اتباعه واخوانه كانوا ذوى ثقافة ·

ورأى آخر يدعى انه أمى لا يقرأ ولا يكتب ، وهو رأى شائع بين قلة من الناس ، من الطبقة المثقفة غالبا ، وما يزال متواترا فيما بينها فقط ، ولم يمتد الى الطبقة العامة · وقد حكى لنا الاخ الفاضل السيد آيت سعيد عمر اصدقاون من عين الحمام ، الذى

يعمل معلما فى مدينة بجاية ، ناقلا عن أبيه المسن السيد على بن محمد السعيـــد اصدقاون ، بأن الشيخ الحداد أمى لا يقرأ ولا يكتب • (9)

وقد سمعنا ما يشبه هذا من الشيخ على شنتير نائب رئيس المجلس الاسلامى الاعلى خلال محادثات بيننا وبينه ببجاية خلال انعقاد الملتقى الثامن للفكر الاسلامى ببجاية فى ربيع عام 1974 ، حيث ذكر بأن الشيخ الحداد لم يكن مثقفا ، ولكنه لم يقل بانه كان أميا تماما ، وعائلة الشيخ شنتير كانت من اتباع الشيخ الحداد •

ورأينا نحن ، الذى سيبقى قابلا للنقاش ، هو ان الشيخ الحداد ، لم يكن أميا تماما ، ولم يكن ذا مستوى عال فى الثقافة ، بل كان ذا ثقافة متوسطة يعرف القراءة والكتابة ، ويفهم بعض كتب الدين التى تدخل فى حضيرة اختصاصه كرجل ديـن • وعلى فرض صحة أنه أمى فلا ينقص ذلك من قيمته ، ويكفيه شرفا أنه ثار وحمل السلاح ضد الاستعمار الفرنسى وهو فى سن الثمانين عاما ، ورمى بكل أصحابه واتباعه فيها ، وما أكثرهم • ويبدو لنا أن الذين يشيعون أميته كانوا من خصومه ، اما دينيا ، أو سياسيـا •

وحول آثار الشيخ الحداد ، او مكتبته ، ان صح ان له آثارا ، او مكتبـــة ، فان المصادر التى أطلعنا عليها ، وما أكثرها ، خلال انشغالنا ، باعداد دراستنا عن هـذه الثورة ، لم تشر الى ذلك اطلاقا لا من قريب ، ولا من بعيد • أما الشيخ سليمان فقد ادعى انه عثر على ذلك ، ولكنه كان مضطربا فى رواياته ، ففى الملتقى التاسع للفكر الاسلامى بتلمسان عام 1974 ، ذكر أنه عثر على مكتبة الشيخ الحداد فى المكتبـة الوطنية بباريس ، وانها تحوى حوالى الف مجلـد ، وفى انطباعاتـه وملاحظـاته التى

(9) حكى لنا الاخ هذه الرواية خلال التقائنا بالمعهد التيكنولوجى للتربية فى حى بوزريعة بالجزائر العاصمة ، خلال ملتقى عقد هناك فى عام 1973 تقريبا ، لمعالجة مشاكل التكوين • ثم كاتبنا برسالة أخرى جوابا عن رسالة لنا ، فى نفس الغرض • وأكد لنا بأن أباه رغم انه يبلغ من العمر مائة وأربعة عشر عاما ، الا أنه يتمتع بكامل الصحـة العقلية والجسدية • ووعدنا أيضا بأنه سيتصل بابن الشيخ الرشيد الواسيفى الذى كان جده محمد اصدقاون كاتب الشيخ ، وأحد مقاديمه البارزين فى جبال جرجرة ليستطلع منه الامر ، ولكنه لم يفعل بعد • تاريخ رسالته 9 سبتمبر 1973 ، مصدرها بجاية •

نشرها أخيرا فى مجلة الاصالة ذكر أنه عثر عليها فى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بشارع ليل رقم 2 بباريس · وانها تحوى ألفا واثنين وسبعين مجلدا ، كلها مخطوطات، فأى الروايتين نصدق ؟

ثم اننا نسأله كيف تمكن ان يصعد الى الطابق الرابع بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وقاعة المطالعة بها للرواد والقراء توجد فى الطابق الاول ، وقد اشتغلنا بها نحن لمدة شهر كامل خلال صيف عام 1970 ، وأطلعنا على كل ما يتصل بثورة 1871 ولم نعثر على ما ذكره ، فما هى هذه العصا السحرية التى فتحت أبواب الطابق الرابع ، ومن هم الجنون ، الذين فتحوا له خزائن كنوز الشيخ الحداد بشارع ليل فى باريس ؟

واكثر من هذا فان الشيخ الحداد رجل دين ، وليس رجل سياسة وكتبه اذا صح أن له كتبا ، ستكون ولا شك ، كتب دين ، ولغة ، من فقه ، ونحو ، وصرف ، ومنطق وتفسير ، وأصول ، وما الى ذلك من المواد التى تساعد على فهم القرآن والسنة · وهى كتب لا يهتم الفرنسيون بحفظها هكذا ، واخفائها طيلة قرن كامل ، ليقدموها بعد ذلك هدية للشيخ سليمان داود بن يوسف عام 1964 ، ولنسلم جدلا أن الشيخ الحداد كانت له كتب ، أو مكتبة ، فهل يعقل أن تصل الى ذلك العدد الضخم الذى ذكره ، وهو ألف واثنان وسبعون مجلدا ، اللهم فاشهد ان هذا مبالغة مكشوفة تجاوزت الحد المعقول · ان الشيخ سليمان نفسه ، وهو العالم ، البحاثة ، المتنور ، الذى يعيش فى عصر وفرة الكتاب وازدهاره ، قد لا يملك هذا العدد ولا نصفه ، فى مكتبته المتواضعة ، فى قرية العطف الميزابية ·

أما الوثائق التى هزبها الفرنسيون فى مطلع عام 1962 ، من الجزائر ، فهى وثائق الاستعمار الفرنسى بالجزائر بصورة عامة ، وليست هى كتب الشيخ الحداد ، الفقهية ، والصرفية ، والنحوية ، والبلاغية ، وما شابهها · ولا ينبغى الخلط هكذا فى حقائق التاريخ ، والتراث ·

سابعا : لقد نسب الينا الشيخ سليمان داود بأننا ذكرنا أن من أسباب انتقال بنى حماد من القلعة الى بجاية ، هم زناتة ، ومن اسباب انقراض دولة بنى حماد ، هم

الهلاليون . ثم ذكر أن هذا مخالف تماما للواقع وللتاريخ . واعتمد فى هذا على فقرة قرأها كما ذكر فى الصحف ، دون أن يشير الى اسمائها .

والموضوع الذى يشير اليه عبارة عن محاضرة القيناها فى بجاية يوم 19 ماى 1975 بمناسبة الاسبوع الثقافى الثانى بها ، وقد نشرناها بكاملها فى مجلة الثقافة (10) . ولم نذكر فيها أبدا أن من أسباب انتقال بنى حماد من القلعة الى بجاية ، هم الزناتيون، لاننا لم نبحث هذه الاسباب ، وركزنا فقط على الجوانب الحضارية .

أما اسباب الضعف والانهيار ، فقد استعرضناها فى آخر المحاضرة والمقـــال ، وذكرنا أن ثورات واضطرابات الهلاليين وغاراتهم المتكررة كانت من العوامل الـتى اضعفت الامارة ، الى جانب غارات النورمان ، والصراع بين القبائل المختلفة كزناتة وكتامة ، وهذا صحيح . أما الذين اسقطوا فعلا الامارة فهم الموحدون بزعامة عبد المؤمن الموحدى . فليراجع الشيخ المقال ، وليتعلم ألا ينتقد الا عندما يتأكد من صحة ما يقول، وينشر . ولا يطلق الكلام والنقد هكذا جزافا ، ودون حدود أو مقاييس .

ثامنا : تطوع الشيخ سليمان فاستعرض فى « ملاحظاته وانطباعاته » ما ارتآه أسبابا لثورة 1871 ، ونحن نقول له بأننا بحثنا ودرسنا هذه الاسباب من واقع الوثائق، وليس من عالم الخيال ، وقريبا ان شاء الله سترى النور دراستنا عن هذه الثـــورة ، وسيكون له المجال واسعـا ، وحرا ، ليعلق ، وينتقـد ، بل اننا نقول له هات ما عندك ، واستعمل ما شئت من الاساليب ، فلا يضيرنا ذلك ، وستبقى دائما من أصدقائنا ، وأعزائنا . واننا نطلب منك بصفة رسمية أن تزودنا بما لديك من الوثائق عن ثورة أولاد سيدى الشيخ ، وسى الاعلى ، والشيخ بوعمامة ، وغيرهم من ثوار القرن الماضى لنستفيد منها فى دراساتنا وبحوثنا التاريخية . وسنكون لك من الشاكرين مقدما . وكن عند حدود وعودك . فقد وعدت بانك لا تبخل علينا بها فها نحن نطلب منك ذلك بصفة رسمية .

---

(10) الثقافة ، عدد 36 (الجزائر ، ديسمبر – جانـــفى 1977) ص : 11 – 22 ، والموضوع بعنوان : « ملامح عن قلعة بنى حماد والدولة الحمادية وبجاية » .

الشيخ سليمان وحكاية الشيخ « أمعو » :

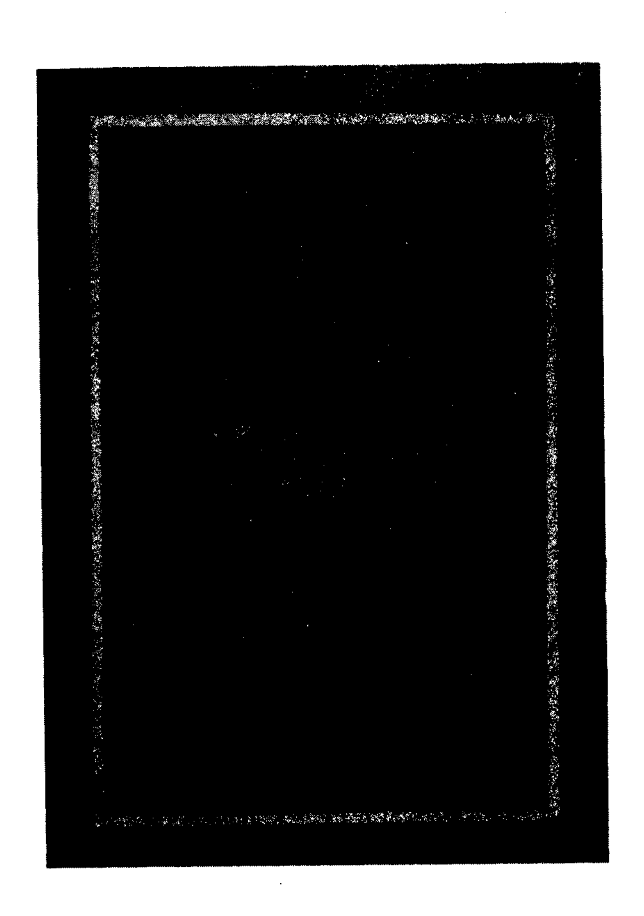
ان السبب الاول والاخير الذى حمل الشيخ سليمان على انتقادنا هو غضبه من نعتنا اياه بعدم المنهجية بعد ملتقى تلمسان ، ويحلو لنا فى هذا المقام أن نورد الفذلكة المضحكة التالية ، وهى قصة واقعية حصلت فى مسقط رأسنا ، وعشنا واقعها عندما حصلت فى عقد الاربعينات . فهناك شيخان مسنان فى قريتنا أحدهما أعمى يدعى عمى الاخضر ، والثانى تاجر يدعى بلقاسم وله دكان يبيع فيه بعض البضائع التجارية خاصة الغذائية ، ولم يكن ذا شخصية قوية فتسلط عليه أطفال القرية وخلعوا عليه لقب : « الشيخ أمعو » لاسباب لا نتذكرها الآن ، وأصبحوا كلما رأوه ، أو مروا على دكانه ، نادوه بهذا الاسم : « الشيخ أمعو » ، ويعنون به صوت القط . فيغضب ويجرى وراءهم بالحجارة ، والعصى .

وذات يوم ذهب الى عمى الاخضر الشيخ ، المسن ، الاعمى ، وكان جالسا فى مكان الجماعة ، وهى الفسحة أو الساحة الكبيرة التى تتوسط القرية ، ويلتقى فيها السكان فى أوقات فراغهم ، للراحة وتداول الكلام ، وقتل الوقت كما يقال ، واشتكى اليه من تصرف الاطفال ، فنظر اليه بسخرية ، وهو لا يبصر كما قلنا ، وضحك ثم قال له : ما دمت تغضب من كلمة « أمعو » فأنا أقول لك : أمعو ، أمعو ، أمعو،وأخذ يرددها فى وجهه حتى كاد ان ينقطع منه النفس .

ونحن نقول للشيخ سليمان ما دام يغضبك قولنا بانك لست منهجيا ، فاننا نقول لك ونعيد : لست منهجيا ، لست منهجيا ، لست منهجيا . ونكرر ما قلته انت فى محاضرتك بأن من غربل الناس نخلوه . وان عدتم عدنا ، والسلام .

منشـــورات

وزارة التعليـم الاصـلى والشؤون الدينيـــة



طفل عمره سبع سنوات يحفظ مائة حديث

أجريت مسابقة مائة حديث نبوى فى يوم 9 ربيع الاول 1397 هـ الموافق لـ 27 ـ 2 ـ 1977 م بمناسبة احياء ذكرى المولد النبوى الشريف التى شارك فيها ما يربو على 300 تلميذ .



كان من ضمن المشاركين الطفل الوجدى عصمت سليم الذى يبلغ من العمر سبع سنوات ، فهو من مواليد 22 ـ 8 ـ 1969 م ، غير أن حداثة سن هذا الطفل لم تمنعه من احتلال الرتبة الاولى بكل جدارة واستحقاق .

لقد تمكن من الالمام بمائة حديث نبوى شريف مع ذكر السند ، ولو كلفناه بحفظ مائتين لحفظها .

واقل ما يقال فى شأنه انه يتمتع بحافظة خارقة للعادة اذهلت المصححين والمشرفين على اجراء المسابقة ، وأبهرت كل من حضر حفل توزيع الجوائز الذى اقيم فى الجامع الكبير بتلمسان .

وبعد ما أفسح المجال للطفل فى بداية الحفل ليقول كلمة : أبى الا ان يلقى على مسامع الحاضرين مجموعة من الاحاديث النبوية الشريفة ، وختمها بآيات من الذكر الحكيم (سورة البقرة) . وهنا لم يتمالك بعض الحاضرين انفسهم فاسرعوا اليه بالعناق

والتقبيل ، معبرين عن فرحتهم ودهشتهم فى آن واحد .

ومن بين الاحاديث النبوية التى ألقاها على مسامع الحاضرين الاحاديث التالية :

1) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) تجد من شرارالناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه . ـ رواه البخارى ـ

2) عن ابى ايوب الانصارى ان رسول الله (ص) قال : لا يحل لرجل ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

ـ رواه البخارى ومسلم ـ

3) عن ابى هريرة (ض) قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار . فقلت يا رسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه . ـ رواه الشيخان وأبو داود والنسائى ـ

4) عن أبى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) : ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب . ـ رواه البخارى ومسلم وابوداود ـ

5) عن ابى هريرة قال : قال رسول الله (ص) : والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شىء ان فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم . ـ رواه مسلم وابوداود والترمذى ـ

6) عن المقدام بن معديكرب قال : قال رسول الله (ص) ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . ـ أخرجه الترميذى وابن ماجه ـ

7) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) : انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم ـ رواه مسلم ـ

8) عن شداد بن أوس (ض) قال : قال رسول الله (ص) : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى .

ـ رواه الترمذى واحمد والحاكم وابن ماجه ـ

9) عن ابن عمر (ض) عنهما قال : نهى النبى (ص) أن يبيع الرجل على بيع أخيه وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب ·

ـ رواه البخارى ـ

10) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) : تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك ·

ـ رواه الجماعة الا الترمذى ـ

11) عن ابن مسعود (ض) قال : قال رسول الله (ص) : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعلية بالصوم فانه له وجاء · ـ رواه الجماعة ـ

12) عن ام حبيبة قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج أربعة أشهر وعشرا ·

ـ رواه البخارى ـ

13) عن ابن عمر (ض) عنهما ان النبى (ص) سمع عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه فقال : ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت ·

ـ رواه البخارى ـ

14) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهلا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ·

ـ رواه البخارى ومسلم ـ

15) عن ابى هريرة (ض) قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا · ـ رواه البخارى ـ

16) عن ابى هريرة (ض) قال : قال رسول الله (ص) : قال الله تعالى : أعـــددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، واقـــرأوا انشئتم : « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعـين » . ـ رواه البخاري ومسلم ـ

17) عن ابى موسى الاشعرى (ض) قال : قال رسول الله (ص) : لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحـم . ـ رواه ابن حبان فى صحيحه ـ

18) عن ابى موسى (ض) أن رسول الله (ص) قال : انما الجليس الصالح والجليـس السوء كحامل المسك ونافخ الكـير ، فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحـا خبيثــا .
ـ رواه البخارى ومسلم ـ

19) عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ض)عنهما أن النبى (ص) قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حـــتى يدعها : اذا أؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجـــر .

ـ رواه البخاري ومسلم ـ

20) عن ابى هريرة (ض) عن رسول الله (ص) قال : الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرأت لما بينهن اذا اجتنبت الكبـائر . ـ رواه مسلم ـ

21) عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ض) ان رسول الله (ص) قال : الدنيا متاع وخير متاعها المـرأة الصـالحة . ـ رواه مسلم والنسائى ـ

22) روى الديلمى فى مسند الفردوس عن انس (ض) ان رسول الله (ص) قـال : أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غدا .

23) روى الطبرانى أن رسول الله (ص) قال : ان افضل الايمان ان تعلم ان اللـه معك حيثمـا كنت .

24) روى ابن حيان فى صحيحه عن ابى ذر الغفارى (ض) قال : اوصا نى خليـــلى بخصال من الخير : ان لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق وان كان مرا.

25 روى أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة (ض) ان رسول الله (ص) قال : مـن

طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، ومن طلبها حراما مكاثرا بها مفاخرا لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان ٠

26) روى ابن ماجة عن سهل بن سعد (ض) ان رسول الله (ص) قال : ان هذا الخير خزائن ولتلك الخزائن مفاتيح ، فطوبى لعبد جعله الله عز وجل مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير ٠

27) روى الامام أحمد (ض) ان رسول الله (ص) قال : الجماعة رحمة والفرقة عذاب ٠

28) روى الطبرانى عن أبى الدرداء (ض) قال : أتى النبى رجل يشكو قسوة قلبه فقال له النبى (ص) اتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك ٠

والطفل الوجدى عصمت سليم من مواليد مدينة تلمسان بتاريخ 69/8/22 م ٠ ينحدر من أب جزائرى متوسط الحال ، يمارس التعليم فى احدى متوسطات المدينة وهو يتابع حاليا دراسته فى احدى المدارس الابتدائية فى قسم السنة الثالثة من التعليم الابتدائى وهو يفرض تفوقة الهائل على اقرانه محتلا على الدوام المرتبة الاولى ٠

وقد سلمنا الى أول المتسابقين فى حفظ الحديث النبوى الشريف الجائزة الاولى والمتمثلة فى ألف دينار وبذلة غير مخيطة ٠

وبفضل تنظيم هذه المسابقة استطعنا اكتشاف موهبة جديدة وصاحب حافظة خارقة ، أملنا أن يحظى بالعناية والرعاية والتربية المتماشية مع ذكائه المتوقد ٠

محمد خليف
مدير الشؤون الدينية بالنيابة
بولاية تلمسان

منشـــورات

وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينيـة



Alors, elle parle cette femme, membre du Secrétariat National de l'Union Nationale des Femmes Algériennes. Et, bien sûr, elle fait l'analyse désormais classique dans les milieux « politiques ».

Elle dit que la femme était moyen, instrument de production dont l'homme était le propriétaire, le maître. Mais que le socialisme résoud tous ces problèmes puisque la production, faite par tous, appartient à tous. Elle dit que c'est à l'intérieur du mode de production capitaliste que la femme, « statue inerte », est devenue « matière commerciale et même image de publicité ». Elle aussi, elle dit que « l'Islam a attribué à la femme la capacité financière, culturelle et sociale ». Mais elle, au moins, se pose la question que tu te poses (à supposer que cette égalité de la femme dans l'Islam soit posée de principe — après tout, on peut toujours interpréter les textes sacrés comme cela vous arrange, les Chrétiens le font bien avec l'Evangile —). Elle se demande : pourquoi un si grand fossé entre les textes juridiques et les réalités bestiales que nous vivons ?

Elle accuse les circonstances sociales, culturelles, économiques et politiques (la colonisation, par exemple). Tu commences à comprendre : que la religion musulmane a servi de ciment à la révolte et à la guerre d'indépendance ; que s'opposer ouvertement à une telle religion serait suicidaire ; que — tactique délibérée ou seule issue inconsciente — il vaut mieux dire que là où les femmes seront libres, là seront les vrais musulmans.

Et puis, cette femme — qui dirige « Al-Djazairia », revue de femmes — se bat avec intelligence et conviction pour que les femmes aient des droits égaux à ceux des hommes, pour leur instruction, pour leur droit au travail. Elle lutte de toutes ses forces pour que la femme soit reconnue « comme force vivante dans l'édification de la civilisation ». Courage : ça bouge en Algérie. C'est cahotique et difficile, mais ça bouge, tu en es sûre. Il y a cette jeune Algérienne qui te glisse à l'oreille que, maintenant, les jeunes filles ne veulent plus se marier, elles savent ce que leurs mères ont subi ; il y a ces jeunes étudiantes, timides mais décidées, qui montent à la tribune pour dire leurs inquiétudes, leurs espoirs. Oh, bien sûr, il n'y a rien qui ressemble à un mouvement de femmes, au sens où nous l'entendons en Occident. Mais pourquoi suivraient-elles des chemins semblables aux nôtres ? Tu voudrais, au contraire, apprendre d'elles, les écouter, les revoir plus longuement. Pourvu que ce bouillonnement que tu as senti continue... Ça bouge, en Algérie.

Un jour que tu étouffes dans les palabres et les discours savants, tu te sauves un peu dans le désert. Là, dans un village, auprès du point d'eau, tu rencontres des femmes. Elles te sourient, te touchent la main. Elles t'invitent, par gestes, à entrer dans leur maison. Elles fouillent au fond du sac qui leur sert d'armoire, elles en sortent un flacon de parfum et elles imprègnent ta peau de ses senteurs sucrées, fortes... Nous nous sourions. Femmes de tous les pays, unissez-vous !

Xavière Gauthier

en ont plus que toi, de droits... Ah, bon. Mais, le voile ? Voyons, le voile n'a pas été prescrit par le Saint Prophète, c'est une coutume tardive. Mais, la polygamie ? Oh, un détail, à peine une permission puisque le Prophète a dit aux hommes : si vous craignez de ne pas faire régner la justice entre vos femmes, n'en prenez qu'une... ! Il a dit aussi de bien les *traiter,* d'être bon avec elles (et avec les animaux, que tu ajoutes). D'ailleurs, avant l'Islam, c'était horrible, on enterrait les femmes vivantes. Depuis, on se contente de les noyer. Et maintenant, juste après que toi, tu ais parlé des sorcières, un homme monte à la tribune et dit : « Non, la femme qui détruit la famille, il ne faut pas la jeter à l'eau, il faut la brûler ». Et alors, un tonner d'applaudissements monte, très exactement d'une moitié de la salle... celle réservée aux étudiants mâles !

Dans le fouillis général, tu essaies de retenir quelque chose. Tu notes qu'en Turquie, depuis 1917, un décret nécessite le consentement de la femme pour que son mari puisse se marier une seconde fois, que c'est un état laïque, que la Shari'ah a été abandonnée. La Shari'ah, c'est ce qui régit le monde musulman et qui stipule, par exemple, que, pour les droits de succession, la fille a la moitié de la part dévolue au fils et que le témoignage d'un homme équivaut à celui de deux femmes. Tu notes qu'en Italie, depuis 1975, la femme en se mariant ne prend pas obligatoirement le nom de son époux mais que des milliers de femmes font, au noir, à domicile, un travail sous-payé. Tu apprends du Japonais qu'en Suède l'homme et la femme ont les mêmes obligations concernant les tâches domestiques et que des subventions sont accordées aux employeurs qui encouragent les femmes à travailler dans des domaines traditionnellement réservés aux hommes. Tu notes qu'au Pakistan, on ne peut épouser une seconde femme sans l'autorisation de la première et la Pakistanaise te dit que le code égyptien reconnaît le divorce par consentement mutuel et que les Egyptiennes ont droit de vote depuis 1956.

Comment t-y retrouver dans ce fatras ? Au moins, une chose est claire, c'est l'adage tunisien : « La femme est bête (*de somme*) le jour, belle la nuit » (1). Et celui-ci : « Ne la frappe que lorsque tu l'auras attachée ». Et puis, Dieu a fait la femme « pour qu'elle le *serve* et qu'elle *lui donne* des enfants ». Sa « mission originelle », sa « vocation première, c'est la sauvegarde de la famille ». Quel plus beau destin peux-tu rêver ? La femme, dit le respectable cheikh, est une « usine à produire ». Tu t'énerves, à la fin. Tu causes dans les micros. Tu dis : « Vous lui faites trop d'honneur. Elle n'est pas une usine, elle est seulement l'ouvrier dont le travail est exploité par le patron-mari. Marx a dit que dans un couple, l'homme est le bourgeois, la femme est le prolétaire. Je pense que, ici, dans un pays socialiste, tout le monde le sait ».

Justement, du socialisme, une femme en parle. Une Algérienne. Elle, tu l'écoutes avec attention. C'est une sœur. Une combattante du F.L.N. — et il faut que tu dises aussi comme tu es touchée de cet accueil chaleureux, ouvert, vivant, merveilleux que t'offrent les Algériens, à toi, Française, si peu d'années après la guerre. Tu es vraiment émue d'une telle délicatesse, d'une telle richesse d'esprit —

(1) Cheikh Sadek Bseyes, professeur à la faculté Zaïtouna de Tunis :

« LA FEMME APRES L'ANNEE DE LA FEMME »

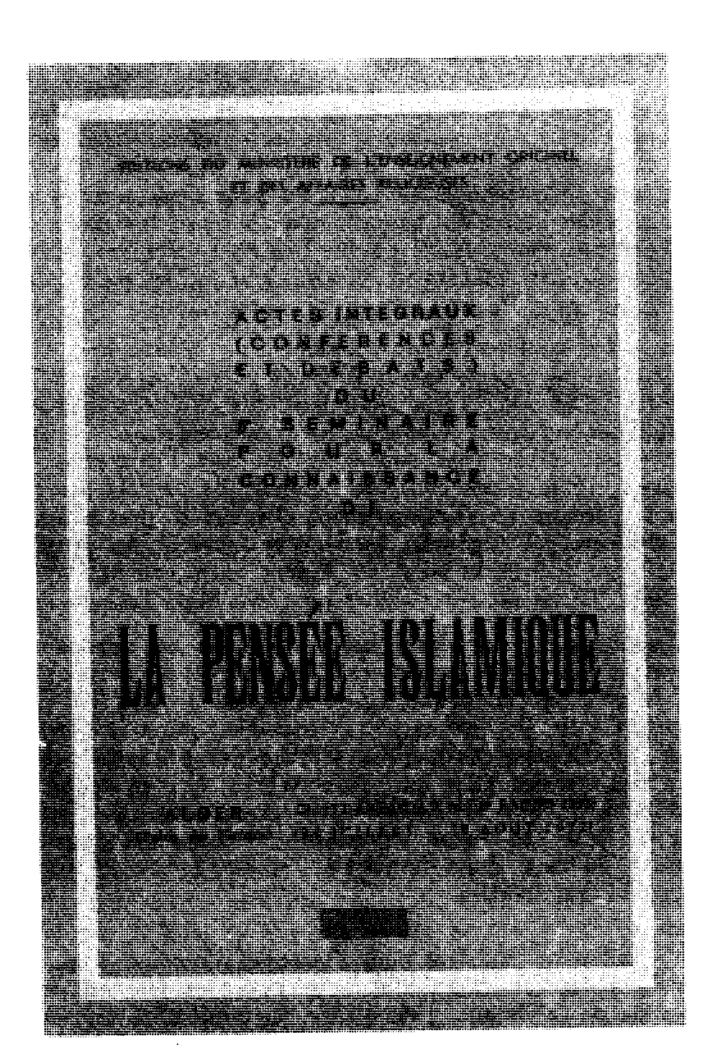
Un thème du XIe Séminaire de la Pensée Islamique
par Xaxière Gauthier, rédactrice en chef de la revue « Les Sorcières » (Paris)

Tu es troublée. Tu t'interroges. Tu les as découvertes, là, massées dans un coin. Tout au long de la traversée du village socialiste, village modèle, les hommes heureux, tapant dans leurs mains, les garçons des écoles, criant, nous accueillant. Et puis, guidée par les « you-you », tu les as découvertes, drapées dans leurs voiles, les petits agrippés à leurs bras. Tu vas vers elles. Tu souris. D'un seul élan, elles se précipitent pour te tenir la main, pour t'embrasser la main. Pourquoi ? Tu leur parles. Elles ne parlent pas. En riant, la jeune fille lâche son voile, qu'elle tenait serré entre ses dents. Elle est belle. Elle dit : « ferme la bouche » et réajuste son voile entre ses dents, cachant son visage. Ce seront les seules paroles prononcées.

Mais, à l'intérieur du XIe Séminaire de la Pensée Islamique, des paroles, oui, il y en a. Les conférences se succèdent à un rythme fou. Tu écoutes. Tu ne comprends pas grand chose aux subtilités des dynasties Rostomides. Pourtant, tu comprends que le Saoudien déclare la guerre aux chrétiens, aux juifs, aux communistes et aux francs-maçons et que le vieux Yéménite, ex-ministre de la justice, fait tournoyer son sabre pour couper la tête aux incroyants... et aux femmes. Tu bouillonnes. Tu te tasses dans ton fauteuil. Tu ne dois pas oublier que tu es invitée par le ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses de l'Algérie. D'ailleurs, les Algériens, le ministre sahraoui, les progressistes, montent à la tribune pour mettre le hola. Ils règlent leurs comptes politiques par Dieu interposé. Bien. Tu ne vas pas t'affoler pour des Mgrs Lefèvre locaux...

Mais, voilà qu'il s'agit des femmes et, là, tu en entends de toutes sortes. Ce que tu ne savais pas avant de venir ici, ce que tu n'avais pas bien compris, c'est que l'Islam libère la femme. Ça te surprend un peu ? C'est que tu n'avais pas bien lu le Coran. Il y est écrit, par exemple, que « le paradis est aux pieds des mamans »... Et dans les hadiths, le Prophète proclame : « Dieu a créé de vous-mêmes des épouses pour que vous puissiez être en repos auprès d'elles ». Alors, tout va bien. Non ? Tu n'es pas encore contente d'avoir été créée par l'homme pour être son repos de guerrier ? Mais qu'est-ce qu'il te faut ? Malheureuse ! Tu veux donc détruire la famille, la société et faire courir à sa perte l'humanité tout entière.

Ne sais-tu pas (*c'est un Américain que te le dit*) que la libération de la femme — « tentative délibérée pour émasculer l'homme et priver la femme de ses attributs qui l'ont si gracieusement distinguée de l'homme » — engendre les divorces, l'abus de la drogue, l'alcoolisme, la criminalité (assassinats, viols...), le relâchement des mœurs et les épidémies de maladies vénériennes. Ne sais-tu pas (*c'est un Soudanais qui te le dit*) qu'en Occident les femmes émancipées se tordent, à demi-nues, sur les trottoirs, dans le stupre et la débauche. Tu as l'air de quoi, à lutter pied à pied pour tes droits ? Ne sais-tu pas (*c'est une Française — convertie à l'Islam ! — qui te le dit*) qu'il y a belle lurette que les Musulmanes


ACTES INTEGRAUX
(CONFERENCES
ET DEBATS)
DU
SEMINAIRE
POUR LA
CONNAISSANCE
DE
LA PENSÉE ISLAMIQUE

en 5 Tomes

Le dernier sujet permettait de savoir si les richesses souterraines sont un avantage ou un inconvénient. Le problème était examiné par cinq communications. Le professeur de géographie, d'origine turque, de l'Université d'Alger, le docteur Djilali Sari, a démontré par sa communication que ces richesses exploitées d'une façon productive deviendront une bénédiction pour les pays islamiques où ces richesses sont en train de se développer.

Le Séminaire a duré dix jours et a accepté à l'unanimité les décisions présentées par les commissions et a décidé de se réunir dans la ville de Batna la prochaine fois. Dans la séance de clôture, le discours en arabe portant sur l'éducation religieuse en Turquie, fait par le docteur Ali Aydin a laissé une impression très positive.

Au cours du Séminaire, deux voyages ont été organisés aux alentours de la ville de Ouargla. Le premier consistait à visiter Hassi-Messaoud, qui est l'une des principales régions pétrolières de l'Algérie, et la ville de Touggourt, où est née la secte « Ticani ». Le second voyage nous a amené à la ville de Ghardaïa, centre des Kharidjites. La ville de Ouargla où a été organisé le Séminaire et qui a une population d'environ 60.000 habitants, est intéressante grâce à ses mosquées et maisons anciennes, son vieux marché face aux établissements modernes, ses écoles et son musée Sahara.

J'exprime toute ma reconnaissance à Monsieur le ministre algérien de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, de grande culture et de personnalité dynamique, Mevlud Kacem, pour l'amitié et l'accueil qu'il a montré à la délégation turque, et j'exprime mes remerciements à l'ambassadeur Faik Melek, qui a eu la courtoisie de nous inviter à déjeuner à l'ambassade turque pendant notre récent séjour à Alger et à Husnu Kuran, premier secrétaire de l'ambassade, et son épouse qui nous ont donné la possibilité de voir les œuvres de la ville restée du temps des turcs.

De la Turquie ont participé le docteur Suleyman Ates, président des Affaires Religieuses ; le docteur Ali Aydin, représentant du Conseil Supérieur des Affaires Religieuses ; l'épouse de notre président du Sénat, Mme P. Ariburun ; le docteur Emel Esin, membre de l'Institut de Recherche de la Culture turque et l'auteur de cet article. D'autre part, le professeur de langue persane à l'Université d'Ataturk, le docteur Saime Inal, accompagnée de son époux le docteur Sawi de l'Université de Téhéran et une délégation de trois personnes présidée par le mufti Abdulgani Abdullah de l'Union Soviétique ont également participé au Séminaire.

Les travaux ont été inaugurés par le discours du ministre algérien de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, Mevlud Kacem. Le secrétaire général de la Conférence des Pays Islamiques Amadu Kerim Gaye, était aussi présent à la cérémonie d'ouverture.

Pour le premier sujet examiné, l'histoire des Rustemi, sept communications ont été lues et discutées. Nous n'allons pas nous étendre sur ces communications qui ont surtout une importance régionale.

Le second sujet, c'est-à-dire, l'Islam en Afrique, était intéressant. Pour ce sujet, cinq communications ont été lues et qui ont donné le nombre de Musulmans dans chaque pays africain en examinant leur situation politique, sociale et économique. On s'est surtout penché sur le danger qui menace l'Islam en Afrique devant les activités des missionnaires chrétiens.

Le sujet auquel on a attaché le plus d'importance au Séminaire était le troisième : la femme après l'année de la femme. En effet, vingt et un des trente huit communications qui ont été soumises au séminaire portaient sur les droits de la femme. Les communications des Turcs traitaient également ce sujet.

Dans sa communication en français, intitulée « la femme turque, héritière des traditions nationales et islamiques », le docteur Emel Esin, a dégagé l'activité de la femme turque dans les domaines de l'art, de la littérature, de la science et de la politique au cours de la période avant l'Islam et la période islamique, en se basant sur des preuves solides. Quant à Madame P. Ariburun, dans sa communication en anglais, qui a pour titre « la femme turque et les décisions de la Conférence de Mexico », après avoir parlé des droits obtenus par la femme turque grâce aux réformes d'Ataturk, elle a annoncé les propositions que les associations des femmes turques ont décidé d'apporter à la conférence qui se réunira à Mexico, au cours de leur séminaire d'Ankara qui a eu lieu du 5 au 8 décembre 1975. Moi-même, dans ma communication en français intitulée « le développement des droits des femmes en Turquie », j'ai essayé de résumer, dans le cadre de l'histoire, les droits obtenus par la femme turque de la Réforme (Tanzimat) jusqu'à nos jours.

Les communications de la délégation turque ont été écoutées avec intérêt par ceux qui ont participé au séminaire et ont suscité plusieurs questions. Il a été dégagé que, dans le monde islamique, la femme turque est celle qui possède le plus de droits.

LE 11 SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

(OUARGLA, 6 - 15 FEVRIER 1977)

Traduction d'un article écrit par le professeur Ercumend
Professeur à KURAN
et paru dans la Revue Mensuelle de la Culture Turque du 11 *avril* 1977

Le Séminaire sur la Pensée Islamique qui se tient depuis 1967, tous les ans dans une ville algérienne, a eu lieu cette année dans la ville de Ouargla, située dans le Grand Sahara, à 800 km de la mer. A ces séminaires qui sont organisés pour apporter des solutions aux problèmes actuels que rencontre le monde islamique sous la lumière de la science en examinant la pensée islamique de tous ses côtés, des spécialistes de tous les coins du monde sont invités à la lecture et aux discussions des communications. Les étudiants algériens de l'Enseignement Supérieur et Secondaire assistent au Séminaire et peuvent poser des questions aux conférenciers.

A ces séminaires, organisés par le Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses de l'Etat algérien, la presse locale publie de nombreux articles au sujet du Séminaire. Le peuple algérien peut donc suivre son déroulement par la voie de la presse parlée et écrite.

Les sujets inscrits à l'ordre du jour du Séminaire de cette année sont les suivants :

1) Les services rendus à la pensée et la civilisation islamiques par les « Rustemi » qui dominaient la région d'Ouargla pendent les VIII^{e}-X^{e} siècles.

2) L'Islam dans l'Afrique actuelle.

3) La femme après l'année de la femme.

4) Les richesses souterraines sont-elles un avantage ou un inconvénient ?

Environ 200 hommes de science, de religion et d'Etat et des journalistes de 27 pays différents ont participé au XI^{e} Séminaire sur la Pensée Islamique, et parmi lesquels, il y avait des personnalités connues comme le professeur W. Montgomery-Watt (Edinbourgh), le professeur Charles Geddes (Denver), le professeur Abdelkrim Saitoh (Tokyo), le professeur C. Sarnelli (Napoli), le professeur W. Al Kadi (Beyrouth), le docteur M. Rachidi (Djakarta, ancien ambassadeur), cheikh Chamahi (ancien ministre, Sana), le docteur Ismaïl Balic (Vienne).

Moins que jamais on pouvait s'attendre à un accord sur ce thème ; les traditions historiques et les réalités sociaux-culturelles actuelles des divers pays du monde arabo-islamique ou d'autres civilisations étant trop diverses et chacune devant être considérée et respectée dans sa spécifité et dans son rythme de développement.

Négligé par rapport aux autres. le quatrième thème du Séminaire (« Les ressources du sous-sol sont-elles un avantage ou une malédiction ? ») touchait surtout d'une manière très proche les pays arabes producteurs de pétrole, dont l'Algérie. Le lieu même du Séminaire, à une centaine de kilomètres du grand bassin pétrolier de Hassi Messaoud, invitait à considérer les conséquences positives ou négatives que l'exploitation des ressources naturelles comporte pour les pays qui les possède. Dans cette perspective, dans des termes politico-économiques concrets, s'est développé, plus que tout autre, la conférence de Mohammed Ali Sabri (1). Dans le débat, on n'a pas manqué de signaler, de façon opportune, l'épuisement prévisible des ressources minières, et surtout pétrolières, et donc de la nécessité d'utiliser sagement les produits dérivés et de penser dans l'immédiat aux alternatives futures.

Chaque réunion du Séminaire est convoquée dans une ville algérienne différente, de l'est ou de l'ouest de la région côtière ou de l'intérieur, et ceci est la signification et la concrétisation d'un désir précis de ses promoteurs, que le Séminaire ne soit pas uniquement une rencontre et une discussion d'un groupe d'intellectuels, mais qu'il devienne l'occasion de participation et un stimulant pour tout le pays et en particulier pour la jeunesse dont le Séminaire cherche à se rapprocher, tour à tour dans telle localité (les interventions du Séminaire sont amplement diffusées dans la ville à travers des hauts-parleurs).

Pour les participants (aussi bien pour les étudiants algériens que pour les hôtes étrangers), le Séminaire est aussi une occasion de connaître des villes et des régions nouvelles de ce vaste et varié pays qu'est l'Algérie. De Ouargla, qui a changé son aspect de ville perdue saharienne en un chef-lieu de wilaya (préfecture) actif et organisé, on peut admirer le développement exceptionnel de la construction et de l'urbanisme, déjà réalisé ou en voie d'exécution, résultat du programme établi par le gouvernement dans la réunion qui s'est tenue en novembre 1966 dans cette même ville saharienne (2).

Par leur position et leur modalités de développement, les Séminaires sur la Pensée Islamique, dans la problématique entre leur volonté sincère de rester fidèles aux traditions islamiques et leur engagement décisif à s'adapter aux exigences du monde contemporain, sont, au fond, un moment dans le chemin fatiguant, mais sûr, que l'Algérie parcourt actuellement vers un réel progrès économico-social.

Salvatore Bono
Professeur d'Histoire moderne et contemporaine
à l'Université Perugia (Rome)

(1) Ancien directeur des recherches minières en Syrie et actuellement directeur de l'Agence CESI à Rome.
(2) Le premier des programmes spéciaux destinés à la lutte contre les disparités régionales.

— première formation autonome dans l'Islam maghribin — entre les VIII[e] et X[e] siècles, d'abord à Tihert (Tiaret), et ensuite à Ouargla, précisément dans le site archéologique actuel de Sedrata. Les conférences, surtout en ce qui concerne les arguments spécifiques, ont, dans leur ensemble, jeté une nouvelle lumière sur l'Etat et la société des Rustomides, négligés par la tradition historiographe musulmane à cause de leur caractère hétérodoxe.

« L'Islam en Afrique aujourd'hui » était le deuxième thème, sans aucun doute thème très ample et de vif intérêt. Les conférenciers, en particulier l'Egyptien Mohammed Abdallah Inan, ont avant tout tracé un aperçu de la situation, soit en termes numériques (pourcentage de musulmans etc...), soit sur les conditions dans lesquelles se trouve la religion islamique dans chaque pays. Bien que le thème fut centré sur l'actualité, les considérations historiques n'ont pas manqué, en particulier avec l'accusation portée au colonialisme européen d'avoir favorisé (mais ceci est discutable dans beaucoup de cas) l'évangélisation aux dépens du prosélytisme musulman

Quelques-uns — et spécialement le saoudien Abdelhalim Aouis — ont fortement mis l'accent sur le rapport, vu surtout en termes concurrentiels, entre l'Islam et le Christianisme, et ainsi on n'a pas donné une place assez large (plus proche de ce point de vue a été l'Anglais Montgomery Watt) à l'examen de la possibilité intrinsèque et de la capacité, qui n'est pas entièrement négligeable, de l'Islam de s'étendre et de s'adapter au sein de quelques sociétés africaines.

En tenant compte du débat très intense à travers le monde sur la situation de la femme dans la société d'aujourd'hui, et pour répondre aux sollicitations des jeunes, le ministre Mouloud Kassim NAIT BELKACEM — comme il y avait fait allusion dans le discours d'inauguration du Séminaire — a proposé parmi les thèmes celui de « La femme après l'Année de la femme », question qui, avec une vingtaine de conférences sur quarante, a effectivement prédominé. Des voix diverses se sont fait entendre. D'un côté celle des revendications belliqueuses de la libération et de la primauté de la femme (Xavière Gauthier (Paris) a intitulé sa conférence « Nous, les sorcières»),ou d'une invitation paisible à un nouveau rapport homme-femme, guidé par l'amour et l'affection, ainsi la conférence d'une autre Française, France Quéré (Paris) ou encore d'une affirmation consciente de la place que la femme a atteinte dans chaque société, et donc également des droits qui doivent lui être reconnus (très engagée la conférence de l'Algérienne Zhor Unissi). D'un autre côté les conférences d'une manière plus conservative ou illuminée et ouverte à l'évolution des temps (dont le professeur libyen Omar at-Tumi Shibani). Un groupe de conférences, plutôt que de traiter la question en termes abstraits, théologiques - moraux ou sociologiques - culturels, a illustré l'évolution concrète de la position de la femme et les positions conquises par elle dans telle ou telle société ; Clelia Sarnelli Cerqua (1), par exemple, a fait allusion à la situation de la femme en Italie.

Le grand nombre d'interventions dans le débat, ainsi que leur vivacité, a contribué à rendre proéminent, dans le sein de ce XI[e] Séminaire, le thème de la femme, signe que ce problème est très ressenti aussi en dehors du monde occidental.

---

(1) Professeur à l'Université de Naples.

11[e] SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE EN ALGERIE

Article publié dans l'organe du Vatican, l'Osservatore Romano en date du 7-8 mars 1977, par Monsieur le docteur Salvatore Bono, professeur d'Histoire moderne et contemporaine à l'Université Perugia - Rome — sous le titre :

L'ISLAM ET LE MONDE CONTEMPORAIN

Notre envoyé spécial

A la place croissante que les pays arabes — en particulier les pays pétroliers — occupent sur la scène mondiale, correspond, dans le monde arabe, une prise de conscience toujours plus approfondie de sa propre tradition religieuse et culturelle et de la nécessité que cette culture fournisse les réponses adéquates aux problèmes de la société contemporaine. Dans cette tâche de confrontation et de discussion, non seulement à l'intérieur de la culture islamique mais également avec des représentants d'autres religions et cultures, s'inscrivent les Séminaires sur la Pensée Islamique, organisés annuellement depuis 1967 par le ministère (algérien) de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, sous la présidence directe de l'actif et infatigable ministre Mouloud Kassim NAIT BELKACEM.

Au 11[e] Séminaire qui s'est tenu durant la première quinzaine de février dans la ville de Ouargla, ont participé — comme d'habitude — des représentants des pays et des communautés islamiques du monde entier, et non seulement des pays arabes ; cette année, il y avait entre autres, des représentants du Mali et du Japon, de l'Union Soviétique et de l'Ile Maurice. Cette participation variée est, d'un côté, l'attestation concrète de l'extension, et donc de la force de l'Islam, religion qui s'exprime dans des formes culturelles autres qu'arabes, et, par ailleurs, à l'intérieur même de cette culture arabe se confrontent non seulement les traditions des divers courants exégétiques, mais aussi les évolutions historico-sociales différentes d'un pays à l'autre.

Le caractère spécifique de ces séminaires est la présence d'un milier d'étudiants algériens (universitaires et des dernières années de lycée, venant de toutes les parties du pays), autorisés à poser des questions aux conférenciers ; cette ouverture aux jeunes — qui suivent les travaux avec une assiduité et une participation digne d'éloges — est un mérite, et non d'ordre secondaire, de l'initiative.

Le premier des thèmes pré-choisis pour chaque séminaire est de caractère historique et concerne généralement la ville ou la région dans laquelle le séminaire se déroule. Cette année, on a parlé de la dynastie des Rustomides d'origine iranienne et de confession kharigite, qui sont arrivés en Algérie

D. Cowon, de l'Université de Londres et le docteur Sabri, de Syrie, avaient choisi ce sujet.

Lors du Séminaire, des visites étaient organisées dans des centres de pétrole comme Hassi-Messaoud et dans les anciennes villes des oasis du Sahara comme Ghardaïa, Touggourt, Sadrata. Sur invitation du wali, on nous a présenté des danses religieuses, exécutées par des Berbères, accompagnées de castagnettes et de grosses caisses.

Nous avons vu à l'exposition de dessins et de livres ouverte à la wilaya de Ouargla, des photographies des œuvres d'architecture de la période turque en Algérie et des dessins arrachés aux écrits arabes du XIX[e] siècle. Sur ces dessins étaient exposés des paysages d'Istanbul, de la première entrée du sultan Fatih Mehmet sur son cheval blanc à Istanbul, les guerres saintes du pacha Barbaros Hayrettine (Kheireddine) et le héros algérien Abdelkader (1808-83).

LES TURCS SONT ARRIVES

Les membres musulmans qui ont participé au Séminaire étaient invités à la prière du Vendredi à la petite mosquée de Ouargla. A l'intérieur de cette mosquée, derrière un mur plus petit que la taille d'un homme, les femmes aussi participaient à la prière. Suivant les traditions de la secte maliki, comme dans les premiers temps de l'Islam, la prière du Vendredi, a été faite dans la mosquée dénuée de toute parure. Ensuite, nous les Turcs, nous avons eu l'occasion de faire connaissance avec les Algériens. Ces derniers, grands et petits, nous ont accueilli chaleureusement.

nationale. Parmi les étudiants avec lesquels j'ai parlé, il y avait aussi ceux qui étaient d'origine turque. Mais il faut dire que des jeunes algériens d'origine arabe ou berbère s'intéressaient autant que les premiers à l'histoire turque.

D'après ce que j'ai appris de notre ambassadeur en Algérie, Monseiur Faiz Melek, il y avait une chaire d'histoire de la civilisation turque à l'Université d'Alger, mais elle a été supprimée, faute de professeurs. La jeunesse qui désire se renseigner sur les Turcs s'adressent actuellement aux œuvres de l'historien algérien sur les Ottomans, Monsieur Tewfik al-Madani. Madame F. Hellal, de l'Université d'Alger, prépare une étude sur le dialecte turc des Algériens d'origine turque.

LA COMMUNICATION DU PROFESSEUR E. KURAN

Le professeur E. Kuran, de l'Université de Hacettepe à Ankara, a fait un discours sur le développement des droits de la femme en Turquie depuis le XIXe siècle, en tant que spécialiste de l'histoire ottomane. Le professeur Kuran avait déjà participé aux séminaires sur la pensée islamique. Une de ses œuvres a été traduite en arabe et publiée en Algérie. La communication de Monsieur Kuran, qui connait bien l'Algérie, a éveillé un grand intérêt.

Ancien députée et juriste, Madame P. Ariburun a donné au séminaire les renseignements utiles du point de vue juridique sur la femme turque moderne. Elle a analysé la situation juridique de la femme turque d'aujourd'hui sous la lumière de la conférence de Mexico de 1975 sur les droits de la femme. Cette communication a été d'un grand intérêt pour les séminaristes.

Madame S. Inal, de l'Université d'Erzurum, a également donné son point de vue sur le même problème.

LES ALGERIENS NOUS ONT ACCUEILLI CHALEUREUSEMENT

Les autres discussions :

Au sujet des « droits de la femme », les séminaristes suivants ont pris la parole : Madame E. de Vitray-Meyerovitch, membre, en France, du Centre National de Recherches Scientifiques et professeur de philosophie à la Faculté de jeunes filles de l'Université d'Al-Azhar au Caire ; Madame F. Mallet, journaliste française ; Madame F. Sarka, une Allemande musulmane qui travaille à Munich dans un centre islamique ; le professeur Lakhal Benhawa, juriste algérien ; le professeur A. Saitoh, de l'Université de Tokyo (il est musulman) ; Madame C. Sarnelli Cerqua, de l'Institut Oriental de l'Université de Naples.

LES RESSOURCES DU SOUS-SOL SONT-ELLES UN BIENFAIT OU UN POIDS ?

Le quatrième et dernier sujet proposé au 11e Séminaire sur la Pensée Islamique était le suivant : « Les richesses du sous-sol sont-elles un bienfait ou un poids ? ». Cinq communications seulement ont été données sur ce sujet. Le docteur Sari, de l'Université d'Alger ; le docteur AS-SAOUI, de l'Université de Téhéran ; le docteur M. Rasidi, des écrivains indonésiens ; le docteur

a) l'activité de la femme turque avant l'Islam dans la société pouvant s'élever jusqu'à recevoir le titre de souveraineté,

b) certains droits juridiques reconnus par l'Islam à la femme peut-être pour la première fois dans le monde,

c) la personnalité courageuse et dévouée de la paysanne turque, des poètes, des « souveraines », des savantes qui se sont élevées par les femmes turques musulmanes.

Le débat sur ma communication a commencé par les réflexions du docteur I. Balic, appartenant à la délégation autrichienne, musulman de la Bosnie Herzégovine, du « mufti » abdul Gani Abdullah, écrivain de revue juridique et Président Islamique de l'URSS. Ces deux personnes ont apporté des suppléments précieux aux renseignements que j'avais donnés sur la femme turque. Le savant de Tachkent a entretemps fait remarquer que certaines femmes du Turkistan, de la secte Hanefi, sont devenues également *kaddi* comme les femmes-professeurs turques. Le docteur Rabah Turki, qui est un Turc algérien, a attiré l'attention sur la contradiction entre mes paroles et le fait que les Ottomanes se soient détournées de l'Islam à partir du XIX[e] siècle.

LE PROBLEME DE LA REFORME

On comprend que des hésitations se trouvent au cœur des Algériens à propos de la Réforme. Devant ces questions répétées, j'ai senti le besoin inévitable d'expliquer les oppressions lourdes qui ont pesé sur l'empire ottoman du XIX[e] siècle. J'ai essayé de faire un tableau des pressions qui ont provoqué la Réforme en essayant de me souvenir du droit international et de l'histoire diplomatique que l'on m'avait enseigné au cours de mes études politiques.

L'empire ottoman, durant sa période la plus forte, avait reconnu aux minorités non-musulmanes et aux ressortissants des pays chrétiens vivant en Turquie de larges droits au nom de la promesse du Prophète islamique qui avait promis aux non-musulmans vivant chez les Musulmans une liberté de conscience.

COMMENT ELEVER LA CONSCIENCE DE LA CULTURE NATIONALE ?

J'ai rappelé par la suite que ces droits avaient été utilisés pour détruire notre Etat, que les « capitulations » avaient été transformées par les étrangers de façon à être nuisibles pour l'empire ottoman, qu'ils ont provoqué les ressortissants musulmans et non-musulmans au soulèvement et qu'ils ont tout fait pour partager les biens de l'empire ottoman. J'ai ajouté que la Turquie, en demandant la suppression des capitulations aux accords de Lausanne, n'a pas seulement considéré le droit de la Turquie mais aussi celui des pays musulmans héritiers de l'empire ottoman.

L'une des questions des étudiants était très intéressante. Une étudiante demandait comment il fallait élever la conscience de la culture nationale de la femme algérienne. A cette occasion, j'ai donné mon opinion sur la nécessité d'enseigner d'une façon continue dans toute les écoles l'histoire de la culture

de l'Université de Melbourne (Australien musulman), un écrivain du Caire, le docteur M. Diab, le docteur A. Diop, de l'Association des Ecrivains du Sénégal ; le ministre de l'Information de la République du Sahara s'est plaint du fait que le Maroc n'accorde pas l'indépendance au peuple sahraoui.

L'ANNEE DE LA FEMME ET LES DROITS DES FEMMES

Le troisième sujet qui a été proposé au 11e Séminaire sur la Pensée Islamique a pour titre « l'année de la femme et les droits des femmes », qui a été le sujet d'un très grand nombre de communications. Les deux premières communications ont été données par le professeur L. Geddes, de l'Université de Denver - Colorado, et par Madame Unissi, membre de la délégation de direction de l'Union Nationale des Femmes Algériennes. Madame F. QUERE, qui est une journaliste française, a émis les vœux des femmes françaises. Le docteur Pervin Sevket Ali, de l'Université de Lahore au Pakistan, a expliqué dans sa communication les effets positifs de la conférence de Mexico de 1975 sur les droits des femmes au Pakistan.

Les théologiens musulmans ont commenté le problème des droits des femmes sous la lumière des versets du Coran. Les théologiens suivants ont pris la parole : le docteur E. Daim de l'Université de Khartoum (Soudan), le docteur O. Sibani de l'Université Al-Fatih en Libye, M. S. Besseyes de la Faculté Zeytunia en Tunisie et le docteur M. Al-Buti, professeur à la Faculté du Cheriat Islamique de Damas. Notre président des Affaires Religieuses, le docteur Suleyman Ates, a rappelé les versets et les paroles de Mohammed qui parlent avec amour de la femme et en particulier de la mère, dans son discours qu'il a fait en arabe.

L'ANNEE DE LA FEMME ET LES TURCS

Le docteur S. Hunke, qui est un écrivain ouest-allemande, a employé des expressions ouvertes à certaines interprétations incorrectes en essayant d'expliquer qu'au début de l'Islam, on respectait les droits des femmes. Les paroles douteuses sur la nature de la révélation du Coran et les comparaisons entre l'amour divin et l'amour métaphorique de Madame Hunke ont été trouvées de nature à offenser les sentiments islamiques. D'autre part, elle m'a obligé à la corriger en commettant une faute historique comme celle de considérer les Turcs et les Mongoles comme responsables de la menace graduelle des droits de la femme dans le monde islamique. Contrairement à ce qui est avancé par le docteur Hunke, même après l'Islam, les femmes turques et mongoles possédaient des droits plus larges par rapport aux autres. Et même le titre de souverain accordé aux femmes turques éveillait l'étonnement dans les autres milieux du monde islamique.

Le sujet de ma communication n'était pas la femme turque moderne en raison de la limitation de mes recherches au cadre historique de la culture médiévale en particulier depuis quelques années. Ma communication intitulée « la femme turque, héritière des traditions islamiques et nationales » était conçue comme une introduction historique aux communications de mes confrères turcs, le professeur E. Kuran et Madame P. Ariburun, qui portaient sur la femme turque moderne ; cela était ainsi accepté par la Direction du Séminaire. J'avais divisé le sujet en 3 parties principales :

la plus ancienne source connue sur la vie du Prophète. Il y a l'espoir de trouver dans le texte de Ibn Ishak de nouveaux renseignements sur la vie du Prophète de l'Islam.

Nous avons déjà signalé que le premier des sujets qui a été communiqué au 11e Séminaire sur la Pensée Islamique est la culture ibazi-rustomi. La première communication portant sur ce sujet a été donnée par le cheikh Suleyman Davud Yusuf. Les autres personnes qui ont demandé la parole après lui sont : docteur A. An-Nami (Libye) de l'Université de Michigan ; docteur I. Abbas (Palestine) de l'Université de Princeton ; docteur I. Fekkhar (Algérien) de l'Université d'Oran ; le professeur W. Al-Kadi (Libanaise) de l'Université de Harvard ; le docteur M. Viguera (Espagnole) de l'Université de Compostelle ; le docteur S. Nogales (Espagnol) de l'Institut des Recherches Culturelles arabo-espagnoles de Madrid .

L'ISLAMISME DANS L'AFRIQUE D'AUJOURD'HUI

Le second sujet proposé au 11e Séminaire sur la Pensée Islamique était : l'Islam dans l'Afrique d'aujourd'hui. Le premier discours à ce sujet a été fait par le professeur M. Inan, de l'Académie de la langue arabe au Caire. Le professeur Inan et le docteur A. Auis de l'Université de Riyad en Arabie Saoudite ont signalé les activités des missionnaires chrétiens et des communistes en tant que les premiers rivaux rencontrés par l'Islam en Afrique. Le docteur M. Watt, de l'Université d'Edinburgh, a déclaré que les Musulmans ont beaucoup à apprendre des Chrétiens. Il a aussi déclaré que l'empire ottoman s'est détourné de l'Islam à partir de la Réforme (Tanzimat) et que la République de Turquie s'est complètement séparée de l'Islam. Ces paroles ont eu de mauvais effets sur les sentiments de fraternité et d'amour ressentis par le monde arabe envers les Turcs

Un chercheur de la religion de la secte chiite et un professeur en théologie syrien ont déclaré qu'ils sont dans l'obligation d'approuver les paroles de Watt avec affliction. Parmi les membres de la délégation turque, le professeur F. Kuran et le représentant du président des Affaires Religieuses, le docteur A. Aydin, ont tout de suite pris la parole le premier en français et le second en arabe. Ils dirent que les Turcs, loin de se détourner de l'Islam, ont été, pendant toute l'histoire, les premiers défenseurs de l'Islam et ont corrigé quelques fautes commises par Watt du point de vue de l'histoire juridique.

Le professeur Kuran a attiré l'attention sur ce point : au XIXe siècle, les Turcs ont construit le Mecelle (code de la législation musulmane), l'un des « monuments » du Droit Islamique ; sur ce, le savant religieux chiite a demandé le pardon des Turcs avec politesse. Les paroles du professeur Syrien ont du être coupées par le ministre algérien de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, qui dirige le Séminaire, à cause du délai dépassé. Par la suite, le docteur Aydin allait faire un discours sur l'éducation dans le domaine religieux en Turquie.

L'ANNEE DE LA FEMME ET LES TURCS

Concernant le sujet de l'Islam dans l'Afrique d'aujourd'hui, des communications ont été faites également par les personnes suivantes : le docteur Walker

nos jours encore. Uniquement les personnes appartenant à la secte ibazi, de haute morale peuvent vivre dans la ville.

Les dirigeants de chaque ville, au maximum 12 personnes, sont choisis par le peuple qui l'habite. Ces personnes qui se distinguent par leur vertu et leur savoir occupent également les fonctions de hodja et de cadi. Les personnes coupables sont jugées par elles. Comme dans « Medina » du Prophète, la personne coupable qui se repentit et accepte sa punition peut continuer de vivre dans la ville. Durant toute la période de punition, personne ne lui parle ni n'accepte son salut. La personne coupable est éloignée de la communauté au cas où elle n'avoue pas sa faute et n'accepte pas la punition.

La villes entourées de murailles comme Ghardaïa et Beni Isguen sont construites sur des collines. Au sommet de ces villes formées de petites maisons peintes en blanc et en bleu et de rues étroites en pente se trouve un centre religieux. Certains sont des monuments historiques datant des siècles H. IV-V/ X-XI. Les mosquées sont des monuments formées de coupoles portées par des colonnes épaisses, du modèle de la mosquée omeyyade de Cordoue.

Au milieu de la mosquée de Ghardaïa se trouve une fontaine découverte d'eau jaillissante. Les minarets ibazi ont une forme spéciale. Les tours aux coupures rectangulaires s'amincissent vers le haut. En haut de la tour une petite cellule est construite et est réservée au muezzin et à ceux qui se consacrent à la prière ; celle-ci est appelée saumaâ de la manière que les premiers minarets. Le nom de saumaâ est aussi donné aux minarets en Algérie. Ceux qui visitent les villes ibazi, en présence des souvenirs de ces époques anciennes, ont le sentiment d'être retournés aux premiers siècles de l'Islam.

LES COMMUNICATIONS FAITES AU COURS DU 11e SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE ET LEURS DEBATS

Le 11e Séminaire sur la Pensée Islamique a débuté par les discours de Monsieur NAIT BELKACEM, ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses, et du docteur Gaye, secrétaire général de la Conférence Islamique Internationale. Le ministre NAIT BELKACEM a fait connaître les sujets proposés au 11e Séminaire. Le docteur Gaye, lui, a parlé de l'importance gagnée par les séminaires sur la pensée islamique et il a demandé que ceux-ci soient réunis au programme culturel des Conférences Islamiques Internationales.

Le docteur M. de Epalza, de l'Université de Madrid, a également parlé ; il a donné des renseignements sur le séminaire international qui va se réunir au mois de mars 1977 à Kurtuba. Dans ce séminaire, les sujets qui seront abordés sont les suivants : la vie du Prophète Mohammed et la personnalité de Jésus dans le Coran.

ON TROUVE LE PLUS ANCIEN « SIYER »

Les divers chercheurs demandaient à notre président des Affaires Religieuses, le docteur S. Ates, des renseignements sur le séminaire Siyert un-Nebi qui doit se réunir en Turquie. Les séminaires Siyert un-Nebi se déroulent au cours de ces années, car d'après ce que j'ai appris du professeur Hamidullah, on a trouvé un exemplaire du texte originel « Siyer » écrit par Ibn Ishak, ce texte étant

LE MILIEU CULTUREL DU 11e SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

Pourtant dans la tradition « Medinet un Nebi » de la ville du Prophète des Musulmans, l'enseignement originel n'est pas héréditaire. Le peuple de « Medinet un Nebi » avait le droit de choisir comme imam et calife les personnes qu'il juge les plus dignes et il n'y avait pas de condition pour que le calife et l'imam viennent de la race du Prophète ou de « Kureys ». Une personne quelconque, instruite et vertueuse, pouvait devenir calife ou imam. D'ailleurs, le Prophète avait dit qu'un « esclave éthiopien » aussi pouvait diriger la communauté musulmane.

Le 11e Séminaire sur la Pensée Islamique a eu lieu du 6 au 15 février 1977, dans l'oasis du Mezab (dit aujourd'hui M'zab) de l'Algérie, 32° au nord et 5° à l'est. Le lieu de réunion était l'oasis Sadrata-Waradjlane (Ouargla). Waradjlane et Sadrata étaient les dernières capitales de l'Etat Rustomi (H. 160-2 96/776-908) auquel appartenaient les Berbères. Ainsi, le premier des sujets qui a été communiqué aux participants du 11e Séminaire était la culture ibazi-rustomi. Il ne reste plus actuellement à Waradjlane et Sadrata que des puits et des palmeraies. Les anciennes villes sont enfouies sous les sables et des excavations archéologiques y sont faites. Ouargla, une ville plus récente, a pris la place de l'ancienne ville de Waradjlane.

Rappelons la date du Bras Ibazi de secte kharidjite : dans la discussion de Siffin entre Muaviye et Ali en l'an H. 37/657, certaines personnes se sont retirées de la discussion en observant que les deux côtés ne restent pas fidèles à la forme originelle de l'Islam ; elles ont ainsi pris le nom de Kharidjites. D'après les Kharidjites, les partisans d'Ali et les omeyyades voulaient établir l'enseignement originel héréditaire. Les Kharidjites n'ont pas reconnu l'enseignement originel des Omeyyades, des Abassides, des chiites et des califes fatimides de la secte cheite.

Durant la période des Omeyyades, les Kharidjites se sont opposés contre eux et pour pouvoir continuer leur propre façon de vivre, ils se sont réfugiés dans des régions distantes des centres omeyyades comme l'Asie Centrale à l'est et l'Afrique du Nord à l'ouest. La place occupée par les Kharidjites dans l'histoire de la culture turco-islamique reste en dehors du cadre de cet écrit mais c'est un sujet qui vaut la peine d'être examiné.

LA SECTE IBAZI

La secte ibazi des Kharidjites a été fondée par Abdullah b-Iba'z dans la dernière moitié du premier siècle hidjri, et s'est développée en Algérie sous la protection de la famille rustomi. Après la dissolution des Rustomi et l'occupation de l'Afrique du Nord par les Fatimides de la secte chiite, les Ibazi ont continué à vivre selon leurs propres croyances dans les anciens centres des Rustomi. Ils ont creusé des puits dans le désert, formé des oasis artificielles arrosées avec de l'eau distillée, construit des petites villes indépendantes comme Beni Isguen et Ghardaïa sur les collines de l'oasis. Ces villes entourées de murailles existent encore. Les étrangers ne peuvent pas facilement pénétrer dans ces villes de

LES REACTIONS NATIONALES ET RELIGIEUSES

D'autre part, les uléma islamiques (théologiens musulmans) avaient entrepris une résistance silencieuse contre les missionnaires chrétiens. Ainsi, la politique culturelle de la France n'a pas tout à fait réussi à parvenir à ses buts. D'ailleurs, quand la lutte nationale a commencé sous la direction des intellectuels patriotes en Algérie, tout le peuple algérien, hommes, femmes, jeunes et vieillards réunis en un seul corps, a participé à cette guerre sainte. L'Algérie dont la souffrance des années et les périodes d'héroïsme ont été suivies par tout le monde, a senti le besoin de généraliser la conscience nationale et religieuse qui s'était constituée dans le domaine sentimental au domaine de la pensée, une fois qu'elle a terminé sa guerre d'indépendance, le temps de reconstituer l'Etat étant ainsi arrivé. C'est ainsi que s'est formé le Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses. Mouloud Kassim NAIT BELKACEM, combattant de la guerre d'indépendance, a été nommé à la tête de ce Ministère. Les séminaires sur la pensée islamique ont commencé en 1967. Le ministre Belkacem participait à ces séminaires par des conférences et commentaires et il les dirigeait et les suivait personnellement.

LE BUT DU SEMINAIRE SUR LA PENSEE ISLAMIQUE

Aux séminaires sur la pensée islamique, sont particulièrement invitées des personnalités de l'Algérie et des autres pays arabes. Ce sont des théologiens sur l'Islam (uléma), des chercheurs de l'histoire et de la sociologie, des hommes d'Etats et des journalistes. Des Musulmans qui ne sont pas Arabes, les Turcs, les Turquistanais, les Iraniens et les Pakistanais y sont aussi invités. Même des chercheurs et intellectuels chrétiens d'Allemagne, des USA, d'Autriche de France, d'Angleterre, du Japon, d'Australie, de Belgique, d'Espagne, d'Italie et de Suède sont appelés à participer au séminaire.

Ces séminaires ont lieu chaque fois dans un centre culturel différent mais toujours en Algérie. L'histoire culturelle du centre qui a été désigné comme lieu de réunion passe au premier plan dans la communication. D'autre part, à chaque séminaire sont choisis trois autres problèmes culturels et on demande que des communications soient également données à ce sujet. Les langues officielles du séminaire sont l'arabe, l'allemand, le français et l'anglais. Les communications sont transmises à l'avance et sont polycopiées dans les langues principales et en arabe. La traduction simultanée de ces langues est réalisée durant la communication.

Un débat est ouvert sur chaque communication. Mille étudiants compétents, filles et garçons, choisis parmi les universitaires et les lycéens, suivent le séminaire et ont le droit de poser des questions par écrit à ceux qui donnent les communications. Les textes des communications et leur contenu en arabe sont publiés plus tard. La radio et télévision algériennes suivent aussi les séminaires. Ainsi, les séminaires sur la pensée islamique gagnent de l'importance non seulement pour les Algériens mais aussi pour les autres pays arabes et islamiques et les milieux culturels non-musulmans qui s'intéressent au monde arabe.

Article écrit par le docteur Emel Esin, paru dans le quotidien « BAYRAK » en 6 parties, du 18 mars au 23 mars 1977, et relatif au 11^e Séminaire sur la Pensée Islamique tenu à Ouargla

Quand la lutte nationale a commencé en Algérie sous la direction des intellectuels patriotes, tout le peuple algérien, y compris enfants, vieillards, hommes et femmes, uni en un seul corps y a participé. L'Algérie dont la souffrance des années et les périodes d'héroïsme ont été poursuivies par tout le monde, a senti le besoin de généraliser la conscience nationale et religieuse qui s'était formée dans le domaine sentimental au domaine de la pensée, une fois qu'elle a terminé sa guerre d'indépendance, le temps de constituer un Etat étant ainsi arrivé.

Les souffrances des années où l'Algérie était sous l'occupation de la France :

Regard général aux séminaires sur la pensée islamique :

Les séminaires sur la pensée islamique (Fikr al Islami) se réunissent tous les ans depuis 1967, sur l'invitation du Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses de l'Algérie (Vazarat ul-talîm ul-aslî suûn ud diniyye). Comme son titre le précise, la fonction du Ministère en question est de rechercher la culture « originelle » de l'Algérie, c'est-à-dire sa propre culture dans le cadre de la religion (Islam).

QU'A FAIT L'IMPERIALISME FRANÇAIS EN ALGERIE ?

Selon les publications des écrivains algériens, les Français ont commencé à franciser l'Algérie lorsque celle-ci est entrée sous l'occupation de la France en 1830. Le premier effort fait en ce sens consistait à faire oublier aux Algériens leur conscience de leur identité nationale et religieuse. L'Arabe n'est plus enseigné dans les écoles et l'islamisme est défini comme « fanatisme ». L'enseignement de l'histoire algérienne se limite à la période byzantine et de Rome et à la période de l'occupation française.

D'autre part, on précisait les anciens liens des plus anciens Algériens : les Berbères avec les cultures de Bysance et de Rome et le fait qu'ils sont mélangés, du point de vue de la race, aux Vandales. Le but des Français était de séparer les Berbères de l'Islam pour les christianiser. Des articles de l'historien algérien Tewfik al-Madani et du ministre de l'Enseignement Originel Mouloud Kassim NAIT BELKACEM, qui défendent les Turcs, on comprend que ces derniers ont été particulièrement critiqués et accusés par les Français. D'une façon générale, aucune occasion n'était offerte aux Algériens de poursuivre des études. Le nombre d'Algériens qui ont poursuivi des études supérieures sont très peu. Comme ceux qui faisaient leurs études en France étaient gagnés par la France, les familles algériennes ont commencé à envoyer leurs enfants pour des études dans des pays européens autres que la France.

